مـــن أدب الـمنتصريـــن
رجال فوق ســـقف العالم

أفغانستان في صباح اليوم التالي

و تحديات ما بعد التحرير

مصطفى حامد

كتب هذا الكتاب في الاسكندرية – مصر
ونشر علي هيئة كتاب إلكتروني سنة ٢٠١٤

حقوق الطبع والنشـــر محفوظة
WWW.MUSTAFAHAMED.COM

الفهرست

شكر وتقدير

ـ مقدمة .

الفصل الأول :

- التحديات القادمة بعد التحرير . ص 9
- حتمية الإنسحاب الأمريكى .

ـ إستراتيجية المنتصرين . ص 12

- الإستفادة من أخطاء العدو.
- إختراق مؤسسات العدو.
- الحفاظ على سكان المدن.
- إستخدام الأقوى ضد الأضعف.
- تكنولوجيا متقدمة وجندى مهمش .

ـ أمريكا والحرب .

فشل التجربة الأمريكية فى كابول .

- الحكومة الأكثر فساداً فى العالم .

 # ديموقراطية الهيروين . ص 20

- الأفيون فى إستراتيجية الحرب .
- للشباب هيروين وايدز ـ للجميع الخوف والجوع ـ وتحطمت القوارير: النساء والأطفال .
- تعليم من أجل التدمير.

تحديات الوضع الداخلى . ص 24

- الفتنه الكبرى .. مقتل المسلمين .
- أفغانستان وأسيا فى برنامج الفتنة العظمى .

ـ علاقة الدولة الجديدة مع القبائل .

ـ التحدى التعليمى .

ـ تعليم الفتيات.

الفصل الثانى:

التحديات السياسية مع الجوار والعالم . ص 33

- المعركة السياسية ـ أفغانستان كنز إستراتيجى .

- ماذا تعنى إسلامية أفغانستان ؟؟ .
- أفغانستان وجيرانها الستة .
باكستان ، أخطاء وغزوات من الجنوب . ص 38
- سياسة إيقاظ الفتن .
- مستقبل العلاقات مع باكستان .

إيران عداء غامض الدوافع . ص 45

- باكستان وحركة طالبان .
- صراع سنى / شيعى، أم باكستانى/ إيرانى .
- بيرل هاربور فى مزارشريف .
- محاولة إغتيال فى قندهار .
- إيران وأهل السنة .

ـ أفغانستان وإيران : قاطرة حضارية فى آسيا .

ـ مجالات التعاون بين أفغانستان وإيران .

- مشاكل المياه والحدود مع إيران .

أفغانستان والجيرن الثلاثة فى الشمال .

- أفاق التعاون مع جيران الشمال .

أفغانستان والصين . ص64

- آفاق التعامل مع الصين – واخان ممر الصداقة –
- الصين ونظام آسيوى جديد –
- روسيا والهند ..

جيران النطاق الثانى : روسيا والهند
أفغانستان وروسيا ، عقبات وآفاق التعاون . ص 70
ـ أفغانستان ومعضلتان مع روسيا ـ
- تطبيع علاقات آسيا مع المسلمين.

أفغانستان والهند .

الأقليات المسلمة فى آسيا .

مجالات مفتوحة مع الهند .

أفغانستان ودول الخليج العربى . ص 76

مجالات التعاون الأفغانى / الخليجى .

ـ ملاحظة حول المعونات الخليجية .

أفغانستان ودول العمق العربى . ص 82

العقبة الإسرائيلية فى طريق الإلتحام الإسلامى .

ـ أفغانستان والعراق .

ـ أفغانستان وبلاد الشام الكبير .

ـ أفغانستان البحرية .

أفغانستان ومصر تاريخ عريق ، وآفاق غير محدودة . ص 84

أفغانستان بين الأزهر والإخوان المسلمين – أفغانستان والأزهر الشريف - التعاون الصناعى مع مصر.
ـ مصر ومشروعات إعمار أفغانستان ـ

- أفغانستان والسودان .

- أفغانستان والمغرب العربى .

- أفغانستان واليمن .

أفغانستان والعمق الأسيوى :

- أندونيسيا وماليزيا .

- أفغانستان واليابان .

- **أفغانستان ودول أمريكا الجنوبية والوسطى** . ص 89

ـ أفغانستان وكوبا .

ـ أمريكا الجنوبية وأفريقيا واللقاء العظيم فى آسيا .

الفصل الثالث :

- **طالبان: البنيان الإجتماعى والدولة القوية** . ص 92
- حرب الإرهاب .
- الإرهاب والمخدرات حروب متنوعة وإستراتيجية واحدة.
- كيف يتعاطى العالم مع مشكلة الإرهاب؟؟. ص 97
- الإرهاب بضاعة ، والأمن سلعة .
- أفغانستان ومشكلة "الإرهاب الإسلامى"!! .

ـ القاعدة وحركة طالبان ـ

- فشل التنظيمات الجهادية .
- هل تعود التنظيمات الجهادية إلى أفغانستان ؟؟ . ص 107
- الجهاديون ليسوا فوق الشريعة .
- **أفغانستان ومشكلة المخدرات** . ص 109
- أمريكا والمشروع الدوائى .

ـ سد النهضة : شلال الهيروين القادم ؟؟ . وعبقرية الـ " جيو - هيروين" للموقع . ص 112

الفصل الرابع :

تحديات الإقتصاد . ص115

ـ الإقتصاد وفساد البر والبحر .

ـ إقتصاد أفغانستان الإسلامية .

- دولة الإسلام : عدالة وكفاية وأمن .

ـ التفريط فى الثروة للوصول إلى السلطة ـ

ـ الشركات العظمى أعداء البشر الحقيقيون.

ـ الإقتصاد الأفغانى القادم . ص 124

ـ زراعة القمح كبديل عن زراعة الحرب .

- مجالات الثورة الصناعية الكاملة . ص 126
- أفغانستان مركز تجارة الترانزيت فى آسيا .
- النشاط الحرفى – توليد الطاقة .

ـ الإقتصاد يتخطى مشاكل الحدود .

- العملة والبنوك – القروض والإستثمار .
- تأشيرات السفر والإقامة .
- مشروعات أخرى للإقتصاد الإستراتيجي .
- شبكات الإتصال .
- الفحم كمصدر للطاقة الرخيصة.

الفصل الخامس:

تحديات الدفاع . ص 134

عقيدة دفاعية .

أولاً : جيش الدفاع الجهادى .

ثانياً: قوات المرابطين القبلية.

ثالثاً: قوات الجهاد فى المدن.

جهاز الإستخبارات .

التحدى الإعلامى . ص 140

ـ أخطاء إعلامية قبل الحرب .

- إعلام ما بعد التحرير .
- هيئة الإعلام والإرشاد .
- كلية الإعلام.
- التوثيق التلفزيونى.

الفصل السادس :

الدولة الإسلامية بين الحقيقة والإدعاء . ص 145

ـ التشكيل الإدارى للدولة .

ـ هيكلية الحكم فى الدولة .

رئيس الدولة – مجلس الشورى الموسع – مجلس الأمن القومى –

- هيئة الإستخبارات ومكافحة التجسس – مجلس الدولة العالى –
- مجلس القضاء الأعلى – مجلس الوزراء – مكتب الإعلام المركزى .
- نظام الحسبة .

ـ **تشكيل مجلس الوزراء**:

هيئة الإعمار ـ هيئة التنمية ـ جهاز الخدمات العامة – جهاز التعليم – وزارة الدفاع الجهادى ـ إدارة الأمور الداخلية – هيئة الإستخبارات الداخلية.

تشكيل وزارة الدفاع الجهادى :

قوات المرابطين – جيش الدفاع الجهادى – إستخبارات الجيش – قوات الجهاد فى المدن – إدارة التصنيع العسكرى – قسم الأبحاث والتطوير – المدارس والكليات العسكرية.

التشكيل الادارى للقطاع :

محافظ القطاع – مديرية الدفاع والأمن – مجلس شورى القطاع – أجهزة الأدارة الحكومية.

وأخيرا ..

سياسة أفغانستان تجاه الأمم المتحدة . ص 154
أفغانستان والولايات المتحدة .

ـ خرائط وجداول إيضاح .

ـ رسالة تصويب وتصحيح من زملاء إعلاميين ومؤرخين من حركة طالبان حول ما جاء بالكتاب .

شكر وتقدير

أشكر الإخوة والزملاء الإعلاميين والمؤرخين من حركة طالبان ، الذين راجعوا هذا الكتاب ثم زودونى بتصحيحات وتوضيحات وشروح ، كانت عالية القيمة ، بما رفع من قيمة ومستوى هذا الكتاب بشكل لم أكن أتوقعه.

فى نهاية الكتاب وردت رسالة من الإخوة الكرام الذين قدموا ذلك المجهود القيم ، ومعها تعليقاتهم كاملة . وخلال الكتاب تمت الإشارة إلي المواضع التى ورد بشأنها تعليق أو شرح بوضع رقم بين قوسين على هذا النحو { 1 ،2 ، .. } لمراجعة التعليق فى نهاية الكتاب .

مقدمة :

أشرق فجر جديد من الحرية على شعب أفغانستان بعد أن هزم أعتى حملة صليبية تعرض لها فى تاريخة، أو تعرض لها أى شعب آخر، ومن حق هذا الشعب أن يتبوأ المركز اللائق به فى صدارة شعوب العالم الحرة ، وعلى قمة شعوب المسلمين بلا منازع .

قاتل هذا الشعب وحيداً محاصراً، فقراً أعزلاً من كل سلاح ، ولكن سلاح الإيمان لم يسقط من وجدانه، فكان كافياً لإنتزاع النصر، وركعت تحت أقدامه الحافية ، أحدث جيوش الأرض ، وأكثرها وحشية وسفالة.

أثبت ذلك الشعب الفريد، أنه درة الإنسانية ، والمدافع الأول عن الإسلام ، ذلك الدين الذى فقد رجاله ، ما بين قتيل وأسير، أو تائه ضائع ، أو مشمر عن ساعديه مفترسا أمته خدمة لأعدائها.

ولكن بقى الأفغان وحدهم .. رجال الإسلام وفرسانه المنتصرون ، والمنفردون فوق سقف العالم.

فهل بقى بعد تلك القمة ، قمم أخرى؟؟ .

بالطبع هناك قمة مفقودة ، وهى بناء النموذج الإسلامى للفرد والمجمتع والدولة.. قمم ونماذج مفقودة منذ قرون .

إن بناء إنسان واحد – على مبادئ الإسلام وقيمة السامية ـ لهو عمل أصعب وأهم من هزيمة جيش مدجج بالسلاح ، خاصة فى عالم اليوم الذى يعبد المادة بكل عفنها وعنفها . عالم يستعمل كل قواة لمحاربة الخير والفضيلة . ولكن من غير مجاهدى أفغانستان يمكنه أن يحقق المعجزات؟؟.

ومن غير الأفغان يمكنه قهر المستحيل ، ويعيد الإسلام من جديد إلى مساره الصحيح؟؟ .

ذلك الشعب الصلب ، بإيمانه الذى تزول الجبال من مكانها ولايزول من صدور رجاله ، قادر على إنجاز المهمة المستحيلة ، كما قهر أعتى إمبراطوريات البغى والعدوان والوحشية فى تاريخ الإنسان .

الأفغان هم أساتذة الإنسانية بلا منازع ، وقيادتهم الإسلامية هى الأفضل على الإطلاق وبكل تواضع وبلا إدعاء أو إفتعال ، وبحكم الإنجازات على الأرض . ويكفى أنهم مزقوا جيوش طواغيت الأرض التى أرتمى جهابذه الإدعاء الأجوف تحت أقدامهم ، وقدموا دينهم وبلادهم وشرفهم لمجرد الحصول على رضاهم ، أو بعض الفتات المتناثر بين موائدهم من أشلاء المسلمين وحطام حقوقهم .

هذا الكتاب الصغير المتواضع ، هو مجرد نظرة نحو المستقبل بأبعاده القريبة والبعيدة ، ومحاولة لمجرد التفكير فى ذلك المستقبل واحتمالاته .

لم أتمكن من القتال إلى جانبهم هذه المرة ، لظروف الأسر المتصل ، ولكن ذلك لا يمنع من أن أحاول التفكير إلى جانبهم ، معترفا بجميل يطوق رقاب المسلمين جميعا ، لكل أفغانى حافظ على هذا الدين جهاداً فى سبيل الله ، وعسى أن نتعلم منهم شيئاً عن حقيقة الإيمان .

أفغانستان فى صباح اليوم التالى

الفصل الأول :

التحديات القادمة بعد التحرير

الحتمية الأفغانية فرضت نفسها للمرة الثالثة خلال قرن ونصف . فتلك هى الولايات المتحدة تنضم إلى الإتحاد السوفيتى ومن قبلها "بريطانيا العظمى" . ثلاث قوى إستعمارية كبرى يهزمها الشعب الأفغانى ، الأعزل تقريباً ، إلا من طاقة عظمى من عشق الحرية هى الأعظم بين شعوب الأرض كما يثبت التاريخ ، وإلا من سلاح الإيمان كأعظم شعوب الأرض تمسكاً بالإسلام كما أثبتت ضراوة الدفاع وجسامة التضحيات وثبات الإيمان المقرون بالعمل الذى لا يعرف التهاون أو اليأس ، فلا يختار طريقاً ثالثاً بين النصر أو الشهادة.

- وليست الحتمية الأفغانية وليدة العصر الحديث ، بل هي ممتدة منذ فجر التاريخ الذى مازال يذكر أن أول ثورة على إمبراطورية الإسكندر الأكبر إشتعلت فى مدينة هيرات الأفغانية ، فكانت طلقة البداية لتفتيت الإمبراطورية العظمي .

- والمسلمون الفاتحون لم تثبت لهم قدم نتيجة ثورات الأفغان عليهم . ولم يستقر الحال إلا عندما تأكد ذلك الشعب أن الذى نزل بساحته ليس إحتلالا بل ديناً يحافظ على الحرية والكرامة والمساواة بين جميع البشر، فإعتنقوه بقوة ومحبة مازالت سارية حتى هذه اللحظة وبنفس القوة.

- وعندما انحرف الحكم الأموى نحو الإستبداد والقهر، ثارالأفغان على الإمبرطورية الأموية وإسقطوها ورفعوا مكانها حكم بنى العباس ، الذين وعدوا بالعودة إلى نهج النبوة العادل .

فالأفغان يخضعون لدين الرحمة وعبادة الله العادل الرحيم ، ويرفضون الحكم الإمبراطورى الغاشم القائم على القوة والبطش وإذلال الشعوب وسرقة الثروات ، حتى لو تستر خداعا بإسم الدين .

تلك هى الحتمية الأفغانية التى يدفع الأمريكيون ثمنا باهظاً نتيجة تجاهلهم إياها ومحاولتهم تخطيها.

تأتى الهزيمة الأمريكية فى أفغانستان فى ظروف خاصة جداً تمر بها الولايات المتحدة وشريكاتها الأوروبيات من دول الناتو ، الشركاء فى العدوان والهزيمة.

ظروف تمر بها تجربة الحضارة الغربية بشكل عام ، فتعقدت مشاكلها إلى درجة غير مسبوقة ، فالاقتصاد دخل فى أزمات مستحيلة الحل ، والعواقب الإجتماعية والسياسية المترتبة على ذلك تبدو وخيمه للغاية ، وتهدد البنيان كله بالإنهيار الذاتى أو الفرار نحو مغامرات خارجية متهورة للعثورعلى حل خارج الحدود ، وأيضاً لتصدير الأزمة الداخلية إلى الخارج وتحويل وجهة الصراعات الداخلية إلى صراعات خارجية مع أعداء لا يشترط أنهم يشكلون أى خطورة ، بل أن مجرد محاربتهم تشكل نوعاً من تأجيل السقوط ، أو ربما وبشئ من الحظ الحسن ، قد يجدون هناك حلا فى بلاد الآخرين.

والحرب على الإرهاب التى إستهدف عشرات الدول كانت نموذجا على حروب "الهروب إلى الأمام" بحثاً عن حل لحضارة مأزومة ، أو لتأجيل إنهيارها وكسب المزيد من الوقت ، وليس للبحث عن حلول جذرية للمشاكل التى خلقتها الحضارة الغربية نفسها . وأيضاً لمنع ظهور بديل حضارى يتولى قيادة البشرية من مأزق الإنهيار الشامل الذى تواجهه . إنهيارا ليس فقط فى الإقتصاد أو النظم السياسية ، بل أيضاً فى القيم والأخلاق ، وإنحدارا فى قيمة الإنسان بإنحدار سلوكياته وإساءة التعامل معه بإعتباره كائن إستهلاكى وقوة عمل . ويفقد الفرد ـ أو حتى الشعب بأكمله ـ قيمته وحقه فى الحياة إذا تدنت قدرته على العمل أو الإستهلاك دون الحد الذى يخدم مصالح أصحاب الإقتصاديات الكبرى . لهذا تتعرض شعوب كامله للإبادة العلنية أو السرية . إما بالحرب المباشرة كما فى أفغانستان والعراق ، أو بالحروب غير المعلن عنها ، كما يحدث فى العديد من الدول الأفريقية المتخلفة حيث يموت المئات يوميا لأسباب لا يعتنى أحد بالبحث عنها ، ولا يعرف حقيقها غير الشركات الإحتكارية الكبرى فى كافة المجالات من شركة النفط والماس واليورانيوم إلى شركات الدواء وشركات دفن النفايات النووية والسامة فى بحار وأراضى أفريقيا كما يحدث فى الصومال مثلاً . أو يموتون بسموم المخدرات كما يحدث فى أكثر دول العالم فى حرب صامته تستهدف الفئات الأضعف إجتماعياً وإقتصادياً.

تلك هى حضارة الغرب الذى يحارب بكل قوه حتى ليمنع ظهور البديل الحضارى الإسلامى ، محاولا ترقيع حضارته لتتمكن من العيش والسيطرة على بشر تضاعفت أعدادهم ومعاناتهم ومطالبهم ورعبهم .

الحرب لمنع ظهور البديل تفسر الكثير جداً من أحداث الساعة . وعلينا أن ندرك أن المستهدف الأول هو الإسلام كدين ، وبالتالى نشاهد الشعوب التى تدين بالإسلام متخلفة متراجعة فى كافة المجالات بتراجع الإسلام فى حياتها ، وليس كما يصور الغرب وأعوانه أن تخلف المسلمين راجع إلى طبيعة دينهم . ولكن الحقيقة هى أن المسلمين المعاصرين هم النكبة الحقيقية للإسلام ، إلى أن يعودوا بوعى حقيقى لدينهم مع فهم لطبيعة زمانهم .

حتى محاولات "الصحوة" أو "الإصلاح" أو أى شئ من تلك المسميات التى لا تنبئ عن حقيقة ، فإنها أدت نتائج بعكس أسمائها . وحتى تلك المحاولات الأكثر جذرية مثل التنظيمات والجماعات الجهادية ، قادت حركة المسلمين إلى الخلف ، نحو المزيد من التراجع الذى وصل إلى حد الإنهيار فى العديد من البلاد العربية ، وإفغانستان هى المثال الأبرز والمثالى ، وسوف نعود إلى تلك النقطة . هذه المقدمة الطويلة لعلها تقودنا إلى فهم أفضل لما حدث فى أفغانستان من صدامات حضارية ودينية عظمى بين الغرب (شرقه وغربه / الشيوعى و الرأسمالي) وبين الإسلام الحركى المحدث مثل الإخوان المسلمين ، أو السلفى الجهادى المحدث مثل القاعدة ، أو الإسلام التقليدى مثل حركة طالبان.

حتمية الإنسحاب الأمريكى :

تدرك أمريكا قبل غيرها أن الإنسحاب من أفغانستان حتمى وغير مشروط . أى أنه هزيمة عسكرية واضحة لها ولحلف الناتو فى أول تجربة عدوانية تشهد هذا الحشد الكبير لأدوات القتال فائق التطور والمدعوم بتحالف دولى لم يكد يشذ عنه أى من القوى المؤثرة فى العالم .

تلك الهزيمة كاشفة لأخطاء قاتلة فى البنيان الأمريكى كله وليس العسكرى فقط .

وتلك هزيمة كاشفة لتعفن الحضارة الغربية ، وبداية فعلية لزوالها من صدارة العالم وقيادته . فالهزيمة كانت أكبر بكثير من مجرد فشل عسكرى أو خطأ فى الحسابات السياسية .

يمكن لأمركيا / وسوف تفعل بالتأكيد / خلق الكثير من العقبات التى تحول دون إستقرار أفغانسان . وستبذل جهدها من أجل إشعال حرب أهلية جديدة ، وجذب المزيد من الحلفاء الإقليميين فى "حلف كراهية" ضد النظام الإسلامى القادم ، وإحكام حصار دولى إقتصادى وسياسى حوله ، معتشويهه إعلامياً ، ونبذه معنوياً على المستوى الدولى . وذلك جزء من التحديات التى ستواجه النظام القادم ، ولكنها ليست الأكبر على أى حال ، لأن التحديات الداخلية هى الأساس ، والفوز فيها يجعل الفوز فى جميع معارك ما بعد التحرير فى متناول الأفغان .

الفشل العسكرى يعتبر ضربة للوجود الدولى للولايات المتحدة حيث أن شن الحروب أو التهديد بها يعتبر جزءاً أساسياً من المكانة الدولية الأمريكية فى الإقتصاد والسياسة معاً. لذا فإن الفشل العسكرى فى أفغانستان يعنى الكثير جدا ، على صعيد الدروس المستنتجة ، سواء بالنسبه للجيش الأمريكى أو قوات المقاومة الجهادية المنتصرة التى قادتها حركة طالبان .

فالإستراتيجية الأمريكية فى تلك الحرب ، إعتمدت على قهر إرادة الأفغان وروحهم القتالية المعادية للإحتلال ، بواسطة القوة المفرطة التى لم يسمع بها الأفغان من قبل حتى فى جهادهم الطويل ضد السوفييت و النظام الشيوعى الذى دعمه السوفيتى فى حرب إمتدت من عام 1978 إلى عام 1992.

زادت القدرة التدميرية للأسلحة حتى أثرت على تماسك طبقات القشرة الأرضية وأصبحت المنطقة فى أفغانستان وحولها أكثر عرضة للزلازل الدمرة حسب رأى جيولوجيين روس . وعملت الأسلحة من الطيران إلى جنود المشاة بالإتصال مع الأقمار الصناعية ، فإرتقت لدرجة الكمال تقريباً فى دقة التصويب ودقة المعلومات ولحظية الإتصال ، وسهلت عملية القيادة حتى أصبح جزء كبير من الحرب يدار عن بعد، فزادت أهمية القيادات البعيدة عن ميدان المعركة وزاد مستواها التقنى ، وفى المقابل بعدت نفسيا عن الجانب الإنسانى فى الحرب ، والمتعلق بمشاعر البشر على أرض المعركة سواء المعتدين أوالمقاومين.

وكان ذلك فى صالح المجاهدين لأن هؤلاء المجردين من المشاعر العاملين خلف الأزرار من وراء المحيطات "أو الخلجان" تسببوا فى تأجيج مشاعر الكراهية وتعاظم الإنخراط فى صفوف المقاومة . وتجلى ذلك بأوضح صورة فى حرب الطائرات بدون طيار ، التى إفتضح أمرها فى العالم وكثر الحديث عنها. ولكن ما لا يقل عنها خطورة كانت ممارساتهم الوحشية ضد المدنيين وعدم إحترام الدين أو الإعتبارات الإجتماعية للأفغان .

ومن أفظع ما عانى منه الشعب الأفغانى كان الغارات الليلية التى قامت بها القوات الخاصة الأمريكة وكلابها المتوحشة ، وأعوانهم من المرتزقة المحليين ، ضد سكان القرى والمناطق النائية ، حيث يقتحمون البيوت ويجمعون السكان فى الساحات وتبدأ حفلات القتل والتعذيب ونهش الكلاب للأحياء وجثث القتلى

وسط صراخ الأطفال والنساء ، بينما كبار السن ذوى الاحترام يتعرضون للضرب المبرح ، والإختطاف مع أطفال ونساء فى مروحيات السفاحين .

تلك الوحشية لم تقمع الأفغان بل زادت مقاومتهم عنفاً ، فأصبحت حركة طالبان أكثر قوة ومصداقية كونها عالجت المعتدين بالأساليب المناسبة ، لردعهم وتكبيدهم الخسائر الفادحة التى رفعت المعنويات وأقنعت الناس بإمكانية النصر بل وحتميتة .

إستراتيجية المنتصرين :

الإستراتيجية المنتصرة لحركة طالبان إعتمدت على :

أولا ـ الإستفادة من أخطاء العدو :

أفادتهم أخطاء عدوهم فى تنظيم قوتهم وتوسيع قاعدتهم الشعبية ، أى الحاضنة الإجتماعية للمقاومة الجهادية بحيث تخطت الحدود الإثنية والمذهبية . بما يعنيه ذلك من سد الثغرات فى وجه التخريب الأمريكى / حاضرا ومستقبلا / ومحاولاته إشعال نيران "الفوضى الخلاقة" على طراز الربيع العربى سئ السمعة . (يعتبر ذلك إختلافاً جوهرياً بين حركة طالبان وبين السلفيات العربية الجهادية التى ألقت بكامل ثقلها خلف الفتن الطائفية) .

ثانياً ـ إختراق مؤسسات العدو :

وهو أهم إبتكارات حركة طالبان ، سواء بعناصرها الخاصة أو بالمتعاونين معها . والأشهر فى تلك الإستراتيجية كان إختراق الجيش الأفغانى على كافة المستويات ، وكذلك الشرطة بشكل خاص . وقد إتضح ذلك من خلال عمليات عسكرية مذهلة ، وعمليات فرار بكامل الأسلحة والمعدات ، بل وتنفيذ ضربات ساحقة قبل الفرار والإلتحاق بالمجاهدين . أما إختراق أجهزة المخابرات فكان واضحا من العمليات النوعية التى لا يمكن لها أن تتم بغير معونة إستخبارية من داخل صفوف العدو.

ثالثاً ـ الحفاظ على سكان المدن:

بمعنى عدم تعريضهم لأعمال إنتقامية من جانب العدو، بتحويل المدن إلى ساحة قتال ، أو الإستحكام فى مبانيها لخوض معارك مواجهة مع القوات المعادية (كما حدث فى حرب سوريا مثلاً) . وبحسب خبرة الأفغان فى حربهم ضد الجيش الأحمر السوفيتى فإن الإستيلاء على أى موقع هام سوف تعقبه ضربة إنتقامية بالطيران على ذلك الموقع ، سواء كان حصناً جبلياً أو قرية أو مدينة . بل أنه قبل الإحتلال السوفيتى بعدة أشهر إستولى أهالى مدينة هيرات على مدينتهم وأعلنوا العصيان على الحكومة المركزية. فتعرضت المدينة لقصف جوى بطائرات حكومية وطائرات جاءت من وراء الحدود السوفيتية التى كانت لا تبعد كثيراً عن هيرات ، فقتل عدة آلاف من السكان الثائرين خلال ساعات قليلة .

وعندما إقتربت قوات الإحتلال الأمريكى من مدينة قندهار ، حيث مركز الإمارة ، رفضت قيادة طالبان خوض حرب داخل المدينة حتى لا تتعرض للدمار ، فيقتل الآلاف من الأهالى .

ونذكر هنا أن أفراد المنظمات الجهادية العربية ، الذين كانوا متواجدين فى قندهار وقت الغزو الأمريكى ، كانوا يطالبون بالقتال داخل المدينة وهو الأمر الذى رفضته قيادة حركة طالبان .

وهذا فارق آخر بين حركة طالبان وبين "السلفيات الجهادية العربية" ، التى إتخذت من المدن السورية والعراقية ساحات قتال من أجل الحصول على إنتباه إعلامى خارجى معاد للنظام . والنتيجة كانت خراب المدن ومصرع عشرات الألاف من السكان . والمسألة هنا ليست خطأ تكتيكياً ، بل بلاده فى إحساس المنظمات المسلحة وعدم مبالاتها بالأرواح البشرية . وأيضا عدم مبالاة النظام بأرواح مواطنيه . ولكن أى نظام فى العالم مستعد لأن يضحى بأى قدر من أرواح مواطنيه من أجل الحفاظ على بقائه وهيبة دولته . وكان هذا الدرس واضحا فى جميع بلاد "الربيع" البائس . فالثورات ومكافحة الثورات هى أعمال صراع بالغة العنف بطبيعتها ، وليست مباريات رياضية .

ـ العمليات الجهادية التى تشنها حركة طالبان داخل المدن عبارة عن هجمات عالية التخطيط والسيطرة ، ضد أهداف تابعة للإحتلال أو القوات المحلية العاملة تحت إمرته . وتظل المدينة بيئة مناسبة لإستخبارات المجاهدين والإتصال بالمتعاونين ، والحصول على إمدادات للمجاهين العاملين فى المناطق الريفية والجبال. وأيضا لشن العمليات النوعية المحدودة ، ذات القيمة العالية والخاصة .

رابعاً ـ إستخدام الأقوى ضد الأضعف .

النقطة الأضعف فى الجيش الأمريكى هى جندى المشاة ، وتلك المشكله لها مضارها الوجودية على الإمبراطورية نفسها . التى مثلها كأى إمبراطورية فى التاريخ تعتمد على الجيش لبسط نفوذها على الآخرين والإستحواذ على الأراضى والثروات وإخضاع باقى الأمم .

- بينما النقطة الأقوى لدى المجاهدين هى الفرد المقاتل . وهذا يؤكد الحقيقة الأزلية القائلة بأن الإيمان هو العنصر الراجح فى الحرب قبل أى شئ آخر . وفى ذلك قال فيلسوف الحرب الصيني "صن تزو" : إن الحرب نربحها فى المعبد قبل أن نربحها فى ميدان المعركة . فإذا كانت الحالة مثل أفغانستان حيث الجيش الجهادى المؤمن يقاتل على أرضه وسط شعبه المؤمن ، فمن المستحيل أن نتصور أى نتيجة أخرى غير النصر الكامل على الأعداء.

بالنسبه للمقاتل فإن الحرب هى لعبة مع الموت ، فالذهاب الطوعى إلى الحرب يعنى القبول بخيار الموت. وهناك فى ساحة المعركة تتمايز درجات القابلين بخيار الموت ، فهناك من يرحب بالموت وليس فقط يقبل به ثم هناك من يسعى خلفه يطلبه حثيثاً. وهناك من يقاتل ولا يبالى إن وقع هو على الموت أم وقع الموت عليه.

ـ تلك هى الحالة فى صفوف المجاهدين ، فكيف هو الحال فى صفوف الأمريكيين وحلفائهم؟ .

جندى المشاة هو نقطة ضعفهم الكبرى ، فإذا تورط ذلك الجندى فى مواجهة مع المجاهدين أو حتى الأهالى فإنه مهزوم لا محالة . لذلك يلزمه تمهيد كبير بالنيران قبل إقتحامه فى مغامرة على الأرض . وغالباً ما يدفع أمامه بجنود المستعمرت أى القوات المحلية أولاً ، ثم الأتباع من حثالة العالم الثالث ، ثم جنود أوروبا.

أى ثلاثة أنواع من القوات الأرضية قبل أن يطل الجندى الأمريكى ماشياً على قدميه بعد أن نقلته الطائرت المروحية أو المدرعات.

لم تنجح التكنوجيا العسكرية المتقدمة فى ردم تلك الهوة إلا بشكل محدود . أفشل ذلك حسابات القيادة العسكرية الأمريكية ، بل وضع أحلام الإمبراطورية فوق هاوية الضياع . إمبراطورية لها القدرة على التدمير الشامل ولا تمتلك القدرة على السيطرة بجيشها على الأرض لفترة كافية ، تمكنها من الحفاظ على مكانتها الدولية المسيطرة .

ـ وقد طالب عسكريون أمريكيون بالبقاء فى أفغانستان مدة تتراوح بين سبعين إلى مئة عام حتى يحدثوا التغيير المطلوب فى طبيعة الأفغان وتدجينهم كما حدث فى دول كثيرة جدا (إسلامية وعربية). فالأمر يتطلب عدة أجيال متوالية تربت وتشربت بثقافة المحتلين وتلقت تعليمها على أيدى الإحتلال ، عندها يمكن لتلك الشعوب أن تحتل نفسها بنفسها لمصلحة ساداتها المستعمرين القدماء. فالحديث عن "ربيع" فى بلاد "الإحتلال الذاتى" ضرب من الإستغفال المستهجن.

فتضيع هوية هذه الدول ، فلا تعرف الشعوب من هو عدوها ، أو لماذا تعيش وما هى رسالتها والهدف من وجودها . وذلك بفضل طبقة مثقفة خائنة إستعمارية الهوى والضمير والمصالح . ولنا فى كوابيس "الربيع" خير عبرة وفجيعة . ولا نستثنى بالطبع مثقفين علمانيين أو إسلاميين ، لأن الفساد والتلف قد ضرب سلة التفاح كلها ، واستشرت الديدان فى الأعماق ، رغم إختلاف اللافتات المرفوعة على السطح . فلكل فئة ثقافية فاسدة سعرها المتدنى وقيمتها الحقيرة .

التكنولوجيا فائقة التطور لم تتمكن من قهر الأفغان ، لأنهم يعرفون تماما هويتهم الإسلامية الأفغانية العريقة ، فليس لديهم مشكلة "هوية" كتلك التى إصطنعها المثقفون الفاسدون فى بلاد الربيع .

ـ الميزة التكتيكية الأهم التى حازها الجندى الأمريكى وحلفاؤه كانت إمكانية الرؤية الليلية ، التى تمتع بها جندى المشاة والطائرات بأنواعها ، فظنوا أنهم سيطروا على مساحة الليل الزمنية ، فتوسعوا فى الغارات الليلية لمداهمة القرى ومراكز المجاهدين . وكان من المفترض أن يحدث ذلك التطور التكنولوجى إنقلابات كاملا فى قواعد حرب العصابات حيث يعتبر الليل صديقا للمقاومين ، وفيه يسيطرون على مساحات الأرض التى لايستطيعون الظهور فيها أثناء النهار . يعنى ذلك التطور التكنولوجى أن المساحات الزمنية للنهار والليل أصبحت ملكا للغزاة ، فلا مجال للمقاومة .

الحصول على تلك الميزة لم تكن مستحيلة بالنسبة للمجاهدين فقد حصلوا على مناظير الرؤية الليلية من الغنائم والبعض الآخر من السوق الحرة ، أو من المدن الأفغانية التى حافظوا على سلامتها فوجدوا بها سلعاً عسكرية نادرة ، والبعض الثالث من قوافل الإمداد المدمرة سواء فى مناطق القبائل فى باكستان أو داخل أفغانستان . أما الطائرات بدون طيار فقد أسقطها المجاهدون بوسائل متعددة منها البنادق العادية. و طائرات الهيلوكبتر لم تعد وسيله نقل آمنة ، فحجمها الأكبر وسرعتها الأبطأ جعلتها أكثر عرضة لنيران المجاهدين وصواريخهم.

تكنولوجيا متقدمة .. وجندى مهمش :

التناقض صارخ فى الجيش الأمريكى بين التكنولوجيا العالية جداً والجندى المنحط للغاية . لقد إنعزل الجيش عن الشعب الأمريكى . فالتجنيد القائم على مبدأ التعاقد بالأجر ، ويستهدف الفئات المهمشة للحصول على مجندين من الفقراء أو الأجانب الباحثين على إقامة دائمة ، أو الطلاب العاجزين عن متابعة الدراسة لأسباب مادية ، أو النساء اللاتى سدت فى وجوههن أبواب الرزق الشريف. ونتيجه للنقص الشديد فى النوعيات الراغبة فى التطوع ، تساهل الجيش فى قبول المشوهين نفسيا وأنصاف المعتوهين . وقد تجلى عمل هؤلاء فى المجازر الجنونية ضد المدنيين العزل من أطفال وعجائز ونساء . وأيضاً فى الجزائم الجنسية ضد الأطفال والتى صورها بعض جنود بريطانيا العظمى ، كما تجلت فى القطع البشرية التى يرسلها جنود الحضارة الغربية كهدايا وتذكارات إلى الأصدقاء والأهل وراء البحار ، حتى تقر أعينهم بإنتصار جنودهم على شعوب الشرق الإسلامى المتخلف و "الإرهابي!!". كما إتخذ التجنيد فى الجيش الأمريكى مغزى طبقياً بإستهداف الفقراء . بمعنى أن الموت أصبح حقاً حصرياً للفقراء ، بينما الثروة والرفاهية والإستمتاع الحيواني بمنتجات الحضارة هى حكر على الأغنياء ، الذين يزداد نصيبهم منها بإرتفاع درجتهم على السلم الإجتماعى وكمية الثروة .

لم يكن ذلك خطأ وقع فيه الجيش ، بل هو رؤية فلسفية حضارية وسياسة عليا للدولة الأمريكية التى تريد إدارة حروبها بعيداً عن نبض الشعب. فالحروب أصبحت عبارة عن مجازر غير مبررة بحق شعوب لاذنب لها سوى وجود ثروات طبيعية فى بلادها ، أو تمتعت أراضيهم بموقع هام بالنسبه للإستراتيجية الإمبراطورية ، أويقع على طريق مواصلات مطامعها الإقتصادية أو العسكرية. وعندما يشعر الجندى الأمريكى أنه يخوض حرباً بشعة ويدفع فيها حياته أو يصاب فيها بعاهة مستديمة بلا أى مبرر حقيقى ، ويكتشف على أرض المعركة أن ما كان يسمعه فى بلاده عن طبيعة وأسباب تلك الحرب ما هو إلا أكاذيب ، فإنه يصبح عنصر ثورة وغضب يتحرك لها الشارع الأمريكى ثائراً، كما حدث فى الحرب الأمريكية على فيتنام حين خرج ملايين الشباب متظاهرين رفضاً للحرب الوحشية .

وذلك ما حدث للجيش الأحمر فى أفغانستان عندما إكتشف جنود الجيش الأحمر أنه لا وجود للجيوش الصينية أو باكستانية فى أفغانستان وأنهم يواجهون شعباً فقيراً أعزلاً يدافع عن أرضيه ومعتقداته . فتفكك الجيش معنوياً ، وسريعاً ما تفككت الإمبراطورية لدرجة السقوط السريع .

ولمزيد من إبعاد المجتمع الأمريكى عن هوس الحروب لدى الأقلية الحاكمة وأطماعها فى ثروات الشعوب وجنون السيطرة على العالم ، فقد إتخذوا خطوات واسعة لخصخصة الحرب – فلم تعد رسالة وطنية يقوم بها الشعب دفاعاً عن نفسه أو لحماية رسالته فى الحياة (إن كان له رسالة) ، بل أصبحت الحرب الأمريكية عملاً تجارياً تقوم بها شركات إحترافية أو حتى "عصابات جريمة منظمة " مهمتها القتل بأساليب تكنولوجية متقدمة . جيوش القوة الأعظم مكونة من الجنود الأشد وحشية وحقارة على سطح الأرض . جيوش مكونة من عناصر إجرامية تجد حقيقة وجودها عندما تغوص فى برك الدم وأشلاء الضحايا . جيوش قوامها شركات المرتزقة التى تتعاقد لخوض الحروب وينشؤها جنرالات سابقون وينضم إليها المغامرون ذوى الخبرة العسكرية السابقة . وتدفع الشركات رواتب لا يحلم بالحصول عليها أى صاحب

رتبة فى جيش الدولة. ويتمتع المرتزقة بالعصمة من المحاكمة فى أى دولة أجنبية . ولكن فى المقابل لا يحصل على أى تعويضات فى حالات الإصابة أو الموت . ولا تضاف أعداد قتلاهم فى أى إحصاء حكومى للخسائر العسكرية ، وبهذا تكون تلك الأحصائيات متواضعة جداً – إضافه إلى التخفيضات المتعمدة التى تعانى منها حفاظاً على معنويات وسمعة الجيش .

وتكرس الحكومة الأمريكية وهما لدى رعاياها أنها تربح الحروب بلا قتال ، تحت الشعار الشهير " نصربلاحرب" . ورغم أنها حققت ذلك الشعار بشكل نموذجى فى العديد من الحروب التى أطلقت عليها فى وقت لاحق تسمية رنانة هى "حروب الموجة الثالثة " وللأسف فإن المسلمين / وخاصة الجهاديين منهم / قدموا تلك الخدمة الغالية والنادرة للإمبراطورية الأمريكية. أى أنهم أسهموا بدمائهم فى تثبيت أركان تلك الإمبراطورية الشيطانية وإطالة أمد حياتها الكئيبة ، وسوف نعود الى تلك النقطة فى موضع قادم.

أمريكا والحرب :

ـ إن الحروب الأمريكية يمكن تعريفها إختصاراً : هى حروب يديرها كبار الجنرالات بالإزرار من خلف شاشات الكمبيوتر، وعلى الأرض هناك المرتزقة وأنصاف المجانيين يرتكبون المجازر تحت تغطية تكنولوجيا حرب النجوم . وعلى الأرض أيضاً لا بد من وجود حثالة المرتزقة ، وأخيراً أبطال الحرب بالوكالة الذين جعلوا من ظهورهم مطية (للطواغيت) يحاربون لأجلهم حروباً غير مقدسة يقولون أنها (فى سبيل الله!!) .

الحرب تكوين عضوى :

الحرب جزء أصيل فى البناء الأمريكى الإقتصادى والسياسى والنفسى . فالصناعات العسكرية هى عماد إقتصادى أساسى ، والحروب تعطيها دفعة كبيرة . ولتلك الصناعات جماعات ضغط فى الحكومة والكونجرس لتقرير السياسات الخارجية المناسبة ، وخلق حروب ومناطق توتر تستوعب إنتاج الأسلحة . مثلما نرى فى الخليج من توتر وأزمات بين العرب وإيران ، والنتيجة صفقات أسلحة بالمليارات تفيد أمريكا فى الأساس ثم باقى الحلفاء الأوربيين ، لكل منهم صفقات حسب درجة إنصياعه للولايات المتحدة .

جنرالات الجيش الكبار يضعون أعينهم على مستقبلهم بعد التقاعد ، لذا يقدمون خدماتهم للشركات الكبيرة بالعمل كجماعات ضغط من أجل ترويج الحروب الساخنة وخلق نقاط التوتر والحروب الإقليمية وحروب الوكالة . بعد التقاعد يعمل هؤلاء كمستشارين لدى الشركات الكبرى خاصة شركات النفط أو أنهم يؤسسون شركات " أمنية" مثل "بلاك ووتر" بتمويل من كبار الرأسماليين .

صناعة الأمن :

أرباح صناعة الأمن تنافس صناعة العسكرية ، خاصة بعد حادث 9/11 الذى صنعته الحكومة الأمريكية بالتعاون من إسرائيل و قوى داخلية نافذة من جنرالات وقادة كبار فى الجيش وأجهزة التجسس .

ـ المنتجات ذات الإستخدام المزدوج "حربى/ تجسسى" ، مثل الطائرات بدون طيار التى روجوا لها بشدة فى الحرب على أفغانستان ، ثم بدأوا فى إستخدامها للتجسس على المواطنين فى أمريكا وأوروبا بعد تطوير

قدراتها على إختراق الحجب والتصوير من خلف الحدران .سعياً نحو الغاية المستهدفة من الأنظمة الغربية (الديقراطية/الفاشية) من أجل الحصول على المواطن الزجاجى الذى لا يمكنه إخفاء أى أسرار عن عيون السلطات الحاكمة . وهم فى الطريق نحو إبتكار جهاز (كشف الأفكار) لتفتيش الأدمغة المشكوك فى ولاءها.

كما إستخدموا قبلا أجهزة (المسح الضوئى) فى المطارات لتعرية المسافرين وكشف ما تحت الملابس والجلد !! .

إختصاراً : أمريكا يحكمها الصهاينة ، وأداتهم فى الحكم هو تحالف العسكر والجواسيس ، أو نظام الجنرال والشرطى ، وذلك هو النظام الداخلى الموحد الذى رحبت به دول العالم ، نظام الثالوث غير المقدس: (المرابى الصهيونى + الجنرال الدموى + الجاسوس الشرس). أما السياسيون والمثقفون ، فهم شهود الزور وسماسرة الصفقات القذرة .

فشل التجربة الأمريكية فى كابول :

رغم تواجود الولايات المتحدة فى أفغانستان لمدة 13 عاما ً، فإنها لم تنجح فى تأسيس نظام سياسى بالأساليب التى إتبعتها لتصنيع النظم السياسية فى دول العالم الثالث . فشلت فى أفغانستان رغم الأموال الطائلة التى أنفقت والدم الذى أهدر.

والنتائج لم تكن فقط سلبية بل أدت إلى عكس المقصود منها. لقد فشلوا فى خداع الشعب الأفغانى والسيطرة علية بنظام عميل ، أو محو ثقافته الإسلامية العريقة بنماذج غربية مستنسخة ، وخلق طبقة مثقفة إعتنقت الثقافة الغربية أو تربت فى الغرب لسنوات كى تقود المجتمع بديلاً عن القيادات الأفغانية التقليدية ، وتستبدل الإسلام بالليبرالية الغربية ، وتحتقر كل ما هو محلى وأصيل وتمجد كل ما هو جديد ومستورد . أى بإختصار: تخريب المجتمع الأفغانى بأمركته ثقافياً .

قبل الغزو خلقت أمريكا تحالفاً أفغانيا موالياً لها أسمته تحالف الشمال ، مكوناً من طيف واسع من المرتزقة الذين تعاونوا مع الأمريكين خلال فترة الحرب ضد السوفييت . وشملت جبهة (تحالف الشمال) عملاء سابقين عملوا لصالح الإحتلال السوفيتى ، وأكبر رموزهم "عبدالرشيد دوستم" قائد ميليشيا (جلم جم) ، وقد عمل عند الإمريكان بعد الإحتلال رئيساً لأركان الجيش الأفغانى ، فى سخرية حمقاء دفعوا ثمنها غالياً ، إذ كشفت بسرعة للشعب الأفغانى أصول الخدعة الأمريكية المستهترة ، وعدوانيتها للشعب ومعتقداته وتاريخه القريب والبعيد.

وضمت الجبهة قيادة تنظيمات "جهادية" تم تسويقهم فى مرحلة الحرب السوفيتية على أنهم "أصوليون" أو "متشددون" ، أو " أبناء الحركة الإسلامية" و"خير من أنجبتهم الأمة الإسلامية منذ قرون" ، حسب قول أشهر دعاة الجهاد فى أفغانستان – الدكتور عبد الله عزام – فى تزكيته لقيادات الإخوان المسلمين فى أفغانستان . كما ضمت الجبهة الأحزاب الشيعية الموالية لإيران ، مع القيادات السنية الجهادية الموالية لباكستان والسعودية ، و ممثلين عن العرقيات الرئيسية جميعاً.

ـ تلك كانت المظلة السياسية للنظام الجديد . أما " كرزاى" الزعيم و رمز المرحلة ، فقد حاولت أمريكا صناعته بطريقة أفلامها السينمائية ، وبيعه للأفغان على أنه البطل المخلص الذى جاء على رأس جيوش أمريكا وحلف الناتو كى يحرر أفغانستان من حكم إسلامى غير مرضى عنه أمريكياً ولا يتوافق مع تعريفها للإسلام "الوسطى" والعقيدة "الصحيحة" !! .

فى أول زيارة للزعيم فى بداية الغزو ، حملته المروحيات الأمريكية إلى حافة قندهار، حتى يجتمع بكبراء القوم ويقنعهم بفوائد الإحتلال وغزارة أمواله . ثم إختار الأمريكيون له ثوب "الزعيم الإصلاحى !!" الذى يطالب المحتلين بحقوق الوطن وكرامته ويقف أمامهم منتفشا معترضا ، لعله يقنع الأفغان بأنه الزعيم الملهم الذى يدافع عن الشعب ، رغم أن الإحتلال قد جاء به محمولاً على طائراته وعين له حرساً خاصاً من الإستخبارات الأمريكية ، ومع ذلك فهو زعيم وطنى وغيور!! .إضافة إلى إمتلاكه سلسلة مطاعم منتشرة فى الولايات المتحدة ، فإن كرزاى / حسب قول الأمريكيين / كان موظفا فى الإستخبارات الأمريكية ومستشارا لإحتكارات النفط الراغبة فى العمل فى المنطقة .

الجهاز الحكومى الجديد إزدحم بأبناء الإحتلال الذين قدموا فى ركابه ، ومعظمهم يحملون جنسيات الدول المحتلة لأفغانستان ، وكانوا مهاجرين إلى تلك الدول خلال فترة الحرب مع السوفييت ، وهناك تعلموا وحصلوا على شهادات دراسية عليا، والعديد منهم تخلى عن ديانته الإسلامية وإعتنق ديانه المحتلين . وكانت تلك وسيلتهم للحصول على حق الإقامة فى الغرب وضمان مصدر رزق دائم ، وربما الحصول يوما على جوائز دولية فى الآداب والفنون أو مزحة " نوبل للسلام" . وكانت دول الغرب تدخرهم لمثل ذلك اليوم ، لإعادة إستخدامهم فى إستعباد أفغانستان بأيدى أبنائها المتحولين .

الجيش الجديد الذى بنته أمريكا، وأنفقت عليه المليارات ، إستفادت فيه من قادة الميليشيات الشيوعية السابقين مثل "عبد الرشيد دوستم" ، كما قدمت "الأحزاب الجهادية" السابقة فلذات أكبادها للعمل فى خدمة الإحتلال كقيادات اللأجهزة الأمنية والإستخبارات ، وتكوين شركات أمنية تحصل على ملايين الدولارات لتجنيد المرتزقة الذين يتولون حماية المحتل بالروح والدم . فالذين قاتلوا السوفييت لقاء الدولارات الأمريكية ، قاتلوا شعبهم لقاء نفس الدولارات التى أصبحت معبودهم الجديد الذى يقاتلون لأجله "جهداً فى سبيل الدولار" . وحتى فتاوى زعمائهم خاصة سياف بلحيته العظمي / اللائقة بمكانته كزعيم لتيار الإخوان المسلمين فى كل أفغانستان ، وحامل الأفكار القطبية الحاسمة / عمل كماكينة للفتوى ضد الجهاد وتكفيراً للمجاهدين ، مطالباً بصلبهم على مداخل العاصمة كابول ، عبرة لمن يعتبر !!.

ثم يعقد مؤتمرات دينية واسعة ، بتمويل الإحتلال الأمريكى ، يجلب إليها "علماء" من عشرات الدول الإسلامية ، وأيضا من "الأزهر" الشريف الذى درس فيه فى مقتبل شبابه ، كى يؤيدوا تحريم وتجريم الجهاد ضد الإحتلال الأمريكى لأفغانستان . وتناسى هؤلاء فتاويهم الملتهبة لتأييد جهاد الأفغان ضد السوفييت وكيف إشتهرت فتواهم بأن (الدفاع عن أراضى المسلمين تعتبر أهم فروض الأعيان).

الآن أصبح السلام والصداقة الإستراتيجية ، من نصيب المحتلين وسارقى الأوطان ، والتجريم والتكفير من نصيب المجاهدين . ثم يطلقون وصف وسطية وإعتدال على تواطؤهم المخادع مع العدو ، وصدق قول أحد العارفين (مانبت ذل إلا من بذور الطمع) . فذلك النهج الذليل هو نبته طبيعية لعبادة الدولار وإتخاد الذهب

عجلاً يعبد من دون الله . وفى ذلك يكمن السبب الأعظم وراء إنحطاط المسلمين وتمزقهم فى ذلك العصر الكئيب . ولمن أراد معرفة المزيد عليه بالبحث عن أسرار وطقوس عبادة العجل الذهبى فى هذا الزمن الذى أذل فيه الدولار أعناق دعاة ونشطاء ، مقاتلين وقتلة ، مثقفين وعلماء ، ثوار وخونة ، ربيع وشتاء . بل يدعى العجل الإمساك بمفاتيح الجنة والنار .

ذلك البنيان الضخم الذى أقامته أمريكا كان هشا ومتهافتاً لدرجة أن إختراقه لم يكن شديد الصعوبة أمام كوادر حركة طالبان ، فتناثروا داخل المنظومة ولم ينفصلوا عنها – كما انفصلوا عن المنظومة التى أقامها السوفييت خلال إحتلالهم السابق – فالإلتصاق بالعدو فى كافة الميادين أبطل تأثير التكنولوجيا ، فلا تكتشفهم طائرات بدون طيار ، ولا صواريخ موجهة بالأقمار الصناعية ، ولا يمكن مراقبتهم بأجهزة الرؤية الليلية أو الإستشعار عن بعد .

الحصول على المعلومات الدقيقة من داخل صفوف العدو جعلت ضربات المجاهدين دقيقة وصاعقة ، حتى أضحت الضربات النوعية أحد أسلحتهم الإستراتيجية المؤثرة على مجرى الحرب.

الإختراق والضربات النوعية أدت إلى تصدع الترتيبات الأمريكية فى كابول ، وتفكيك البنيان الحكومى ، وإنتشار الخوف وعدم الثقة بين جميع المسئولين الناهبين ، فتدفقت حقائب الدولارات المنهوبة علنا عبر مطار كابول ، وتوجهت مئات الملايين إلى الهند ودول الخليج العربية وأوروبا . ولا أحد هنا أو هناك يسأل عن شهادة منشأ . رغم أن كميات ضخمة من أموال المخدرات التى يحصل عليها المتعاونون كانت ضمن ذلك السيل المتدفق ، وغابت من هناك الشبهة التقليدية الخاصة بغسيل الأموال أو بتمويل ذلك الإرهاب المفترى عليه .

الحكومة الأكثر فسادا فى العالم :

حكومة كابول ، التى أسسها ويرعاها الإحتلال هى أكثر أنظمة العالم فساداً حسب التقديرات الدولية . والسبب الأساسى هو إنعدام الثقه فى الإستمرار، وإن الإحتلال إلى زوال . فالأرض الأفغانية تتفجر تحت أرجل جيوش الناتو، بينما العملاء المحليون أعجز من الحفاظ على أمنهم الشخصى ، وهم يشعرون بأنفاس المجاهدين تلهب أقفيتهم . وكل / ما ، ومن/ حولم قد يكون قنبله شديدة الإنفجار.

ـ الرشوه والفساد والوظيفى سارت جنباً إلى جنب مع ضعف البنية السياسية للنظام وثقل وطأة التدخل الأجنبى وتدفق أموال المساعدت الأجنبية التى تصب أولاً فى جيوب الكبار ، وإذا تبقى شئ فإنه يصل إلى الجيش وشركات الأمن الخاصة. والمقاولون المعماريون ينهبون نصيبهم ، والدول المحتلة تستعيد 70% مما تقدمه من معونات عن طريق المبالغة فى رواتب مواظفيها وأسعار ما تورده من معدات .

يعتمد جيش الإحتلال على شركات المرتزقة كأساس لعملة العسكرى، والقوات العسكرية المحلية قائمة هى الأخرى مثل الجيش الأمريكى على الإغراء المادى للمهمشين ، فإجتذبت إلها أوباش المجتمع ومطاريد القبائل واللصوص المحترفين والقتلة . طبيعى فى هذه الحالة أن يكون أمن المواطن هو أول الضحايا، وطبيعى أيضاً أن تكون حركة طالبان هى الملجأ لكل خائف ومظلوم طلباً للعدل والحماية . وهكذا تعطى السياسات الأمريكية عكس المطلوب منها وتعمل ضد أمريكا نفسها وضد الإحتلال وأهدافه .

ديموقراطية الهيروين:

الأفيون كان هوالدافع الأهم للعدوان على أفغانستان . خاصة بعد ما أمر الملا محمد عمر أمير المؤمنين وقائد حركة طالبان بوقف زراعته فى الأراضى التى تسيطر عليها الإمارة (95% من مساحة البلاد وقتئذ) فكان ذلك إيذاناً بدء الحرب سريعاً قبل أن يحين موعد بذار الخشخاش للموسم التالى فى عام 2002 .

وإدعت قوات الإحتلال وقادتها الأمريكيين أن التفويض الذى لديهم لا يشمل محاربة المخدرات(!!) . ولكن الواقع يقول أن التفويض الذى لديهم يتيح تنشيط زراعة الأفيون والتوسع فى إستخراج الهيروين بوسائل أكثر تطوراً حتى زاد إنتاجه أربعين ضعفاً خلال السنوات الثمانية الأولى من الإحتلال (!!) .

ولم يتراجع التطوير وزيادة الإنتاج وإستشراء فساد الهيروين فى أوساط القائمين عليه من جنرالات ومافيات الإحتلال ، وخطوطهم الخلفية فى الإدارات العسكرية والأمنية والسياسة والتشريعية من واشنطن إلى كابول ، مروراً بعدد من عواصم الغرب الكبرى المشاركة فى عملية نشر "يموقراطية الهيروين" فى أفغانستان و العالم . وهى ديموقراطية تعود على البنوك الأمريكية بأكثر من ترليونى دولار سنوياً . ناهيك عن ديموقراطية الكوكايين التى يحرسها وينميها الجيش الأمريكى فى كولومبيا ، المزرعة الأكبر فى العالم لنبات الكوكا . كما أفغانستان على يد الجيش الأمريكى نفسه الذى حولها إلى أكبر مزرعة فى العالم لنبات الخشخاش " الأفيون" والقنب الهندى" الحشيش" .

الأفيون فى إستراتيجية الحرب :

ركز الجيش الأمريكى معظم زراعة الأفيون فى ولاية هلمند التى تتمتع بشبكة رى هى الأفضل فى أفغانستان ، ومناخ صحراوى حار مناسب لزراعة الخشخاش ، فوصل إنتاج تلك الولاية فى أحد سنوات الإحتلال إلى 92% من إجمالى إنتاج أفغانستان من الأفيون وحوالى 95% من إنتاج العالم كله . وبنفس النسبة تقريباً ركز الجيش الأمريكى قواته وقوات أقرب حلفائه الأنجلوساكسون (بريطانيا وكندا وإستراليا) فى هلمند وما حولها خاصة قندهار وآرزجان . وأقاموا هناك أكبر قواعد لحلف الناتو على مستوى العالم أجمع (قاعدة باستيون) التى تمكن المجاهدون من إقتحامها وشن هجمات مذهلة ، مدمرين أكبر عدد من أحدث الطائرات الحربية فى أسوأ كارثة منى بها حلف الناتو فى تاريخه القتالى الخامل .

ضربات الطائرات بدون طيار كانت محكومة فى الأساس باحتياجات حرب الأفيون ، خاصة ما يتعلق بضرب مراكز تصنيع الهيروين فى وزيرستان وراء الحدود الباكستانية ، إو ضرب قوافل التهريب غير المجازة أمريكيا ، عبر الحدود الشمالية مع طاجكستان أو مع باكستان جنوبا ، أو مع وإيران غربا.

الأفيون والسياسة الداخلية :

إستخدم الإحتلال الأمريكى الأفيون كسلاح أساسى فى السياسة الداخلية لإدارة أفغانستان . وقد رأينا كيف أنه كان عنصرا أساسياً فى تحديد الإستراتيجية العسكرية وتوزيع قوات الإحتلال ونوعيتها بل وعنصريتها الإثنية والدينية.

الأفيون هو الغنيمة الكبرى فى تلك الحروب وقد إستحوزت عليها القوات الأمريكية، ولكن المرونه الأمريكية والمهارة فى عقد الصفقات مع الآخرين إستدعت توزيع جزء من تلك الغنيمة على الشركاء ، بالذات الشركاء المحليين ، فعليهم يعتمد الإحتلال فى قمع المقاومة المحلية وتمهيد البلد لإستعمار طويل الأمد ، وإنهاء الإلتزام الأفغانى الجاد بالإسلام . وقد تسلم كل طرف حصة من الغنيمة تتناسب مع دوره فى خدمة الإحتلال . فمثلا الرئيس كرزاى وعائلته نالوا نصيب الأسد من الغنائم المحلية ، لكونهم عملوا كسماسرة ووسطاء بين الإحتلال ومزارعى الأفيون فى هلمند ، لتوريد المحصول إلى الجيش الأمريكى لتحويله إلى هيروين فى قواعدة العسكرية ونقله جواً إلى أرجاء العالم . ومعلوم أن الولايات المتحدة هى المستهلك الأكبر المخدرات فى العالم .

ـ الأفيون وأحيانً الهيروين يذهب إلى عصابات الجريمة المنظمة ، التى تعمل فى المنطقة عبر حدود باكستان وإيران وصولا إلى وتركيا وجمهوريات آسيا الوسطى خاصة طاجيكستان التى تعتبر منفذ روسيا الإتحادية على كنوز الهيروين فى أفغانستان ، وتلك كانت هى الرشوة الكبرى التى قدمتها الولايات المتحدة لروسيا مقابل تعاونها فى الحرب الأفغانية وعدم إثارة المتاعب أمام أمريكا وحلف الناتو هناك . وسوف نرى أن الرشوه التى قدمتها أمريكا للصين على شكل عقود إستخراج المعادن ، خاصة النحاس والحديد والنفط ، وعقد إنشاء ميناء جواد فى باكستان على بحر العرب ، والذى أنشأه الإحتلال كمنفذ إستراتيجى لإستقبال خطوط الطاقة القادمة من أسيا الوسطى عبر أفغانستان ، ومعبرا فرعيا للمخدرات ومواد أفغانية أخرى منهوبة .

عصابات الجريمة المنظمة فى تلك المنطقة تستهدف جمع المال فقط ، لذا فهى تعمل مع الجميع ضد الجميع ، وتتعاون مع الإحتلال فى مجال التجسس على حركة طالبان ، و تحركات الأفراد والأسلحة والمجموعات المسلحة فى تلك البلدان ، ومصانع الهيروين السرية أينما وجدت ، على إعتبار أن عملية التصنيع محصورة بالجيش الأمريكى وعدد محدود من كبار المتعاونين معه داخل أفغانستان .

العبث بخريطة توزيع وتصنيع الهيروين هو أمر غياة الصعوبة ، حيث أن السوائل الكيماوية اللازمة محصورة بشكل كامل تقريباً بالجيش الأمريكي الذي يستجلبها بالطائرات ويوزع الكميات التى يراها مناسبة على كبار المتعاونين معه من السياسيين والزعماء القبليين ومديرى شركات المرتزقة المحليين.

ـ ولأغراض سياسة وعسكرية أراد الإحتلال شراء القبائل والمزارعين العاملين فى زراعة الخشخاش. وحيث أن الإمارة الإسلامية فى السنة الإخيرة من حكمها كانت قد حظرت زراعة الأفيون بما تسبب فى مشاكل ضخمة للمزارعين ، فجاء الإحتلال وأعلن السماح بزراعة الأفيون بل والإنطلاق بها إلى الحد الأقصى ، بمنح التسهيلات والخدمات التقنية والعلمية والبذور المحسنة . فإرتفعت إنتاجية الأرض بشكل ملحوظ لدرجة أن تقلص المساحات المزروعة فى بعض الأحيان ، لأسباب مناخية أو بسبب هجمات المجاهدين وسيطرتهم على مناطق بشكل دائم أو مؤقت ، لم يؤثر ذلك على الناتج النهائى لمحصول الأفيون الذى ارتفع من185 طن فى آخر عام من حكم الإمارة الإسلامية إلى ما 4000 طن بعد عدة سنوات من الإحتلال .

ومن أجل ضمان ولاء القطاع السكانى العامل فى زراعة الخشخاش والذى يعتمد عليها كمورد إقتصادي أساسى ، رفع الإحتلال الأمريكى سعر الأفيون الخام حتى تتحسن الحالة الإقتصادية لقطاع واسع من السكان بأكثر مما كان فى أى وقت ، سواء فى عهد حكم طالبان أو حقبة الإحتلال السوفيتى .

مع كل تلك الدقة والذكاء فى التخطيط إلا أن النتائج جاءت معاكسة . فالقدرة المالية الإضافية التى وصلت إلى السكان إنتقلت فى نفس الوقت إلى الحركة الجهادية المقاومة التى تقودها حركة طالبان ، والسبب كان ببساطة هو قوة الإعتقاد الدينى لدى السكان . ليس ذلك من المبالغة فى شئ ويكفى أن هؤلاء المزارعين عندما طلب منهم الملا محمد عمر (أمير المؤمنين فى الإمارة الإسلامية) أن يوقفوا زراعة الأفيون ، ذهبوا إليه غاضبين فاجتمع بهم ليسمع إعتراضاتهم .فقالوا له أن العلماء لم يفتوا يوماً بتحرم زراعة الأفيون على إعتبار أنه نبات طبى ، وأن الأفغان لا يتناولونه عادة لغير ذلك الغرض . فوافق الملا عمر على قولهم وقال إنه يطالب بمنعه لمصلحة البلاد ونتيجة للضغوط والتهديد الخارجى وسمعة الإمارة فى العالم ، وأنه لن يجبر أحد على الإلتزام بالأمر وسيترك ذلك لإختيارهم . والنتيجة أن الجميع إلتزموا بقرار الإمارة على أساس أنه صادر عن القيمة العالية للحاكم بإعتباره أميراً للمؤمنين واجب الطاعة .ولم يتغير الحال رغماً عن الإحتلال ، وظل الولاء والطاعة لصاحب المكانة الشرعية الدينية ، وليس لأصحاب شرعية الإحتلال ، هذا إن كان للإحتلال شرعية لدى أحد فى أفغانستان .

للشباب : هيروين وإيدز .

نشر وباء تعاطى الهيروين بين الشاب ، ومعه إنتشر وباء الإيدز ، هدايا للشباب الأفغانى قدمها لهم الإحتلال الامريكى /الأوروبى . وهى مصائب لم تكن تعرفها أفغانستان قبل وقوع مصيبة الإحتلال . وإفساد الشباب ليس فقط لصرفهم عن "غريزة مقاومة الإحتلال" الفطرية لدى الأفغان ، ولكن أيضا لنشر أسلوب الحياة الغربي والثقافة الأمريكية ، وتفتيت صلابة الشعب المتماسك إجتماعياً ودينياً ، وتحويله الى قطيع شهوانى بلا قيم أخلاقية أو دينية ، وبذلك تسهل السيطرة عليه ودوام الإحتلال بأقل التكاليف .

للجميع : الخوف والجوع .

ضعفت الحكومة المركزية وانتشر الإجرام القانونى على هيئة شركات الأمن التى توظف القتله والمجرمين لخدمة الإحتلال وحماية قوافله وقواعده ومنشآته . وطبيعى أن يتوسع نشاط شركات الأمن ليشمل الإختطاف بهدف طلب فدية ، والإتجار فى المخدرات ، وإختطاف الأطفال وبيعهم ، أو المتاجرة بأعضائهم ، ولتجارة الرقيق الأبيض .ونظراً لإحتياج الإحتلال لخدماتهم صاروا فى مركز قوة ، وعملو خارج مظلة القانون الذى لم يعد يحترمه أحد .

وتحطمت القوارير : النساء والأطفال .

تدفق المليارات على البلد ، وسع مساحة الفساد السياسى والإدارى . وانتشار الثقافة الغربية بكل قوة وإصرار وسع من رقعة الفساد الإخلاقى .كما إرتفعت أسعار السلع فزاد الفقراء فقراً ، وعجزت الأسر الفقيرة عن إعالة اطفالها فشهدت تلك البلاد ولأول مره حالات بيع الأطفال كى يلاقوا مصيراً مجهولاً بإخراجهم من البلاد والمتاجرة بهم كبشر أو كمجرد أعضاء آدمية . ولأول مرة يشهد المجتمع الأفغانى

المترابط والمتكافل حوادث إنتحار النساء حرقاً ، أو إدمان النساء على المخدرات تحت ضغط معضلات الحياة ، أو الأم التى تبيع أطفالها. وكلها أحداث غريبة على ذلك المجتمع الصلب المتماسك إجتماعيا، ولكنها أصبحت معتادة فى ظل الإحتلال الأمريكى ، ولم يكن متخيلاً حدوتها فى أى حقبة سوداء مرت بتاريخ أفغانستان .

تعليم من أجل التدمير :

لم ترسل أمريكا بجيوشها إلى أفغانستان وتتكبد خسائر بترليونات الدولارات (كخسائر مباشرة أو غير مباشرة) من أجل تعليم أبناء الشعب الأفغانى أو النهوض بذلك الشعب المسلم . فالتعليم الذى بثه الإستعمار الأوروبى لم يساهم فى غير تخلف بلاد المسلمين حتى الوقت الراهن . وأهم أهداف الإستعمار من ذلك النعليم كان خلق طبقة متعلمة منسلخة عن دينها وعن ثقافة شعبها . تلك الصفوة المثقفة كما يطلقون عليها ، عندما تولت زمام الحكم فإن كل ما قدمته كان حراسة مكاسب الإستعمار والبطش بشعوبها التى طال تأثير التعليم الغربى عليها فلم تعد بقادرة على تحرير نفسها أو إبصار طريقها ، أو حتى التمييز بين العدو والصديق ، وفقدت مجرد القدرة على ترتيب أولوياتها . وأحداث الربيع العربى بها من تلك الدروس ما يفطر القلوب .

ومع ذلك يباهى الإحتلال الأمريكى بعدد المدارس التى بناها فى أفغانستان وأعداد الأولاد والبنات الذين دخلوا مدارسة وتلقوا مناهج التعليم التى وضعها وطبع كتبها فى الولايات المتحدة . هذه المباهاة كلها مغالطة لأن فلسفة التعليم الأمريكى لأطفال أفغانستان وشبابها تأتى من منظور الغزو الثقافى لاغير ، فالمستعمر غير معنى بالتعليم فى حد ذاته ، بل معنى بغزو ذلك المجتمع الصلب ثقافياً ودينياً.

فمناهج التعليم تركز على غرس القيم الإجتماعية والفكرية للغرب المستعمر وإخفاء تاريخ أفغانستان، وحظر المعانى الدينية وعلى رأسها الجهاد فى سبيل الله ، الذى هو شعار المقاومة والتحرير وصيانة الإستقلال وإحياء شرائع الدين وحدوده المقدسة لدى الأفغان.

مدارس البنات كانت أكثرعرضة للغزو الثقافى ، وعرض فيها نموذج المرأة الغربية كبديل لنموذج المرأة المسلمة وتقاليد النساء فى المجتمع الأفغانى المحافظ والغيور.

وزاد الطين بله محاولات التنصير التى تتم فى المدراس . وقد عرض التحول الدينى على الطلاب و الطالبات علانية ، وهو ما أسفر عن ثورات عنيفة للأهالى ، وحرق المدارس ، فإتخذ التنصير الطابع السرى والدعوة الفردية فى المدارس وانتشرت الكنائس السرية أو شبه السرية فى أنحاء المدن الأفغانية . ويقترن التبشر بمغريات الوظائف الجيدة والهجرة والبعثات التعليمية فى الخارج .

وفى فترة الغزو السوفيتى لأفغانستان لم يكن فى تلك البلاد مسيحى واحد ، ولكن نتيجة تسهيل الهجرة إلى الغرب وتشجيها بواسطة المؤساست "الإنسانية" و"الخيرية" عاد إلى أفغانستان مع الغزو الأمريكى عدد من المسيحيين الأفغان قد يصل إلى مئات أو ألاف ، ويتمنى الإحتلال أن يتحولوا إلى قنبلة موقوتة وبشائر " فتنة دينية" يثيرها "متعصبون إسلاميون" أفغان !!!.

لايمكن تجاهل الغزو الثقافى عن طريق التعليم ومدارس الإستعمار ، ولكن المجتمع الأفغانى مازال قوياً مقاوماً . و مقاومة الإحتلال شهدت مشاركة ملموسة من أجيال تعرضت لأخطار التعليم الأمريكى ، وشاركوا فى مظاهرات وإحتجاجات علنية ، والبعض شارك بالمقاومة بالسلاح أو بوسائل أخرى متفرقة . فمازال تأثير المجتمع بثقافته وقيمه أقوى من تأثير التعليم الأمريكى أو الغزو الثقافى لعقول الأجيال الجديدة فى أفغانستان .

فالنجاح النسبى للإستعمار الأمريكى فى مجال الغزو الثقافى والفكري عبر التعليم والإعلام سوف يتم التغلب عليه بعد جلاء المحتلين ، ولكنه سيكون من أصعب التحديات نتيجه لإستمرار الغزو الثقافى عبر الأجواء والحدود . ومهمه التصدى له ستكون أيضاً مستمرة وصعبة ، عبر تعليم جديد وإعلام جديد وعمل إجتماعى واسع كما سنذكر فى موضعه.

تحديات الوضع الداخلى :

قوة الوضع الداخلى للدولة هى أساس كل قواها الأخرى . فإذا تكلمنا عن قوة الدولة فى مجالاتها الإقليمية والدولية وسياستها الخارجية سنجد أن قوة بنيانها الداخلى هى الأساسى . وإذا بحثنا عن قدرتها فى الحفاظ على سلامتها الداخلية وحمايتها من العدوان الخارجى سنجد أن متانه بنيانها الداخلى هو الأساس .

ـ عوامل قوة الشعب الأفغانى التى مكنته من هزيمة ثلاث غزوات كبرى متلاحقة تعرض لها من إمبراطوريات كانت عظمى فى زمانها ، هى نفسها عوامل القوة التى يجب ترسيخها والحفاظ عليها بكل قوة من أجل إعادة بناء أفغانستان الجديدة ، أفغانستان التى عليها مسئوليات جسام فى الزمن القادم ، و مواجهات لا تقل أهمية من معاركها مع إمبراطوريات العدوان ، التى حاربتها منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن الحادى والعشرين .

ـ المعركة القادمة هى معركة الدخول بأفغانستان القوية إلى العصر الجديد الذى تنتقل فيه قيادة البشرية وقوتها إلى آسيا فى مجموعة دول تقع على تخوم أفغانستان . ولايمكن القبول بأن يكون ذلك البلد الذى مهد للنظام الدولى بعد كل إنتصار له على امبراطوريات عظمى معتدية ، أن يكون خارج الزمن الجديد . كما أن ضعف أفغانستان وتخلفها سيكون جاذبا للتدخلات الخارجية ، أو حتى محاولة السيطرة الكاملة عليها ، ولو بشكل غير مباشر . ومفتاح دخول أفغانستان إلى العصر الدولى ، الجديد الذى صنعته بجهاد أهلها ، هو العمل بقوة من أجل نهضة على أسس إسلامية صحيحة ، فى كافة المجالات ، تعليمية فى الأساس ثم علمية وثقافية وتكنولوجية ، صناعية وزراعية.

ومعنى أسس إسلامية صحيحة : أنها قائمة على العدالة والمساواة بين مواطنيها ، بلا فرق من عرق أو لون أو مذهب . وتحقيق الكرامة والأمن ، وتوفير العيش الكريم والمسكن الملائم والرعاية الصحية . والتعليم على أفضل ما يمكن توفيره للجميع .

ـ الإيمان والوحدة ، هما أقوى أسلحة الشعب الأفغانى التى إنتصر بها على جميع الغزاة ، وهى أقوى أدواته فى بناء دولته الحديثه ، وإصلاح ما هدمته الحروب المتصلة . ومعلوم أن الشعب الأفغانى مستهدف من قبل أعدائه فى هاتين النقطتين تحديداً ، أى النيل من إيمانه ومن وحدته .

الفتنة الكبرى .. مقتل المسلمين :

أولاً : الدول الإسلامية كلها مهددة بإشعال الفتن والإقتتال الداخلى ، والهدف هو القضاء على أى أمل يراود تلك الشعوب فى إقامة نظام حكم إسلامى عادل وصحيح . وإضعافها وتقسيمها لتسهيل إبتلاعها وسرقة ثروتها والإستيلاء على أراضيها والإستفادة من موقعها الجغرافى . وتفتيت المجتمع المسلم إلى فئات متناحرة وضعيفة وجميعها يستنجد بالمستعمر طلبا للحماية .

ومقولة الشرق الأوسط الكبير، باتت مشهورة جداً ، وفهم الجميع معناها الذى هو إغراق الدول العربية فى مشاكل داخلية لاحصر لها، محورها إقتتال السكان على أساس عرقى وطائفى ومذهبى ، وتقسيم الدول القائمة إلى مكونات أصغر وأضعف ، وبهذا يصير المسلمون خارج مسار التاريخ ، ويتقدم العالم ويتخلفون ويزدادون فقراً وضعفاً وتراجعا .

أهم عناوين ذلك الصراع الداخلى وأخطرها كان هو الصراع المذهبى بين السنة والشيعة . وعلى ذلك الأساس تأسست الكثير من التنظيمات والجماعات وسالت أنهار من الدماء . وإرتبطت الموجة الجديدة من ذلك الصراع بقيام الثورة الإسلامية فى إيران ، فتحول النظام هناك من حليف إستراتيجى لأمريكا وإسرائيل والدول العربية إلى عدو سياسى ومذهبى لجميع هؤلاء . والخوف الحقيقى لم يكن من المذهب الشيعى بل كان التوجهات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية لتلك الثورة .

معروف أن برنامج الفتنة العظمى هو من أفكار إسرائيل وبالتطبيق مشترك بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية . وفى المنطقة العربية تجلت عبقرية التخطيط للفتنة . فالثورات المجهضة أو المفتعلة فى " الربيع العربى" أفشلت إمكانية الثورة الحقيقية ، التى تستهدف النهوض الحقيقى والجهاد ضد إسرائيل والهيمنة الأمريكية . وقامت الفتنة العربية لإستكمال برامج أمريكا وإسرائيل فى المنطقة والحفاظ على مصالحهما بأيدى محلية ، وطنية و" إسلامية !! " .

من ملامح الفتنة العظمى إستعانة أطرافها المحلية بالعون الخارجى ، حتى يمكن إعتبارها حرباً بالوكالة . وظهر فى الدول العربية " ثورات بالوكالة" أى أشعال ثورات هى أقرب للفتن بتمويل ودعم خارجى سياسى ودعائى وصل فى الحالة السورية والليبية واليمنية إلى درجة الإمداد بالسلاح ، بل ودعم من الأمم المتحدة ، التى هى وكر التآمرعلى العرب والمسلمين .

أفغانستان وأوراسيا ، فى برنامج الفتنة العظمى :

لأفغانستان أهمية كبرى فى برنامج الفتنه العظمى الذى تسعى إلى ترويجه الولايات المتحدة وإسرائيل . ولكل منهما حساباته الخاصة . تلك الفتنة لن تهدد أفغانستان فقط ، بل تهدد بشكل أكبر جميع الدول المحيطة بها. فتلك المنطقة زاخرة بالقوميات المجزأة بحدود سياسية . وجميع تلك الدول تعانى شكلاً من أشكال المعارضات الداخلية ، على أساس دينى أو عرقى ، وتقع أفغانستان فى مركز ذلك التعقيد البشرى . لأجل ذلك ينتاب دول المنطقة قلقاً ـ ربما كان مبرراً ـ من إتجاهات الحكم القادم إلى أفغانستان بعد تحريرها من إحتلال أمريكا وحلف الناتو.

تستهدف أمريكا من إشعال الفتنة الكبرى فى تلك المنطقة إستزاف ، أو حتى على المدى الطويل إستبدال ، عدد من أنظمة الدول الهامة . مستخدمين سلاح الفتن الداخلية خاصة "الورقة الإسلامية" ضد كل من الصين وروسيا ، وإستخدام الورقة الطائفية والعرقية ضد كل من إيران وأفغانستان نفسها. وترى مدارس إستراتيجية معتبرة فى الغرب أن السيطرة على العالم تستلزم السيطرة على / أو إحتلال/ منطقة "أوراسيا" الممتدة من حدود أوروبا الغربية إلى شواطئ بحر الصين . وذلك يفسر تماما ما يحدث فى تلك المنطقة من أحداث فى أوكرانيا وجورجيا والقوقاز والجمهوريات الإسلامية وأفغانستان ومنطقة سينكيانج الإسلامية فى الصين . فمعظم الإضطرابات والحروب والثورات فى تلك المنطقة تحت أيادى مهندسى الفتنة فى دول الغرب ، تندرج تحت تلك الإستراتيجية الإستعمارية ، التى عبرعنها بشكل كامل البلاغة والوضوح "زبجنيو بريجينسكى" مستشار الأمن القومى السابق فى الإدارة الأمريكية .

- ترغب أمريكا ودول الخليج فى إستخدام أفغانستان كركيزة لحرب عصابات " سنية" ضد إيران "الشيعية" ، بهدف إسقاط نظامها أو إضعافة بشدة بحيث يمكن إسقاطة بضربة يسيرة فى متناول أمريكا أو إسرائيل أو كلاهما معا . تلك الحرب الطائفية سوف تنهى إيران وأفغانستان معا ، فيخرجان تماما من خريطة العالم السياسية ونظامه الدولى القادم ، وكلاهما مرشح لدور كبير جدا فى ذلك النظام ، خاصة إذا ساد بينهما نوع من التفاهم والتناغم الإستراتيجى لخلق كتلة إسلامية حضارية ومتعاونة فى أسيا الوسطى وجنوب القارة خاصة فى باكستان والهند وبنجلادش ، وشرقها خاصة فى الصين . تتمنى الولايات المتحدة وعملاؤها الإقليميين إلهاء الشعب الأفغانى عن بناء دولة إسلامية حديثة وقوية بحرب إقليمية مع إيران ، فى مقابل مليارات تتدفق من أموال النفط العربى ، وملايين من أطنان الأسلحة الأمريكية ، وآلاف من المتطوعين العرب وغير العرب ، على نمط ما يحدث الآن فى سوريا وحدث سابقا فى أفغانستان وقت الغزو السوفيتى . حين أثبت الشباب المسلم جدارتهم فى تقويض الإمبراطوريات التى تنافس الولايات المتحدة على زعامة العالم ، بدون أن يعنى ذلك إطلاقا أى فائدة للمسلمين ، بل العكس هو الصحيح.

تلك الدول فى محيط أفغانستان هى محاور هامة فى نظام دولى قادم ستحتل الصين صدارته الإقتصادية . والصراع بين الهند وباكستان يشهد إستخداماً متبادلاً لأوراق الفتن الداخلية . فالهند تستخدم ضد باكستان ورقة القوميات وباكستان تستخدم ضد الهند "الورقة الإسلامية" وكلاهما – أى الهند وباكستان – ينظران إلى أفغانستان كساحة للصراع الإستراتيجى بينهما . فباكستان تريدها حديقة خلفية وعمقاً يعوض ضيق أراضيها مقابل الهند الشاسعة ، بينما الهند ترى فى أفغانستان المواليه لها قفلا يحصر باكستان ، مثل حبة جوز ، بين فكى كماشة .

ولكن أفغانستان القادمة فى صباح اليوم التالى بعد التحرير، ليس من مصلحتها حدوث أياً من الفتن كلها، لا العرقى منها ولا المذهبى ولا فتنة التزاحم الإستراتيجى بين أفيال أسيا .

وأعداء أفغانسان سوف يبذلون جهدهم لتفتيت قوة أفغانستان بتفتيت قوة شعبها وإشعال الفتن المذهبية والعرقية . وأمريكا سعت فى الماضى وسوف تسعى لاحقاً لإنشاء حلف كراهية من دول الجوار الأفغانى من أجل حصار أفغانستان وإحراقها بنيران الفتن ، وجعلها مجرد منطقة نفوذ لدول الجوار وفوقهم القوى الدولية الظالمة.

علاقة الدولة الجديدة مع القبائل :

ذكرنا أن أهم واجبات الدولة القادمة بعد التحرير هو تقوية أواصر الترابط والأخوة والتعاون بين فئات المجتمع الأفغانى ، وجعل التنوع العرقى والمذهبى مدخلاً للتفاهم والتعارف ، والتعاون للخير المشترك الذى يعنى المعيشة الكريمة الآمنة للجميع وفتح آفاق التقدم والإزدهار للأجيال القادمة ، (... وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...) - الحجرات ، الاية 13 -

ـ القبائل كانت هى أساس الجهاد ضد الغزاة المعتدين على مر التاريخ القديم والحديث ، وهى التى قدمت أبناءها وأموالها وتحملت الدمار والقتل والخسائر المادية الكبيرة . لذا فالقبائل ينبغى أن تكون فى قلب عملية إعادة بناء أفغانستان وتطويرها لدخول الساحة العالمية من أوسع أبوابها ، حاملة معها قيم الإسلام وتعاليمه ونموذجه الحضارى الحديث . القبائل تضم كل سكان أفغانستان ، وهى كيانات قوية وفعالة ، رغم محاولات الإضعاف التى قام بها المستعمر فى مراحل غزواته المختلفة . ربما كان أخطر تلك المحاولات هى تكوين أحزاب بيشاور " الجهادية" إبان الحرب ضد السوفييت . تلك الأحزاب عملت بدأب على تقسيم القبائل على أسس حزبية ، فانتشرت روح التنافس وحتى العداوة والإقتتال بين أفراد القبيلة الواحدة .

والشريحة الثانية هم سكان الريف والأحياء الفقيرة فى المدن ، وهؤلاء هم من أبناء القبائل الذين إستوطنوا المدن وإستقروا فيها – أو دفعتهم ظروف الحرب إلى السكن على حواف المدن وفى أحيائها الفقيرة كنوع من الهجرة الداخلية . ومعروف أن تلك الفئات الفقيرة فى معظمها هى التى جعلت من الريف والمدن حاضنة هامة للمجاهدين ، تمدهم بالرجال والمال وتتحمل تبعات ذلك قتلاً ودماراً. العلاقة بين الدولة والقبائل ، هى مسألة هامة جداً فى أفغانستان ، فالقبيلة هى الوحدة الإجتماعية الأساسية التى تتعامل معها الدولة. وحيث أن الدولة فى أفغانستان منذ إنشائها حتى وقت الإحتلال الأمريكى ، لم تتمتع بأجهزة حكومية فعالة تحقق مركزية إدارية وسياسية قوية ، فكان هم الدولة الأول هو بناء قوة مسلحة للسيطرة على الأوضاع ، واعتبرت الجيش هو عماد الدولة ثم الشرطة والمخابرات . ثم على مسافة أبعد تأتى أجهزة الإدارة المحلية والخدمات البسيطة .

لذا كانت التفاهمات مع القبائل هى الأساس ، وفى نفس الوقت محاولات الحكومة المركزية إضعاف تلك القبائل وإنتقاص صلاحياتها فى إدارة شئون أفرادها ، والإستثناء كان لقبائل الحدود التى كانت بمثابه الدرع الواقى للدولة الضعيفة فى كابول ، مع وجود تهديد مستمر فى أن تنقل تلك القبائل ولاءها إلى خارج حدود الدولة . لهذا كانت "وزارة الحدود والقبائل" من الوزارات السيادية الهامة فى أفغانستان، وهدفها كان ضمان ولاء القبائل الحدودية على الجانب الأفغانى أو حتى الجانب الآخر.

- قد يكون من الأنسب فى المرحلة القادمة / فى صباح اليوم التالى/ أن يدخل التعاون بين الدولة والقبائل إلى مرحلة المؤسسات المشتركة ، وأن تنتقل مشاريع الدولة والقبائل إلى مرحلة العمل الميدانى الوثيق . لذا يلزم تكوين إطار مؤسسى وليكن مسماه (مجالس العمل المحلى) والذى تضم مندوبى الدولة فى تخصصاتهم المختلفة مع كبار القادة القبليين من علماء وشيوخ قبائل ، وقادة الجهاد السابقين وكبار المتعلمين المخلصين من أبناء القبيلة . يقر ذلك المجلس مشاريع الحكومة المركزية المتعلقه بالقبيلة فى مجالات أهمها البنية التحتية من طرق وجسور وكهرباء ، والتعليم والصحة والدفاع والأمن ، والمشاريع

الإقتصادية والصناعات المختلفة واستخراج الخامات الطبيعية والإستفادة منها . كل ذلك بالإرتباط مع التخطيط المركزى الذى تتولاه الحكومة المركزية فى العاصمة ، وتتولى (مجالس العمل المحلى) مناقشة المشاريع فى مناطقها والإشراف على تنفيذها بواسطة أيدى قبلية وإسناد حكومى بالكفاءات المطلوبة والتمويل اللازم . مثل ذلك التنظيم سيقلل الكثير من النفقات والمشاكل اللوجستيه من فوق كاهل الحكومة المركزية ، كما سيوفر الكثير من المرونة فى مقابلة الطوارئ ومعالجة المشكلات المحلية ومشاكل الأسر الصغيرة والأفراد كما أنه سيوفر الكثير من فرص العمل والنهضة الإقتصادية للمناطق القبلية . وبذلك تكون القبيلة مشاركاً بقوة فى شئون الدولة وصاحبة مصلحة أكيدة فى الدفاع عنها وتحمل مشاق تنميتها ونهضتها.

ـ بالطبع فإن أى مشروع فى أى مجال له صفه إستراتيجية سوف تتصدى له مباشرة الحكومة المركزية، بالتعاون مع (مجلس العمل المحلى) بالقدر الممكن .

القبائل والشورى :

القبائل عبر مجالسها الخاصة "بالعمل المحلى" يمكنها أن تشارك فى عملية الشورى على أعلى مستوى ، إلى جانب القيادة السياسية العليا. تلك المجالس المحلية يمكنها أن ترشح أفضل العناصر فى مناطقها للمشاركة فى (مجلس الشورى المركزي) بالعاصمة الذى يساهم فى صناعة القرارات المصيرية وإقرار الخطط الكبرى للدولة ، وسن القوانين الضرورية لضبط مسيرة الحياة فى الوطن .

وليس هناك قيود على عدد المرشحين لعملية الشورى المركزية ، بل يكون المجال مفتوحاً لكل من يمتلك مؤهلات المشاركة بالمشورة وتصويب القرارت والقوانين وهى أمور (فوق قبلية) تتعلق بالوطن . وهى ليست عملية مطالب قبلية أو وجاهات إجتماعية أو إقتناص للأموال ، بل هو صناعة لمستقبل وطن من منظور إسلامى . "مجالس العمل المحلى" تتصل مباشرة بمجالس الشورى فى القطاعات . والقطاع هو إطار إدارى يضم عدة ولايات متجاورة .

التحدى التعليمى :

(أنظر الجدول رقم 1 فى الملحق الخاص بالجداول)

التعليم هو تحدى الحاضر والمستقبل ، فصناعة الأمة تبدأ من التعليم . ورأينا كيف حاول المستعمر الأمريكى أن يغير طبيعة الشعب الأفغانى عن طريق مناهج تعليميه جديدة ، تبعده عن الدين وعن تاريخ بلاد وتربطه بثقافة الغرب وتاريخه . إضافة إلى محاولات تنصير الطلاب إما بشكل مباشر أو غير مباشر . إضافة إلى القدوة السيئة من خلال المدرسين الذين يمثلون ثقافة المستعمر وسوكياته السيئة ، ويقدمونها بشكل علنى ويدافعون عنها بالقول والسلوك. وهى نفس المشاكل التى واجهها الشعب ومجاهدوه مع الإحتلال السوفيتى ، وقاوموها بما تيسر لهم من وسائل قوليه وفعلية. لهذا إعتبرت المدارس غزوا ثقافياً وكثيراً ما هوجمت ، وكذلك المدرسين الذين عملوا كدعاة للمستعمر وثقافته ومعتقداته . لهذا أطلق المستعمرون القدماء والمحدثين إشاعة تقول بأن المجاهدين يعتروضون على العملية التعليمية إجمالاً ،

وتعليم البنات خصوصاً . والحقيقة هى أن الشعب الأفغانى حريص على دينه وثقافته ، ولا يقبل بالعدوان عليها أوتربية أبناءه على ما يخالفها. وهو بالطبع أشد غيرة على البنات حيث تكون ردة فعله أسرع وأشد .

منذ الأيام الأولى للإحتلال الأمريكى ، ألغى مناهج التعليم التى كانت سائدة وقت حكم الإمارة الإسلامية . وفى البداية حاول الإستعانة بكتب دراسية من الجارتين باكستان وإيران ، وسرعان ما ألغى كل ذلك مستبدلاً جميع الكتب بأخرى ألفها خبراؤة وطبعت فى بلاده باللغات المحلية ، وشحنت إلى أفغانستان بالطائرات . وربما كانت هى نفس الطائرات التى نقلت الهيروين من قواعدة الجوية فى أفغانستان إلى الولايات المتحدة .

<u>يلاحظ فى الموجه التعليمية القادمة</u> :

ـ أن الهدف الأهم من التعليم الجديد هو الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية والتاريخية للأجيال القادمة.

ـ إعداد الأجيال القادمة لدخول عصر العلوم والتكنولوجيا، وقيادة نهضة صناعية زراعية وبحثية .

ـ تمكين أفغانستان من أداء ودورها الإسلامى والدولى فى العصر القادم . وتلك رسالة يجب أن تكون واضحة خلال مراحل التعليم والمناهج الثقافية. وإبراز أن مكانة أفغانستان التاريخية المميزة نابعة من تمسكها بالدين وثقافة الحرية والغيرة على كل ما هو مقدس . وأن ميزة أفغانستان فى محيطها والعالم نابعة من نظامها الإجتماعى المتماسك المتآخى والمتعاون ، ومن فلسفة المجتمع المتراحم القوى والدولة العادلة والشفافة . فلسفه المجتمع الصحيح الذى يمتلك دوله ترعى شئونه ، وليس فلسفه الدولة التى تمتلك شعباً تتحكم فيه بالقوة والخداع . الدولة التى تقدم معتقداتها إلى العالم عن طريق القدوة والنموذج الذى يعبر عن نفسه بواسطة أفراده وليس بأجهزة الدولة ، وعن طريق قوة الإقناع وليس الإقناع بالقوة.

ـ بالتعليم تتخرج أجيال تبنى مجتمع الإسلام الحقيقى الواقعى ، إسلام يغزو الروح بسماحته ويغزو العقول بإحترامها والتعامل معها بالمنطق والبرهان وحقائق الواقع ونماذجه الحية .

إسلام يقدم الإيمان للروح ويقدم معه الطعام والأمن للناس { ... فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف} ـ سورة قريش ـ فلا جوع هنا ، فليس بمجتمع مسلم ذلك الذى يموت فيه البعض من التخمه ويموت آخرون من الجوع ، وليس هو بمجتمع يجوع فيه أى أحد بشكل مطلق ـ سواء كان مؤمناً أو غير مؤمن ، موافقاً للنظام أو معارضاً له ـ فالكل يشبع والجميع آمن من الخوف ، كل أنواع الخوف ، فلا ظلم ولا إستئثار بالسلطة ولا سؤ إستخدام لها ، فالسلطة خدمة للجميع بضوابط وقوانين الشرع ، فلا هى سلطة متسلطة ولا فاسدة ولا أنانية طامعة تحتكر الثروات .

ـ منع أزدواجية التعليم ، وأخذ العبرة بما حدث فى دول إسلامية أخرى سمحت بوجود مدارس أجنبية تدرس مناهج بلادها الأصلية . والنتيجة كانت وجود أجيال غربية التفكير والثقافة . وبشكل عام صبت تلك الثقافة مجهودها لمكافحة الإسلام ومنع دخوله إلى الحياة العامة ، فكان الكثير منهم موالين سياسياً وثقافيا للدول التى تعلموا فى مدارسها . ومعلوم فى أفغانستان أن الشيوعية إنتشرت من المدارس الأجنبية خاصة المدرسة الألمانية فى كابول .

والجامعات الأمريكية فى الدول العربية معلوم تاريخ الكثير من خريجيها فى بناء العلمانية المتوحشة المحاربة للإسلام ، بينما الفرص مفتوحة أمام خريجيها لتولى أعلى المناصب فى الدولة والحياة العامة.

ـ المرحلة الإلزامية فى التعليم – التى يفرض على الأطفال حضورها وتتراوح ما بين 6 سنوات إلى عشرة ، يكون التعليم الإسلامى هو محورها ، ويحدد فيها مقدار إلزامى من العلوم الحديثة.

يمكن للمدارس الأهلية الصغيرة فى المناطق النائية أن تدرس نفس المناهج ، بمساعدة الدولة ، مع تزودهم بمنهج إضافى فى الرياضيات والعلوم واللغات ، خاصة اللغة العربية . ومن أجل إستكمال طلابها مسيرتهم التعليمية يمكنهم التوجه إلى مدارس أكبر فى المدن القريبة ، وأن تساعد الدولة الفقراء منهم ماليا وعينيا لتشجيعهم على مواصلة التعليم . وعند إلتحاقهم بمدارس المدينة يؤدون إختباراً شفهياً وتحريرياً للتأكد من جودة تحصيلهم . وتصرف مكافئات مجزية للمدرسين فى المدارس النائية لقاء نجاح كل طالب قاموا بتعليمه.

ـ الإعتماد على المدارس الصغيرة فى المناطق البعيدة يوفر الكثير من نفقات بناء المدارس الجديدة ويستفيد من القدرات التعليمية الموجودة بالفعل فى تلك المناطق ، كما يشجع أكبر عدد من الأطفال على الإلتحاق بالمدارس القريبة من منازلهم بدون الإغتراب فى مدن بعيدة ، وتستفيد الفتيات بشكل خاص من تلك المزايا.

ـ (مجالس العمل المحلى) فى المناطق القبلية تكون مسئولة عن تسيير تلك المدارس والإشراف عليها، بالتنسيق مع محافظ القطاع (القطاع مجموعة ولايات فى كيان إدارى واحد) ومع الحكومة المركزية بالعاصمة.

ـ **يمنع التمويل الخارجى للمدارس الدينية جميعاً** . والتبرعات الخاصة بالتعليم وأى تبرعات خارجية على الإطلاق يمنع وصولها لغير الحكومة المركزية ، ولها فقط حق قبول أو رفض التمويل الخارجى ، ولها فقط التحكم فى نواحى صرفه.

ـ بعد المرحلة لإلزامية فى التعليم تبدأ مرحلة التخصص ، فإما أن يتجه الطالب إلى التعليم الشرعى المتخصص ، أو إلى فروع التعليم الفنى أو الأكاديمى النظرى أو المعاهد العسكرية والشرطية.

ـ التعليم العالى والجامعى والمتقدم أى ما بعد الجامعى ، يتخرج منه قادة العمل الإجتماعى فى مجالاته الشرعية والعمرانية ، ويستلزم بناء جامعات ومعامل أبحاث . وهى إستثمارات باهظة ولكنها خير أنواع الإستثمار جميعا وأفيدها على الإطلاق للوطن .

لفتره طويلة سوف تحتاج أفغانستان إلى الإستفادة من الدول الخارجية فى مجال البعثات التعليمية أو إستقدام العلماء والأساتذة والخبراء للتدريس فى جامعاتها ، وكذلك شراء معدات للمختبرات الدراسية.

ـ للتعليم الدينى أهمية قصوى ، ويجب أن تشرف عليه هيئة من كبار علماء أفغانستان . وأن تشرف تلك الهيئة على التعليم الدينى فى المدارس العامة أيضا . وأن تزود تلك الدراس بالمعلمين والمشرفين التربويين وأن توثق علاقتها بالتعليم المدنى حتى لا ينقسم الشباب بين مدارس متنابذه ، يجهل أحدها الآخر فيعاديه بلا

وعى كما حدث فى بلاد إسلامية كثيرة ، فيتحول ذلك إلى صراع ثقافى وسياسى ، فيصبح الدين مجرد تخصص أكاديمى لفئة من المتعلمين فى المدراس الدينية فقط ، بينما يتوجه الآخرون إلى العلمانية . وفى الأخير يحدث صراع مرير بين الفئتين لعدم وجود أرضية مشتركة من العلم الدينى والثقافة العامة والعلوم العصرية .

ـ تحتاج أفغانستان إلى جامعة دينية كبرى يشرف عليها كبار العلماء ، وتكون مستقلة مالياً ولها أوقافها الخاصة ، ومستقله فى أجوائها الإدارية والعلمية عن السياسيين فى حكومة الدولة / رغم أن توجهاتهم إسلامية / وذلك حتى لا يتم إخضاع الدين لإحتياجات سياسية طارئة فى أى وقت . فالمكانة العلمية الدينية يجب أن تستقل فى فكرها حتى لا يتحول العلماء إلى ألعوبة سياسية متأرجحة مع السياسة وتغيراتها العنيفة .

ـ قد تكون مدينة "بلخ" فى شمال البلاد هى المكان الأنسب لتلك الجامعة ، وذلك لأسباب تاريخية وأخرى سياسية . نظراً لقربها من مخزون بشرى إسلامى تاريخى / فيما وراء النهر/لعب دوراً عظيماً فى حياة المسلمين السياسية وعلومهم الدينية . وحتى يكون تقدم أفغانستان صوب الجمهوريات الإسلامية هناك تقدما وجدانياً يخاطب العاطفة الدينية وروابط الدم والتاريخ ، وينزع المخاوف والشكوك التى ترسبت فى النفوس نتيجة الإستعمار الأجنبى لتلك البلاد . وطبيعى أن تفتح "جامعة بلخ الدينية" العملاقة أبوابها لطالبى العلم الوافدين من كافة أرجاء أسيا الوسطى والصين وباقى أجزاء العالم شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً . والإنفاق على تلك الجامعه يكون مفتوحاً أمام الحكومة المركزية وأمام أفراد الشعب .

تعليم الفتيات :

للمرأة نفس الحقوق التى للرجل وعليها نفس الواجبات. والإختلاف بين الجنسن هو من أجل التكامل فى أداء رساله إنسانية واحدة ، قائمة على طاعة الله وإعمار الدنيا . وإختلاف الجنسين فى التكوين والوظيفة ترتب

عليها إختلافات تشريعية كى تناسب كل حالة وليس لتفضيل حالة على أخرى . فالمساواة قائمة مع إختلاف الأحكام الشرعية .

ـ الدولة الإسلامية تكفل حق التعليم لكل مسلم ، وتقدم كل ما يمكنها لتسهيل سبل لتعليم وتوفيره على أفضل صورة متاحة ، مع مراعاة طبيعة الواجبات الشرعية والإجتماعية المترتبة على كل من الرجال والنساء.

وليس ذلك من باب عدم المساواة ، بل من باب إختلاف الوظائف المتكاملة والمتحدة من حيث الهدف النهائى ، والتى لا تكتمل إحداها إلا بالأخرى . بمعنى أن الرجل والمرأة لا يمكن لأى منهما أن ينجح فى إداء واجباته الشرعية والإجتماعية إذا عجز الطرف الآخر أو فشل فى أداء تكاليفه .

إن نجاح أو إنحراف أى طرف ينعكس حتماً على إداء الطرف الآخر إيجابا أو سلباً ، وبالتالى يتأثر المجتمع كله فينجح أو يفشل ، يتقدم أو يتقهقر، يقوى أو يضعف.

ـ يعرف المجاهدون قبل غيرهم خطورة دور المرأة فى أوقات الحرب . فالمرأه هى صانعة الرجال ومربيتهم ودليلهم الأخلاقى وحافزهم على مكارم الأخلاق من شجاعة وتضحية وتمسك بالدين . وقصص النساء المجاهدات فى أفغانستان قديماً وحديثاً أكثر من أن تحصى . وفى هذا الجانب يجب أن نعترف بأنهن قد ظلمن فى عدم إظهار ذلك الدور . ويجب مستقبلاً تسجيل موسوعة خاصة بدورالمرأة فى الجهاد والدفاع عن الدين والوطن والأسرة فى أفغانستان ، ليكون فى ذلك قدوة للمسلمين ومثالا للإنسانية ، وأن تكون تلك الموسوعة مادة ضمن مواد التدريس فى مدارس البنات والأولاد .

تحتاج أفغانستان بشكل عاجل إلى تجهيز الفتيات لمهام التدريس والطب ، حتى يقمن حصرياً – إن أمكن – بواجبات التدريس والعلاج للنساء. وسيكون ذلك مصدر قبول وراحة كبيرة فى المجتمع الأفغانى .

ـ لا ينبعى حظر مجالات التعليم فى وجه الفتيات ، إلا تلك المجالات التى لا يناسب العمل فيها طبيعة المرأة ودورها ، وحيث ينبغى أن يتصدى الرجال لتلك المهام . وهنا نقطة هامة أخرى فإن المجتمع نفسه قد لا يفضل إستخدام النساء فى وظائف بعينها ويفضلون أن يشغلها رجال ، وكذلك إحتياجات مشاريع التنمية الإقتصادية والإجتماعية التى تشرف عليها الدولة والقطاع الإقتصادى الأهلى تؤثر كثيرا على مجالات التعليم المتاحة للجنسين . فليس هناك فائدة من فتح مجالات تعليم ليس أمام خريجيها فرص للعمل ، فتزداد البطالة بين حملة الشهادات والدرجات العلمية ، فتنشأ عن ذلك مشاكل إجتماعية وسياسية كبيرة . وهناك دول أقدمت على إغلاق كليات بعينها لم تعد ذات فائدة للنشاط الإقتصادى السائد فى الدولة ، وبالتالى فإن تلك الكليات تقدم لمجتمعاتها عاطلين يحملون شهادات جامعية .

وتظل معظم مجالات العلم مفتوحة أمام الفتيات بلا عائق سوى متطلبات سوق العمل والأعراف الإجتماعية السائدة . ونفس العوائق قد تعترض أيضا بعض أفرع تعليم الفتيان .

ـ أثبتت تجارب أفغانستان الجهادية ضرورة تقديم مقدار مناسب من التدريبات والعلوم العسكرية للفتيات خلال فترات التعليم المختلفة . وقادة المجاهدين يمكنهم تقدير نوع التدريبات العسكرية اللازمه للفتيات لتأهيلهن للمهام الدفاع فى حالات الطوارئ والحروب ، وناهيك عمن يرغب منهن فى الإنضمام إلى الشرطة النسائية للعمل فى مهام مختلفة للتعامل مع النساء فى المنافذ الحدودية والمطارات وأمن المدن . بحيث يتعاملن مع العنصر النسائى بدون تدخل مباشر من الرجال .

ـ أمام النساء مجال واسع فى دراسة علوم الإقتصاد والسياسة والتاريخ بأنواعه بما فيه التاريخ العسكرى والكثير من أفرع الهندسة والطب والفزياء والكيمياء وعلوم الفضاء والعلوم النووية وتطبيقاتها فى الطب والهندسة ، وذلك على قدم المساواه مع الرجال . ولا داعى لتكرار مقولة أن آداب الإسلام يجب مراعاتها ، فذلك من البديهيات التى يحترمها الأفغان تماماً.

*****

*****

الفصل الثانى :

التحديات السياسية مع دول الجوار والعالم الخارجى .

معروف أن السياسة الداخلية هى أساس السياسة الخارجية ، والقوة فى الداخل يمكن العمل بها حتى عند التعرض للحصار الكامل وتلاشى السياسة الخارجية تقريبا . وهو ما حدث للصين الشعبية لمدة عشرين عاماً من الحصار والعزلة ، ولما إشتد بنيانها الداخلي ذهب العالم الخارجى (أمريكا)إليها معتذراً ومقدماً العروض السخية للتعاون وإدماجها فى المنظومة الدولية القائمة .

وربما تعرضت أفغانستان مستقبلاً إلى موقف مشابه . فينبغى ألا يسبب ذلك إنزعاجاً ، حيث أن أفغانستان فى حاجة إلى عشرين أو ثلاثين عاما ، كى تضمد جراحها وتصنع قوتها الذاتية التى تؤثر بها عالمياً وإقليمياً. ونظراً لظروف العالم التى تتميز بالسيولة وعدم تشكيل مراكز قيادة وتأثير عبر القارات . وتقهقر قوى عظمى وحضارة أوروبية طغت لقرون ، فإن أمام أفغانستان فرص كبيرة للعمل السياسى الحر فى إقليمها وحول العالم . وإن تنجو إلى حد معقول من محاولات الحصار وإشعال الفتن والحروب داخلها وحولها لعرقلة تقدمها نحو مستقبل مزدهر فى ظل نظام إسلامى .

المعركة السياسية :

العمل السياسى هو نوع من الحرب ، فهو صراع مصالح وعقائد ، وأهداف معلنة وغير معلنة . فأخطر الأهداف هو مالا تفصح عنه الدول ، لكن يمكن إستنباط الكثير منه بواسطة الخبراء من أهل الإختصاص .

ومعروفة هى قاعدة (أن السياسة هى إمتداد للحرب بوسائل أخرى) . تلك الوسائل الأخرى هى الدبلوماسية بكلماتها المنمقة ومعانيها الموزونة ، وضوحاً أو غموضاً ، صراحة أو تلبيسا ، بإخلاصها ومكائدها ، صراحتها وأكاذيبها ، إستقامتها والتوائها ، بطرقها الرسمية أو غير الرسمية ، العلنى منها والسرى .

إنها غابة شديدة التعقيد هدفها هو تحقيق مصالح الدولة وأهدافها بأيسر الطرق السلمية والصفقات المتبادلة ، أو المعارك السياسية عبر التحالفات المصلحية طويلة المدى أو المؤقتة . فالسياسة لاتعرف الصداقات الدائمة أو العداوات الدائمة ، ولكنها تعرف فقط المصالح الدائمة . فأهم واجبات القائد السياسى هو تحديد مصالح دولته . والطامة الكبرى تقع عندما تعجز الدولة عن تحديد مصالحها . ويمكن إعتماد الصيغة التالية فى العمل السياسى : (إعرف مصالحك ، تعرف صديقك وتعرف عدوك وتعرف ما يجب عليك عمله) .

ـ لذا من الأفضل خاصة بعد حروب التحرير الجهادية المنتصرة أن يتولى وزارة الخارجية أحد جنرالات البارزين فى فن الإستراتيجية. وهى نفس المواصفات المطلوبة فى وزير دفاع الدولة الجديدة .

فلدى المجاهدين أعداد كبيرة جداً من القادة البارعين فى فنون التكتيك ، ولكن الموهوبين فى فن الإستراتيجية قليلون دوماً فى كل الأمكنة والتجارب . ولعل ذلك كان أحد الأخطاء فى المسيرة السابقة للإمارة الإسلامية ، فى عدد من التعيينات التى تمت فى وزارتى الدفاع والخارجية . وكما هو واضح فهما وزارتان متكاملتان ومترابطتان ترابط الدفاع بالسياسة الخارجية . وفى بداية تكوين الدولة فى أعقاب الحرب الجهادية من الأفضل جداً تولية العسكريين الجهاديين أصحاب المواهب الإستراتيجية والسياسية لهذين المنصبين .

وتجب الاشارة إلى أن وزيرالدفاع لابد أن يتمتع بقدر كبير من الوعى السياسى فى مجالات السياسة الداخلية والخارجية . وأن وزير الخارجية لابد أن يتمتع بمواهب فى الإستراتيجية العسكرية.

أفغانستان كنز إستراتيجى :

فى القرن التاسع عشر كانت الأهمية (الجيوسياسية) لأفغانستان تكمن فى كونها "دولة عازلة " تفصل بين مناطق الإمبراطورية البريطانية فى الهند وبين كل من إمبراطورية الصين وإمبراطورية روسيا القيصرية التى تتوسع جنوباً صوب البحار الدافئة وتطمع فى أفغانستان كنقطة وثوب على الهند البريطانية . كان من مصلحة بريطانيا وجود حاجز بين حدود الإمبراطوريتين يمنع الإحتكاك ونشوب الحرب . وظلت أفغانستان موقع تنافس بينهما فى مجال توسيع نطاق النفوذ حتى تجرأت بريطانيا على شن ثلاث حروب على أفغانستان . فشل مشروع الإحتلال البريطاني ولكن نجحت خديعة التفاوض فى إقتطاع أقاليم أفغانية وضمها إلى الهند البريطانية لمدة مئة عام ، تلك الأراضى ضمنت لبريطانيا مواقع دفاعية منيعة ـ مثل ممر خيبر ـ توفر لها أفضل وضعية دفاعية عن الهند فى حال نشوب حرب مع روسيا . **(إتفاقية بين وزير خارجية حكومة الهند البريطانية مورتيمر ديوراند والأمير عبد الرحمن فى شهر نوفمبر 1893 وانتهى مفعولها فى عام 1993)** وهى أراضى تقع فى داخل باكستان الآن وقد إنتهى أمد الإتفاقية ولم تعد الأرض إلى أصحابها.

الروس فى عهد إمبراطورية السوفييت قاموا بمحاولة إحتلال فاشلة كلفتهم ضياع الإمبراطورية بهزيمتهم المنكرة فى أفغانستان . ومع زوال الإحتلال الإنجليزى من شبه القارة الهندية وسقوط الإتحاد السوفيتى بدا وكأن مكانة أفغانستان كدولة عازلة بين إمبراطوريات متنازعة قد فقدت معناها . لذا إعتقد البعض أن ذلك البلد فقد وظيفته الجيوسياسية وسوف يتهاوى مع إنسحاب السوفييت . كما أنه بعد هزيمة الأمريكيين المروعة فى أفغانستان ، وفشلهم فى البقاء العسكرى فى العراق يدور الحديث فى العالم أن زمن الحروب الكبيرة والغزوات الخارجية قد ولى إلى غير رجعة . وذلك كلام مغرق فى التفاؤل بدليل تصاعد نفقات التسليح فى العالم . فالدول الكبرى تطور كل شئ يتعلق بالحرب : من سلاح قتالى فائق التكنولوجيا ، إلى إمكانات التجسس الأسطورى الذى لايترك كبيرة ولا صغيرة إلا ورصدها ، إلى سلاح إعلامى يصل إلى كل فرد فى أى مكان . وكل إنجاز علمى أيا كان نوعه يتحول فورا إلى قدرة جديدة تصب فى آلة الحرب.

و يسعون إلى إبتكار حرب أزرار تدار كاملا بلا رجال فى ساحة المعارك (حرب بلا رجال بعد موجة نصر بلا حرب) . ناهيك عن الحروب بالوكالة التى يخوضها آخرون بالنيابة عنهم ، وفى الحالتين يحافظون على دماء جنودهم ويسفكون دماء الآخرين بشكل آمن ورخيص.

وقد قطعوا أشواطاً مزعجة فى تلك المجالات قبل وخلال تواجدهم فى أفغانستان والعراق . وهم ماضون قدماً بأسرع وتيرة ممكنة فى تنفيذ حروب الأزرار والحروب بالوكالة ، وكلا الحربين يدور حاليا على أراضى المسلمين . فالحرب بالأزرار واضحة فى النشاط الكبير للطائرات بدون طيار العاملة فى قتل الأبرياء ليل نهار فى أفغانستان وباكستان واليمن والصومال ودول غرب أفريقيا (إسلامية أيضاً أو بها مجموعات إسلامية كبيرة هى بالطبع ـ أو بطبيعة الإشياء ـ كما يقول البعض ، هم على رأس المستهدفين من قبل عدوان أمريكى أو فرنسى إلى باقى عصبة الذئاب الإستعمارية الأوروبية) .

الحروب بالوكالة : رأينا التطبيق الأمريكى لها خلال مرحلة الغزو السوفيتى لأفغانستان . وأمريكا تبذل جهودها كى تغادر أفغانستان تاركة خلفها حرباً بالوكالة ترعاها دول مجاورة لأفغانستان ودول نفطية عربية ، تماماً كما حدث فى العراق قبل وبعد الإنسحاب الأمريكى من ذلك البلد المنكوب الذى ينتحر بأيدى أبنائه ، من العقائديين ومن المأجورين ومن الحمقى .

ـ لأجل ذلك فإن الوحدة الوطنية بين مسلمى أفغانستان هى أفضل وسيله دفاعية . وتلك المسئولية فى الأساس تقع على عاتق حركة طالبان المنتصرة فى حرب التحريرالجهادية التى إستمرت حوالى 13 عاماً. وكما وحدت الحركة الشعب تحت قيادتها فى حربها المظفرة ، فمسئوليتها الأكبر هى توحيد ذلك الشعب المجاهد خلفها لبناء أفغانستان ، ومواجهة مؤامرات الخارج الذى يريد تحطيم أفغانستان وتوزيعها فيما بينهم من خلال دويلات الطوائف المذهبية والمجموعات العرقية .

على أحسن الفروض تنظر دول الجوار إلى أفغانستان كقنبلة موقتة ، وأنها قد تتجه فى مسار يتسبب فى المشاكل للجميع ، خاصة فيما اخترعته وصنعته أمريكا بأيديها عن أسطورة الإرهاب الذى روجته حول العالم . وفى ذلك تفصيل سيأتى فى سياق البحث .

ـ المشكله الأخرى هى المخدرات ، وتثيرها بعض دول الجوار، وتروجها إعلاميا الولايات المتحدة بصورة معاكسة تماما للواقع . رغم معرفة الجميع للأبعاد الحقيقية لتلك المشكلة ، ومن الذى أوجدها وروجها وإستفاد منها . والشئ الذى لا يمكن دحضه هو حقيقة أن الأفيون كان هو الحافز الأكبر للعدوان الأمريكى وإحتلال أفغانستان . وأن ترتيب أوراق الحرب الأهلية فى أفغانستان ، يراعى تنظيم تجارة الهيروين فى ذلك البلد بحيث تصب فى البنوك الأمريكية وأيدى ألمافيا الأمريكية واليهودية وبعض المافيات الحليفة معهم.

وكلا المشكلتين "الإرهاب " و"المخدرات" وكذلك الخطر الكامن "للحرب الأهلية" كلها مشاكل مفاتيحها الأساسية موجودة داخل أفغانستان ، وهى فى متناول حركة طالبان ، بشرط الدخول من باب الوحدة الوطنية بين مكونات الشعب الأفغانى . وذلك هو التحدى الأكبر أمام السياسة الداخلية فى "صباح اليوم التالى" للتحرير . من أجل حل تلك المشاكل ولتأمين سلامة أفغانستان والمنطقة ، ينبغى التعامل بدقة وإصرار مع دول الجوار جميعاً (باكستان – إيران – طاجيكستان – أوزبكستان – تركمانستان ـ الصين) وكذلك باقى دول الإقليم خاصة روسيا والهند.

إن مرتكزات الحوار مع تلك الدول قائم على منطق سهل وحقائق يعرفها الجميع ، رغم أن معظم تلك الدول قد توافق مع الولايات المتحدة ضد المصالح الأفغانية ، خدمة لمصالحهم الإقليمية أو من أجل تعاون واسع النطاق مع الولايات المتحدة ومكافآت ، أو تنازلات أمريكية فى ملفات أخرى .

وكأى حوار يهدف إلى خلق حالة من التعاون الدول ، لابد أن يكون واضحاً مدى المكاسب أو المزايا العائدة من التعاون . وفى المقابل مدى الأضرار أو الخسائر أو الأخطار التى يمكن أن تترتب على عدم التعاون. وبدون وضوح القطبين الموجب والسالب ـ أى المكاسب والخسائر ـ فمن المستبعد تماماً أن يحدث إتفاق.

الحوار مع تلك الدول يتعلق بالمستقبل ، ولكن لا يمكن القفز فوق الماضى ، لأن ما حدث فى الماضى القرب والبعيد مازال فاعلاً ومؤثراً فيما يجرى حتى اليوم من أحداث.

قد يقول البعض "ننسى الماضى ونبدأ من اليوم" وذلك قول لا يكاد يصلح للعلاقة بين الأفراد ، وهو فاشل حتماً مع الدول . ومن أجل تسهيل أكبر للحوار يمكن أن يدار على مستويين أحدهما يتعلق بالماضى ، خاصة القريب منه ، وبحث أسباب ما كان به من مشكلات بعضها كان غاية الخطورة. والمستوى الآخر هو ما يمكن القيام به من تعاون مشترك يحقق مصاح الطرفين بدون الإخلال بمصالح جار ثالث .

ماذا تعنى إسلامية الدولة فى أفغانستان ؟؟

وذلك سؤال يشغل بال الجميع ، من جيران أفغانستان والبعيدين عنها . الحكومات والشعوب ، الأصدقاء والأعداء ، المتربصون والفضوليون .والإجابه عنه نظرياً ثم عملياً –سوف يحدد الكثير جداً من المواقف والأحداث ربما حول العالم .

حوار القيادة الأفغانية مع الجميع فى (صباح اليوم التالى) سوف يتناول تلك النقطة تحديدا . ومعالجة قضايا مثل الوحدة الوطنية فى الداخل ، و"الإرهاب" و"المخدرات" فى الخارج . فالإجابة عن كل سؤال سوف توضح جانباً من التفسير العملى لمفهوم "الدوله الإسلامية" لدى قيادة حركة طالبان المنتصرة .

لاشك أنه منذ أوائل سبعينات القرن الماضى وظهور ما أسماه البعض " صحوة إسلامية" فإن وصف "إسلامي" ، توسع الناس فى إستخدامه إلى درجة الإبتذال ، حتى صار يوصف به مالا يجوز له الوصف . فوصفت به مشاريع تجارية و سلع إستهلاكية . حتى وصلت التجارة إلى تنظيمات وجماعات ، كما مؤسسات تجارية وبنوك شبه ربوية ، وتجاراً وكتاباً ومثقفين وقادة منتفعون ومتسلقون وعملاء وجواسيس... إلخ.

كما ظهرت تجارب لبناء دولة إسلامية فى القرن العشرين فى إيران والسودان ثم أفغانستان . وظهرت فوضى عاصفة من التنظيمات التى تنادى بالدولة الإسلامية ، فهاجموا حكومات بلادهم ، ثم الأراضى الأمريكية والأوربية .بإختصار كانت الفوضى شاملة والقليل جدا منها كان مفيداً ، وفى أغلبها لم تكن خلاقة على الإطلاق .

فما هو موقف دولة أفغانستان الإسلامية من كل ذلك؟ وهل ستشارك بأى مقدار فى تلك الفوضى؟ .

وتلك أسئلة مشروعة يسألها الكثير من الناس على إختلاف وجهات نظرهم إزاء تلك القضايا . ولكن العالم تأثر وعانى من تلك الحاله الفوضوية الدامية فألصقوا بالدين نفسه تهم الإرهاب ، إلى جانب الإتهامات القديمة الجديدة بالرجعية والتخلف والعدوان على حقوق الإنسان والمرأة.

وفى كل ذلك إتخذ الغرب من مفاهيمه الخاصة مرجعية للإسلام ، بما يعنيه ذلك من وضع المقياس البشرى فوق المقياس الإلهى . رغم أنه و بالمقياس العقلى البحت والتجارب العملية الطويلة ، ثبت تهافت منطقهم وكذب إدعاءاتهم ، بل وضررها على من طبقوها . وشعوبهم نفسها كانت فى صدارة المتضررين .

على أى حال ، سيكون على أفغانستان فى "صباح اليوم التالى" أن تقول كلمتها ، ولكن على أرض الواقع ، وليس هناك ما يمنع أن تقول ذلك من الآن قبل وصول ذلك الصباح لأنه قائم وساطع فى معظم أجزاء أفغانستان المحررة .وقد تكلمت بيانات الإمارة كثيراً عن ذلك ، لكن ما زال لديها الكثير كى تقول وتشرح وتوضح . وذلك مجهود يجب أن يستمر على الدوام إلى جانب البرهان العملى على أرض أفغانستان، وفى العلاقات مع دول الجوار والعالم الخارجى .

أحداث الربيع العربى سوف تساعد كثيراُ فى الإجابة عن ذلك السؤال الحساس ، وقد ظهر أن من يطلق عليهم (إسلاميون) أو (إسلام سياسى) لم يكن لديهم إجابات مقنعة ، بل فى الغالب كانت كلماتهم وتصرفاتهم مصدر إضطرب كبير فى أوساط المتعاطفين والمعادين لفكرة إسلامية الدولة . وهذا يعطى أهمية إضافية للتطبيق العملى القادم فى أفغانستان فى ذلك الصباح التالى ، ومدى إرتباط أو إختلاف الفهم والتطبيق الأفغانى لفكرة إسلامية الدولة مع الفكر السائد فى العالم العربى . فهل سينتمى إلى فكر العرب المعتدلين أم السلفيين الجهاديين أم الإسلام الحكومى فى مراكز الإسلام العربية، وتحديداً فى مصر والسعودية ؟؟ . أم ستكون المدرسه الأفغانية أقرب أو أبعد من التجارب الإسلامية فى تركيا أو إيران ؟؟. وما هى نقاط الإتفاق أو الخلاف مع كل ذلك؟؟ ، وإلى أين تسير أفغانستان الإسلامية ؟؟ .

ـ سنعود إلى ذلك لاحقاً ـ

أفغانستان وجيرانها الستة ، تاريخ قديم وعداوات جديدة .

جميع جيران أفغانستان هم من المسلمين: باكستان ، إيران ، طاجكستان، أوزبكستان، تركمانستان – وحتى الجزء المجاور لها من أراضى الصين تسكنه قومية الإيجور المسلمين الذين كانت بلادهم تعرف بإسم تركستان الشرقية قبل أن تبتلعها الصين . النظرة العاجلة تقول أن تلك الحقيقة لم تفد كثيراً فى إرساء علاقات صحيحة بين شعوب المنطقة ، والسبب المباشر هو ثقل التدخلات الخارجية حيث تعرضت كل تلك الشعوب إلى محنة الإحتلال بدرجة أو بأخرى ، ومازالت المنطقة كلها أبعد ما تكون عن الإسقرار . كما أن العالم كله يعيش حالة قلق وتحولات ضخمة تجرى على كافة الأصعدة .

وهناك دور كبير قادم لأفغانستان للبحث عن صيغة تعايش مشترك بين البشر فوق هذا الكوكب الذى أنهكته حضارة الغرب الجشعة ، والتى أفرطت فى إستهلاك موارد الأرض ، فدمرت البيئة وغيرت المناخ وسممت الحياة والعلاقات البشرية كلها . وهنا بالتحديد دور الإسلام الذى لم يتصدر أحد كى يحمل رسالته

كما ينبغى لها أن تكون . رسالة دين جاء رحمة للعاملين ، للإنسانية كلها، فضاع على أيدى من فهموا أنه إنتحار جماعى وعداوات وكراهية ودمار ووحشية وسؤ خلق .

ـ الكتلة الإسلامية العظيمة المنتشرة فوق تلك المساحة الجغرافية الشاسعة من آسيا ، يمكن أن يكون لها دور كبير فى قيادة البشرية على الطريق الصحيح ليس فقط بالإقناع النظرى ، بل الأهم هو التطبيق العملى الصحيح الذى لا يمكن إنكاره.

فمجال النظريات متخم بالكلمات المنمقة والرنانة ، بينما التطبيق العملى مازالمقفراً بل ومنفراً فى الكثير من جوانبه. لهذا فإن علاج مشكلات أفغانستان مع دائرة الجيران يجب أن تتحلى بالحكمة والصبر والنفس الطويل والرغبه الصادقة من الوصول إلى حلول لصالح شعوب المنطقة والدور العظيم الذى ينتظر الإسلام فيها ، وقد أصبحت المنطقة فى دورة الزمان الجديدة فى مركز العالم ونبض حركته لزمان طويل قادم .

فيجب ألا يغيب الإسلام عن ساحة وسط آسيا تحت أى سبب ، من أطماع سياسة ضيقة ، وحماقة قيادات مضت ، وظروف كانت قهرية وانقضى زمانها . ويجب أن تقاوم مخطط أعداء البشرية وأعداء الإسلام فى إغراق المسلمين فى صراعات حدودية دامية ، وجنون طائفى بغيض ، ونعرات عرقية جاهلية. ومن أجل ذلك فإن الوضوح والمصارحة ضرورية للغاية.

باكستان : أخطاء وغزوات من الجنوب .

باكستان الجار الجنوبى لأفغانستان ، جاءت من أراضيها وقت أن كانت جزءاً من الهند البريطانية ثلاث غزوات بريطانية كبرى ضد أفغانستان . ولما جاء الغزو السوفيتى لأفغانستان فى ديسمبر 1979 إنعكس الوضع فكانت أراضى باكستان مرتكزا لأحزاب المجاهدين ، ومهجرا لملايين الأفغان الذين دمر السوفييت قراهم . كان دوراً تقبله الشعب الأفغانى والمسلمين عامة بكل إعجاب وتقدير، حتى أن الدكتور عبد الله عزام فى كتاباته وجه اللوم إلى الحكومات العربية على عدم وقوفها نفس الموقف مع الفلسطينيين ، بمعنى أن يفتحوا بلادهم أمام مهاجرى فلسطين ومجاهديها ، و فى نفس الوقت السماح للمتطوعين المسلمين من كل مكان أن يقوموا إلى جانبهم بواجب الجهاد.

بكلامه هذا ، وقد كان موضع ثقة وتقدير ندر أن يتمتع بهما داعية إسلامي فى كافة أرجاء العالم تقريباً – إنصرف نظر المسلمين من أفغان وغير أفغان عن حقيقة موقف الرئيس الباكستانى ضياء الحق . وكان يؤدى وقتها دور "الرئيس الجنرال المؤمن" . وقام بهذا الدور من منطلق التبعية الكاملة للولايات المتحدة . والذى يحسب له فعلاً أنه ساومهم بقوة لأجل المزيد من المزايا الوطنية لبلاده حتى على حساب أفغانستان نفسها ، ومزايا شخصية تتعلق بتثبيته على حكم باكستان . ضايق الأمريكيون خروج عمله هذا عن النص التقليدي المحدد للقادة التابعين والعملاء . محاولا إنتزاع دور الزعيم ، متجها صوب نوع من الزعامة الإسلامية الشاملة ، على الأقل فى شبه القارة الهندية ، مدعوما بنصر تاريخى غير مسبوق للأفغان على الإمبراطورية السوفيتية . وكان ينوى التقدم إلى دوره التاريخى هذا من بوابة الإدعاء بأنه الأب الفعلى للإنتصار فى أفغانستان ، لهذا تعجلوا فى التخلص منه بإغتياله فى شهر أغسطس 1988 فى حادث طائرة راح ضحيته عدد من كبار قادة الجيش والمخابرات إضافة إلى السفير الأمريكى فى باكستان .

البطولات الأفغانية وتدافع المتطوعين المسلمين والتعاطف الإسلامى الكاسح لشعب أفغانستان ، صرفاً إنظار المسلمين تماماً عن الدور الأمريكى الضخم فى تلك الحرب . وكذلك أخذت الأنظار بعيداً عن الإستخدام المثالى لما أسمته أمريكا بالورقة الإسلاميه ضد الإتحاد السوفيتى . وقد فاقت النتائج كافة التوقعات ، فقد بذل المسلمون دماءهم وأموالهم بكل سخاء من أجل نصرة الإسلام فى أفغانستان .

بينما أمسكت أمريكا بالخيوط الرئيسة كلها حتى تدير فى أفغانستان ليس جهاد إسلامياً بل حرباً بالوكالة.

أى ذلك النوع الحروب بين أمريكا والإتحاد السوفيتى ، بكل شئ تقريباً عدا القوات المسلحة النظامية. تفادياً للحرب المباشرة التى قد تتطور إلى حرب نووية فى أى لحظة ، خاصة إذا شعر أحد الطرفين أنه بدأ يخسر الحرب أو شك بأن الطرف الآخر قد يبدأ بضربة نووية أولى .

ـ أغمض المسلمون أعينهم تماماً عن تلك الحقيقة التى حاول المتورطون فيها أخفاءها وصرف الأنظار عن الشواهد التى تثبتت وجودها ، فساهموا فى خداع أنفسهم . ومازالوايدفعون ثماناً باهظا جداً لتلك الغفلة المتعمدة . لأن دروس أفغانستان لو أنها قد درست واستوعبت جيدا لتجنب المسلمون الكثير جداً من تلك الكوارث التى تصب فوق رؤوسهم فى أماكن شتى . فأمريكا تستخدم الآن "الورقه الإسلامية" ضد المسلمين أنفسهم ، وبنفس الأساليب والطرق وحتى بنفس الأوراق التى إستخدمتها من قبل فى أفغانستان التى كانت مدرسة عظمى وتجربة من أهم تجارب المسلمين وأنفعها لهم ، لو أنهم استوعبوها. ولكن الحماس زاد وتقلص الفهم حتى كاد أن ينعدم .

لهذا زاد العنف وسالت الدماء . وغاص المسلمون حتى أعناقهم فى الفتن والملاحم ، وكادوا أن يقضوا على أنفسهم بأنفسهم ، وأضحى مستقبلهم مشكوكاً فيه . وقد تبدأ الحضارة دورتها الجديدة وهم خارج مسيرة التاريخ ، منغمسون فى حروب الجاهلية وفى وحشيتها وعصبياتها وغياب العقل عنها.

ـ ما يعنينا هنا أن باكستان كانت منطلقا لعملية الحرب بالوكالة ، أى الإنحراف بالجهاد الإسلامى عن أصوله وأهدافه ، وتحويله إلى مجرد أداة فى يد الولايات المتحدة تنفذ به مشاريعها الكبرى فى السيطرة على العالم بما فيه العالم الإسلامى نفسه . وبالتالى فإن الإنتصار الذى تحقق على أيدى المجاهدين فى أفغانستان لم يصل من إيجابياته شئ تقريباً إلى أيدى المسلمين . فعملاء أمريكا مع بقايا عملاء السوفييت حكموا أفغانستان بعد إنسحاب السوفييت وسقوط النظام الشيوعى فى كابول ، ضمن تشكيل حكومى أشرف عليه مدير المخابرات السعودية وقادة المخابرات الباكستانية . أما المتطوعون العرب فقد وصموا بالإرهاب ولوحقوا فى أصقاع الأرض حتى أختفى معظمهم من مسرح الحياة نتيجة للمطاردة الوحشية .

وكل ذلك كان مرتكزة باكستان ، فهى التى ساهمت بقوة فى مطاردة واعتقال العرب وتسليمهم إما إلى حكومة الولايات المتحدة أو الحكومات العربية كى تقوم بواجباتها المقدسة فى مثل تلك الحالات .

آخر التجارب المريرة مع باكستان كانت وضع أراضيها وأجواءها وجيشها وأجهزة الإستخباراتها فى الخدمة الكاملة للعدوان الأمريكى على أفغانستان ، وشاركت ميدانيا بقواتها فى بدايات العدوان ، وقتلت وأسرت قواتها الخاصة العرب فى جبال تورا بورا الأفغانية عند إنسحابهم نحو باكستان ، وطاردت أسرهم فوق أراضيها بلا رحمة أو هوادة . وفى مجهود باكستانى أمريكى مشترك تدار حاليا حرب كاملة برا

وجوا ضد من فروا من أفغانستان ولجأوا إلى قبائل وزيرستان الحدودية ، فقتلوا العشرات من أطفال ونساء العرب والأوزبك والإيجور الذين لجأوا إلى أراضى المسلمين فى باكستان ، فرارا من وحشية جنود الحملة الصليبية على أفغانستان ، فوجدوا فى باكستان وحشية أشد ، وتلك حقيقة وليست مجازا .

ـ تحول الجهاد فى أفغانستان ضد السوفييت ، وبمساعدة باكستان ، ساستها ومخابراتها ، وعون كامل من السعودية والإخوان المسلمون الدوليون والسلفية السعودية ، إلى نموذج مكتمل المواصفات والدقة للحرب بالوكالة . لذا جرى تكراره بصورة مستمرة منذ ذلك التاريخ حتى الآن وبتغييرات طفيفة فى الأدوات الإسلامية المستخدمة . وبشكل أساسى تقوم الورقة الإسلامية فى الحروب بالوكالة على دعم مالى من دولارات دول الخليج النفطية ، و شحن عقائدى من السلفية الوهابية ، وأساس تنظيمى هو الإخوان المسلمين الدوليون ، مضافا إليهم غيمة كثيفة من التنظيمات العشوائية للسلفية الجهادية.

ـ خلال عملية الجهاد الصعبة ضد الإحتلال الأمريكى وقفت الدولة الباكستانية بكامل أجهزتها إلى جانب المحتل وضد المجاهدين ، وجرائمها فى حقهم لا تكاد تحصى ، وكذلك أسلوبها الشهير المراوغ من أجل الحصول على المزيد من المعلومات حين تسمح بتمرير بعض تحركات المجاهدين على حدودها ، ثم تلقى القبض على الكثير من كوادر وقادة الحركة الذين عبروا الحدود لأسباب تتعلق بنشاطهم الجهادى . وكما كان الحال وقت الجهاد ضد السوفييت إغتالت باكستان الكثير من كوادر الجهاد وقادته ، إما بطلب قوات الإحتلال أو طبقا لحسابات أجهزة المخابرات الباكستانية .

ـ أثناء فترة الحروب المتصلة فى أفغانستان منذ الغزو السوفيتى قامت باكستان من جانبها بالإستيلاء على مناطق إستراتيجية على الحدود ، فإضافت بذلك تعقيداً جديداً لمشكلة المناطق الحدودية التى كانت قد إنتقلت بشكل مؤقت إلى بريطانيا أثناء إحتلالها للهند وطبقاً لإتفاقية "ديورند" ، ومن ضمنها مناطق وزيرستان التى تدور فيها حالياً حرب مباشرة بين القوات الباكستانية وحركة طالبان الباكستانية ، حيث تقوم الطائرات الأمريكية بشكل يومى تقريباً بقتل المدنيين بتعاون تام مع الإستخبارات الباكستانية رغم الإعتراضات الرسمية الباهتة التى تصدرعن حكومة إسلام آباد .

ـ تنظر باكستان إلى أفغانستان كعمق إستراتيجي لها فى الصراع مع الهند ، حيث أن الأراضى الباكستانية نفسها ضيقة ولا تسمع بمناورات عسكرية كبيرة ، بعكس الأرض الهندية الواسعة . والهند بدورها ترى فى أفغانستان إستكمالاً للحصار الإستراتيجى على باكستان وأرضا مثالية للعمل ضدها لإضعافها أو إسقاطها فى حال تحالف أفغانستان مع الهند .

ـ تدعم باكستان وجهة نظر لدى بعض ساستها تقول بأن أفضل حل لمشكلة الحدود مع أفغانستان ، وتخطى الإطار الزمنى لإتفاقية "ديورند" ، هو خلق دويلة للبشتون على جانبى الخط الحدودى الإستعمارى ، تكون دائرة فى الفلك السياسى والإقتصادى والعسكرى لباكستان . وعلى كل الأحوال لا يمكن لباكستان أن تتخلى عن هدف إقامة حكومة عميلة لها ى كابول . وهى فى ذلك تلتقى مع نظرية الفوضى الخلاقة الأمريكية لتقسيم بلاد المسلمين إلى دويلات ضعيفة ومتحاربة على أسس العرق والمذهب . والمشكلة هى أن باكستان نفسها يمكن أن تختفى من فوق الخريطة السياسية إن أخذت هذه النظرية مداها فى التطبيق.

ـ كانت فترة الغزو السوفيتى لأفغانستان فرصة تاريخية أمام باكستان للتدخل فى شئون القبائل البشتونية المقيمة داخل حدودها وتتمع بهامش كبير نسبيا من الحكم الذاتى . فوسعت نفوذ الحكومة المركزية فى تلك المناطق . والأخطر كان سيطرتها على الأحزاب "الجهادية" الأفغانية ، فامتد نفوذها عبر الإمداد بالسلاح وباقى المهمات لتحقيق إختراقات إستخبارية عميقة فى صفوف جماعات المقاتلين داخل أفغانستان ، حتى صارت المخابرات الباكستانية هى الأقوى بين كل الأجهزة الأخرى العاملة هناك ، وهى كثيرة جداً . وكانت تلك حقيقة يعرفها كثيرون .

وفى حديث لى مع أحد الكوادر الممتازة فى حركة طالبان ، بعد وصول الحركة إلى الحكم ، قال لى : "إننا فى أفغانستان لا نخشى أمريكا ولا غيرها ولكننا نخشى باكستان لأنها تستطيع أن تفعل أى شئ داخل بلادنا ". وذلك مشابه لما قاله الملا محمد عمر / أمير المؤمنين/ فى حديث له مع بن لادن ، معناه : (نحن لا نخشى أمريكا ولكننا نخشى أن تنضم إليها باكستان فى حالة أى عدوان على بلدنا) ، وقد تحققت خشيته بأسوأ مما كنا نتصور أو يتصور أى أحد . وفى أول زيارة سرية له إلى قندهار طلب الجنرال برويز مشرف من الملا محمد عمر، عدم تطبيق الشريعة الإسلامية إن أراد لحكمه أن يستمر . وطالبه بتسليم بن لادن للأمريكيين ، ثم أوضح له بجلاء أن باكستان لن تستطيع مقاومة الضغوط الأمريكية ، لذا ستنضم إلى أمريكا فى حالة أى حرب ضد أفغانستان .{1} الحاكم الأفغانى رفض جميع مطالب الجنرال الباكستانى ، وعن التهديد بالحرب قال بأنها لو فرضت على الأفغان فسوف يخوضونها متوكلين على الله فقط .

سياسة إيقاظ الفتن .

ورث ساسة باكستان أساليب حكم الإستعمار البريطانى للهند ، وعلى رأسها سياسة إشعال الفتن بين صفوف الناس حتى تسهل قيادتهم ، تطبيقاً للمثل البريطاني الشهير (فرق تسد) . وفى بلد كبير متعدد الأقوام واللغات ويتفشى فيه الجهل والتعصب والمواريث التاريخية المريرة ، لابد لحكومة فاسدة – وذلك شأن جميع حكومات باكستان منذ الإستقلال – إن تلجأ إلى سلاح الفتنة . وطبقت باكستان خبراتها الإستعمارية فى أفغانستان منذ وقت مبكر حين إشعلت نار الإقتتال الداخلى – فى ولاية ميدان وردك عام 1982 – بين أتباع كل من حكمتيار، رجل الإستخبارات الباكستانية الأول فى أفغانستان ، وأتباع عبد الرسول سياف رجل السعودية الأول فى أفغانستان ، وأمير الجهاد الأفغانى حسب التعبير الذى حاكته وسائل الداعية لدى الإخوان المسلمين ، مع العلم أن حكمتيار هو أيضا من كبار رموز ذلك التيار . وكان قادة الأحزاب الجهادية فى صراع سياسى ودعائى دائم فوق الأراضى الباكستانية ، حيث توجد مقراتهم الرئيسية . الأيادى الباكستانية كانت المحرك لمعظم تلك الصراعات والإنشقاقات ، والتى أخذت فى الغالب صراع على حيازة أكبر قدر من المساعدات المالية والعينية القادمة من الخارج وبالذات من منطقة الخليج النفطية ، أو الصراع على أخذ نصيب أكبر من الأسلحة التى توزعها المخابرات الباكستانية نيابة عن المخابرات الأمريكية التى تحضر تلك الأسلحة من مصادر كثيرة طبقا لسياسة شراء مواقف الدول بعقد صفقات الأسلحة معها . وفى الحقيقة فإن معظم تمويل تلك الحرب وصفقاتها التسليحية والسياسية كان سعوديا .

ـ وكثيرا ما كان الصراع ، أو حتى الإقتتال بين فصائل المجاهدين ، فرعاً من التنافس المكتوم بين باكستان والسعودية للسيطرة على المنظمات "الجهادية!!" فى بيشاور . فى أحداث مثل إغتيال الزعيم السلفى الأفغانى جميل الرحمن على يد شاب عربى موال لحكمتيار . وتلك نماذج قليلة من عشرات أو مئات الأحداث المماثلة ، داخل أفغانستان وفى باكستان ، لإستخدام حكومة باكستان لسلاح الفتنة من أجل تسهيل قيادتها لأحزاب المجاهدين للأفغان ، بل ولتمزيق أفغانستان نفسها وإقامة دولة قزم على حدودها تسيطر عليها بأيسرالسبل .

ـ يحسب لحكومات باكستان تدشين أخطر فتنة طائفية دامية بين السنة والشيعة ، وإنشاء مجموعات مسلحة مدربة لقتل الشيعة كأفراد وقيادات ، ومهاجمة مواكبهم بالمتفجرات والرصاص . تلك المجموعات دربتها المخابرات الباكستانية ، ومولتها السعودية التى أسست سفارتها فى إسلام آباد أول المجموعات وأخطرها حتى الآن وهى تنظيم (سيباه صحابة) فى أوساط ثمانينات القرن الماضى.

ـ تجربة المخابرات الأمريكية فى عقد تحالف بين الخبرة الباكستانية الواسعة وبين سلاح "الإفتاء والمال" السعودى ، كان نموذجاً يحتذى . ونقلت التجربة بعد ذلك إلى العراق بعد الغزو الأمريكى لذلك البلد. وحلت الخبرة التركية والخليجية محل الخبرة الباكستانية ، فكانت الفتنة الطائفية خير عون للإحتلال الأمريكى مكنه من الإنسحاب مع بقاء شلال الدم متدفقاً ، والعراق منتهياً كدولة موحدة ، متحولا إلى تنور مشتعل يحرق سكانه . فأمنت إسرائيل / إلى الأبد فيما يبدو / من أى خطر قد يأتى يوما من العراق ذو الإمكانات البشرية والمادية التى تفوق الوصف . ولأسباب مشابهة تقع سوريا الآن تحت نيران تلك التجربة المهلكة. واحد من أسباب تأخر الإنسحاب الأمريكى من أفغانستان هو فشلها فى نقل الفتنة الطائفية إلى أفغانستان بسبب مقاومة حركة طالبان لمحاولات الإنجرار إلى ذلك المستنقع ، وذلك رغما عن مجهود باكستان الداعم للأمريكيين فى ذلك المجال الذى أصبحت باكستان فية أحد أكبر مراكز الخبرة الدولية.

ـ خلال قتال حركة طالبان ضد تحالف الشمال الذى كان أداة للتدخل الدولى فى شئون أفغانستان ، نفس المجموعات التى أسستها باكستان لإشعال الفتنة الطائفية عندها نقلتهم إلى أفغانستان على هيئة متطوعين متحمسين جاءوا لنصرة حركة طالبان . وتم رصد عدة محاولات قامت بها تلك المجموعات لتحويل الصراع إلى فتنة طائفية . كما فشلت محاولات أخرى قام بها متطوعون قادمون من جزيرة العرب ، طالبوا بحماسة بقتال الشيعة داخل أفغانستان ، المحاولات الباكستانية والعربية أجهضت لعدم تجاوب حركة طالبان.

ـ وهناك شكوك قوية بأن نشاطات باكستان الهدامة وصلت إلى شبهة مشاركتها فى تفجير قندهار عام 1999 الذى استهدف مقر إقامة الملا محمد عمر حاكم أفغانستان . وهناك شكوكاً أخرى أن عناصر باكستانية وقفت وراء مجزرة القنصلية الإيرانية فى هيرات عام 1998.

وهناك شكوكاً مماثلة تحيط بالحكومة الإيرانية إزاء نفس الحادثين وأنها تورطت فيهما . لهذا ثارت شكوك عن وجود تنسيق إيرانى باكستانى فى مجهودات إشعال الفتنة الطائفية والعرقية فى أفغانستان ، إما بتعاون مباشر أو عبر طرف ثالث هو الولايات المتحدة و أجهزتها السرية.

ـ تلك كانت شجون الماضى مع باكستان أكبر الجيران المسلمين ، بتاريخها المتأثر بتراث الإستعمار البريطانى ، ثم تبعيتها منذ الإستقلال للإمبريالية الأمريكية ، وتلبية أوامرها فى أفغانستان والمنطقة عموماً.

مستقبل العلاقات مع باكستان :

لا ينبغى نسيان الماضى أو التوقف عن مناقشة مشاكله المعلقة مع الجيران . وفى نفس الوقت طرح أفاق التعاون المستقبلى وفق مبادئ : المصالح المشتركة المتكافئة &عدم التدخل فى الشئون الداخلية لأى طرف & العمل المشترك من أجل إستتباب الأمن & التعاون لخير جميع الشعوب .

تلك مبادئ عامة للتعامل مع جميع الدول التى يمكن أن تدخل أفغانستان معها فى حوارات تعاون . ويلاحظ أن الدول التى شاركت فعلا فى العدوان الأخير على أفغانستان سيكون لها قانون خاص بالتعامل على ضوء الجريمة العظمى التى إرتكبوها فى حق ذلك الشعب ومصالحه التى أضيرت ، والتى لا يمكن لأى أحد أن يتنازل عنها ، لأنها حق عام لكل شعب أفغانستان.

ـ العمل المشترك مع باكستان ممكن فى مجالات إقتصادية ذات طابع إستراتيجى ، للإستفادة من الموضع الجغرافى لأفغانستان كجسر يصل شبه القارة الهندية (باكستان والهند وبنجلادش) مع الجمهوريات الإسلامية فى أسيا الوسطى وصولا إلى روسيا الإتحادية . وإستخدام أراضى أفغانستان كمعبر تجارى وعقده مواصلات وطرق سريعة (أتوستراد) وخطوط سكة حديد تنقل البضائع والركاب.

مع باكستان يمكن البدء بشكل جزئى فى ذلك المشروع الإستراتيجى . والبدء بإنشاء خط سكة حديد يصل ما بين ميناء جوادر الباكستانى الواقع على مدخل بحر العرب ، وفيه تصب خطوط أنابيب الغاز والنفط الذى مدته الولايات المتحدة لنزح نفط وغاز جمهوريات أسيا الوسطى بعيداً عن خطوط الطاقة التى تمر فى إيران أو روسيا . وكان ذلك المشروع أحد دوافع الحرب ضد أفغانستان نتيجة رفض الإمارة الإسلامية للشروط الأمريكية المجحفة ، التى كانت فى حقيقتها عرضاً بالرشوة وليس تعاقدا عادلا .

فى مرحلة أولى يصل الخط الحديدى المقترح من ميناء جوادر إلى أفغانستان ثم تركمانستان ذات التاريخ من العلاقات الجيدة والأكثر حيادية مع أفغانستان وأزماتها.

من ميناء جوادر تشحن السلع الباكستانية المتوجهة شمالا إلى عمق آسيا ، وتعبر البضائع أيضا فى الإتجاه المعاكس صوب باكستان وباقى دول جنوب آسيا . ويمكن للهند أيضاً أن تستخدم نفس الطريق وأن تساهم فى إنشائه وتمويله ، إذا توصلت إلى تفاهم مع باكستان تشارك فيه أفغانستان. وتعاون ثلاثى بهذا الشكل يمكن أن يفتح آفاقاً تجارية عملاقة تبدأ بالتبادل التجارى بين الجنوب والشمال فى قارة آسيا تكون عقدة مواصلاته هى أفغانستان ، ويشمل طرقاً برية وسكك حديدية ومطارات دولية . العائدات الإقتصادية ستكون ضخمة تستفيد منها شعوب القارة إلى جانب كسر عزلة أفغانستان وتبديل طبيعة دورها "الجيوسياسى" من منطقة عازلة بين الأعداء إلى ملتقى تجارى إقتصادى ، ومجمع ثقافى حضارى بين شعوب القارة .

ـ يمكن أن تتفق البلدان أفغانستان وباكستان على بناء طريق سكة حديد من مدينة كويتا ـ عاصمة إقليم بلوشستان ـ فى باكستان لتعبر مدخل سبين بولدك الحدودى مع قندهار، ثم يتوجه الخط غربا نحو مدينة هيرات ومنها صوب منطقة الحدود مع تركمانستان عند مدينة " تورغندى" الأفغانية ، ومنها يصل خط السكة الحديد ـ بعد الإتفاق مع حكومة تركمانستان ـ إلى بحر قزوين حيث تطل كل من روسيا وإيران وأوزبكستان وكازاخستان ـ (راجع خرائط الطرق المقترحة فى آخر الكتاب) ـ

ـ كأحد المشروعات الإستراتيجية الهامة ، يمكن التفاوض مع دول عديدة ، منها الهند وإيران وروسيا والصين ، بشكل منفرد أو جماعى ، لبناء شبكة خطوط سكة حديد تصل المدن الأفغانية ببعضها وتصل عبر أفغانستان ، شمال آسيا بجنوبها "، من موسكو إلى كراتشى فى باكستان وبومباى فى الهند " . ويصل كذلك دول الشرق بالغرب الأسيوى من الخليج الفارسى إلى بحر الصين .

ـ ومن قندهار أيضا يمكن أن يتوجه خط السكة الحديدية صوب العاصمة كابل فى أراضى سهلة . ومن قندهار أو كابل يمكن أن يمتد الخط إلى باميان فى الوسط ومنها إلى كل من قندز ومزار شريف فى الشمال. ومن مدينة هيرات يمكن أن يتوجه خط السكك الحديدية عبر مناطق هامة فى شمال البلاد وحقول نفطية قائمة ومحتملة فى مدن ولايات سمنجان ومزارشريف ، ثم يمتد بسهولة حتى مدن قندز وطالقان وحتى مدينة فيض آباد عاصمة ولاية بدخشان الشمالية ، المرشحة لأن تكون أول مدينة أفغانية من عواصم الولايات تتصل بريا وبالسكك الحديدية مع الصين عبر ممر واخان . أى أن خطوط الموصلات الشمالية ستصل مستقبلا إلى الصين ومدينة كاشاغر الإسلامية العريقة فى مناطق الإيجور .

ومن مزار شريف يمكن أن يعبر طريق السكة الحديد جسر الصداقة صوب أوزبكستان ، وهو الجسر الذى عبره الجيش الأحمر عند غزوه لأفغانستان فى 25 ديسمبر عام 1979 ، ثم عبره مرة أخرى وهو يجر أذيال الهزيمة فى 15 فبراير عام 1989 .

وصول الطريق البرى والسكة الحديد إلى طاجيكستان عبر نهر جيحون فوق جسر صداقة جديد هو أمر يتماشى مع تقوية الترابط بين أجزاء هذا الإقليم . إن توحيد قارة آسيا المزدهرة / كما كان توحيد أمريكا / أساسه الطرق الحديدية والطرق السريعة للسيارات ، والمطارات الدولية . وأفغانستان هى قلب الحركة النابض لقارة آسيا بحكم موقعها الجغرافي .

ـ يمكن بدء مفاوضات أفغانية باكستانية لتسوية مشكلات الحدود. وإعادة المناطق التى إنتزعت بموجب إتفاقية " ديورند" الإستعمارية . ويمكن التفاوض على تسوية لحقوق أفغانستان فى تلقى تعويض عن إستغلال تلك المناطق الواسعة من قبل باكستان لسنوات طويلة بدون سند قانونى ، حيث رأت حكومات أفغانستان أن تلك الأراضى كان ينبغى إعادتها إلى بلادهم فور إنسحاب بريطانيا من الهند عام 1947 .

المفاوضات الحدودية مع باكستان يمكن تتحرك فيها وساطة إسلامية مقبولة من الطرفين ، أو وساطة منظمة المؤتمر الإسلامى ، أو دول منظمة شنغهاى . أما المنظمات الدولية فهى غير محايدة ومنحازة دوما للسياسات الأمريكية وأهدافها الإستعمارية .

ـ كجزء من أى تسوية حدودية مع باكستان يمكن طرح فكرة ضم ميناء جوادر الباكستانى إلى أفغانستان مع شريط من الأرض يربطه بها . فتصح أفغانستان بذلك دولة بحرية . وذلك يعتبر إنقلاباً فى الوضع السياسى والإستراتيجى لأفغانستان فى قارة آسيا ومنطقة الخليج الفارسى . ويمكن أن تتحول جوادر مستقبلا إلى منفذ لتصدير الغاز والنفط المستخرج من أفغانستان ، إلى جانب سلع أخرى كثيرة زراعية وصناعية وخامات نصف مصنعة .

ـ يوم تقوم أفغانستان بدور حلقة الربط الأساسية فى قارة آسيا سوف تطل الوجوه الصينية على صفحة الخليج الفارسى ، ويذهب تجار البازار الإيرانى صوب بحر الصين ، ويطل الباكستانيون والهنود بمنتاجاتهم فى شوارع موسكو، ويكون الأفغانى متواجدا فى كل مكان من آسيا ، ويأتى إليه الناس من أنحاء القارة يتاجرون ، ويشاهدون نموذجاً حديثاً لدولة إسلامية مزدهرة إقتصاديا ومترابطة أخلاقياً ودينياً.

إيران: عداء غامض الدوافع

" فى صباح اليوم التالى" ستكون العلاقة الأفغانية مع إيران واحدة من أصعب الملفات أمام حركة طالبان. فالسابقة التاريخية للتعامل معها لم تكن مشجعة أبداً . لقد عاد مؤخراً إلى الحكم فى طهران التيار الإصلاحى بإنتخاب "روحانى" رئيساً للجمهورية عام 2013 . ذلك التيار كان يحكم إيران وقت وصول حركة طالبان إلى حكم أفغانستان ودخولها إلى كابول عام 1996 على أنقاض نظام "برهان الدين ربانى" حليف طهران . فى ذلك الوقت كان "هاشمى رفسنجانى"رئيساً للجمهورية. وهو محرك رئيسى فى الثورة الإسلامية بزعامة الإمام الخمينى . ورفسنجانى هو القائد الفعلى للتيار الإصلاحى الذى يحوى عدة رموز شهيرة منها "محمد خاتمى" الذى كان رئيساً للجمهورية منذ عام 1997 وعاصر باقى فترة حركة طالبان إلى حين سقوطها بفعل العدوان الأمريكى .

رؤساء طهران الإصلاحيين كانوا على عداء صريح وحاد مع حركة طالبان ، فدعموا المعارضة المسلحة المشهورة بتحالف الشمال الذى يضم طيفاً متناقضاً من بقايا أحزاب جهادية وميليشيات شيوعية . قاتل التحالف ضد حركة طالبان وقد أمدته طهران بالسلاح والمستشارين العسكريين وصولاً إلى الأطعمة والمال. خاض "تحالف الشمال" حرباً بالوكالة ضد حركة طالبان مدعوماً فى الأساس من إيران ومعها طاجكستان وأزبكستان الواقعتان وراء الحدود الشمالية لأفغانستان . وكانت روسيا مسانداً فعالاً لذلك التحالف حتى أوشك نظام موسكو أن يعلنها معركتة الوطنية ، مدفوعاً بحدة القتال الدائر فى الشيشان ، حيث إعتبر الروس أن نظام طالبان هو جزء من حركة عالمية إسلامية مسلحة معادية لهم .

هذا التحالف المعادى لحركة طالبان كانت قيادته الظاهرة والأكثر فعالية هى طهران . ولم يكن واضحاً السبب الحقيقى لذلك العداء ، حيث أن كل الإدعاءات الإيرانية كانت متهافتة وتخفى دوافع غير معلنة ، هى على الأرجح رغبة فى التوسع الإقليمى مع نزعة لإستغلال الورقة الطائفية فى ذلك السبيل .

ـ فقد إدعوا أن حركة طالبان صناعة باكستانية ، دفعتها باكستان إلى الحكم لأهداف خاصة . وادعوا أن حركة طالبان صناعة أمريكية أتت بها إحتكارات النفط من أجل تمرير خطوط أنابيب النفط والغاز فى دول

أسيا الوسطى إلى موانئ باكستان بعيداً عن روسيا وإيران ، حتى لا يستفيد أيا منهما مالياً أو إستراتيجيا من مرور تلك الخطوط بأراضيه.

لاقت تلك الدعايات قبولاً عالمياً وكانت متوافقة مع ماينشرة الإعلام الأمريكى بهدف تشويه وعزل حركة طالبان ، للإستفراد بها ضعيفة ومتهالكة ومحاصرة فتكون فريسة سهلة . ونتيجه لعدم وجود إعلام لدى حركة طالبان ، فقد أنفردت تلك الشائعات بالرأى العام العالمى . ولكن القريبون من الأحداث فى أفغانستان كانوا يشاهدون واقعاً مختلفاً تماماً. وتطورات الأحداث التى وصلت إلى حد العدوان الأمريكى المباشر أثبتت أن كل تلك الدعايات كانت كاذبة عن تعمد واضح .

باكستان وحركة طالبان :

القول بأن الحركة الأفغانية الجديدة "حركة طالبان" ، وبما أنها أسقطت نظام برهان الدين ربانى الموالى لمحور إيران / موسكو، فلا بد أن تكون موالية للمحور المنافس أى باكستان/ الولايات المتحدة ، ذلك تفكير محدود الأفق لأنه يختار التبرير الأسهل متجاهلاً حقائق الواقع الأفغانى ، بل ومتجاهلاً القدرة الأفغانية على التغيير ، وعشق الأفغان الفطرى للحرية والإستقلال . وأيضاً فى قولهم هذا إستهانه بالذكاء الأفغانى . وقد أغرتهم حالة الضنك التى يعيشها ذلك الشعب نتيجة الغزوات الإستعمارية لبلاده وبالتالى التكاليف الباهظة لعمليات المقاومة المستميتة التى كلفت الأفغان غالياً فى الدم والمال ، وفرضت حالة الفقر على ذلك الشعب الذى تسبح أراضيه فوق بحر من الثروات الطبيعية الهائلة . ولكن الأفغان يعتبرون أن ما دمرته الحروب يمكن إعادة بنائه بأفضل مما كان ، ولكن فقدان الحرية وضياع الدين ، هى خسائر لا يمكن تعويضها . فهذا الشعب لم ولن يخضع لأى متسلط أجنبى مهما كان . وهذ حقيقة معنى بها جميع الجيران ، ناهيك عن الغزاة القادمون من بلاد بعيدة .

ظنت الطبقة الحاكمة فى باكستان أنها ورثت عن مستعمريها السابقين الخبث والدهاء ، والقدرة على تمزيق الخصم من داخله ، بواسطة الوقيعة بين مكوناته ، وهى سياسة الإستعمار البريطانى المسماه (فرق تسد) .

وقد سمعناها مباشرة من بعض كبار الباكستانيين الذين يحلمون بدولة على طول شريطهم الحدودى تكون دمية فى أيديهم . وصرح أستاذ جامعى فى باكستان فى حديث مع إغاثيين عرب أنه لا ينبغى تقديم تعليم حديث عالى المستوى للأفغان المهاجرين حتى يظلوا معتمدين على باكستان وخبرائها .

وقد رحبت باكستان بظهور حركة طالبان عندما أظهرت الحركة قوة إندفاع من قندهار صوب كابول شرقا و مدينة هيرات غربا ، فى إنتصارات سريعة وتأييد شعبى كاسح . فتعشمت باكستان أن حرب طالبان ضد نظام الحكم الموالى لمحور إيران/ موسكو ، سيجعل حركة طالبان مرغمة على الإنحناء لباكستن طلباً للعون .

أرسلت باكستان كميات محدودة من الذخائر لطالبان فى خوست وجلال آباد فقوبلوا بالإهانات من طلاب الشريعة الشباب ، متهمين أياهم بالنفاق والرغبة فى تأجيج القتال بين الأشقاء الأفغان لتحقيق مصالح باكستان **{ 2 }** . هؤلاء الطلاب الشباب طاردوا وزيرا باكستانيا جاء لزيارة مقر الإمارة فى قندهار فاضطروه إلى الفرار السريع فى طائرته التى جاء بها . فى نفس الوقت كان الجيش الباكستانى يستغل

أجواء القتال الداخلى ليواصل تقدمه البطئ عبر الحدود محتلاً قمماً إستراتيجية ومواقع وقرى . وهو عمل داوم عليه منذ سقوط النظام الشيوعى عام 1992.

والأخطر هو أن باكستان إستغلت الحرب بين طالبان وأنصار نظام ربانى ودفعت بمئات الجواسيس من جماعات الفتنة الطائفية من أمثال "سيباه صحابه" كى تفتتح حرباً ليس فقط ضد الشيعة بل ضد الفئات العرقية الأخرى من غير البشتون .

والهدف النهائى كما بات واضحاً هو تقسيم أفغانستان والفوز بدولة دمية عازلة على حدود باكستان مع أفغانستان . وفى نفس الوقت كانت سلطات باكستان تلقن حكم طالبان دروساً فى ضرورة الخضوع والإنحناء لباكستان ، فكانوا يمنعون مرور البضائع الأساسية من الطعام والوقود ، إضافة إلى إهانة الأفغان العابرين للحدود مما تسبب فى إشتباكات بالسلاح من وقت إلى آخر بين حراس الحدود فى الجانبين .

تلك الأحداث كانت سببا فى محاولة حركة طالبان فتح جسور ثقه مع إيران ، لكنها قوبلت إما بالرفض ، أو المماطلة . كانت محاولات إيران لتمزيق الشعب الأفغانى إلى فئات متناحرة أكثر وضوحاً وعدوانية من محاولات باكستان ، والفارق كان واضحاً بين الغطرسة الإمبراطورية فى إيران والخبث البريطانى فى باكستان . توجهت باكستان إلى دعم البشتون "السنة". وبالطبع لم يكن ذلك حباً فى البشتون ولا زيادة تدين بمذهب السنة ، كما برهنت مئات الحوادث . فى المقابل توجهت إيران إلى دعم "الشيعة" ودعم الناطقين بالفارسية أى "الطاجيك" من ناحية العرق . وسعت إيران من مساحة دعمها ليشمل كل من لديه قابلية لبيع نفسه والقتال ضد طالبان فى مهنة إرتزاق لاقت رواجاً بين تجمعات فقيرة وجاهلة طحنتها حروب طويلة وقاسية ، فلم يعد أمامهم غير البندقية مصدراً للرزق . كان هؤلاء موزعين فى القبائل ولكنهم كانوا أكثر بين أبناء العرق الأوزبكي . وهذا ما استفاد منه الإتحاد السوفيتى فأنشأ منهم أكبر ميليشيا مسلحة فى أفغانستان . وكانت الميليشيا الأوزبكية ، بحكم التعبئة العرقية والجهل والفقر وإغراء المال ، الأشد وحشية من بين كل الميليشيات التى عممها السوفييت فى أفغانستان بين القبائل.

وهكذا ورثت إيران فى صراعها مع حركة طالبان الميليشيا الشيوعية "جلم جم" فقاتلوا بها الى جانب الآخرين فى تحالف الشمال المعادى لطالبان . عبد الرشيد دوستم قائد تلك الميليشيا قاتل ضد طالبان إلى جانب الأمريكيين وباقى ميليشيات تحالف الشمال الذى كان يقاتل طالبان بدعم من ايران وموسكو . ومن أكبر رموز ذلك التحالف وقائده الحقيقى كان أحمد شاه مسعود زعيم الحرب الطاجيكى المشهور.

الولايات المتحدة شجعت مجهودات باكستان وإيران لتمزيق أفغانستان وإشعال الحرب الأهلية فيها ، سعياً إلى تمزيقها إلى دويلات تدور فى فلك الدول الإقليمية ، خاصة باكستان وإيران ثم طاجيكستان وأوزبكستان فى الشمال . وبالتالى تقوم مجموعة دويلات عرقية ومذهبية ضعيفه ومهلهلة ، تحتوى كل منها على إحدى مفردات الثروة الطبيعية أوالميزات الجغرافية ، وفى النهاية تكون كل تلك الدويلات فى خدمة مصالح الشركات الكبرى متعددة الجنسيات ، والإستراتيجية الأمريكية فى ذلك الإقليم الأسيوى الحساس .

ـ وبعكس ما هو متوقع فإن تدخلات إيران فى الشئون الأفغانية كان ضاراً بالشيعة الأفغان أكثر من أى فئة أخرى . وأكبر الأخطاء كانت تبنى إيران للتنظيمات الشيعية وجمعها تحت عنوان (حزب وحدت). وسلحت

الحزب بكثافة ودفعت به إلى أتون الحرب الأهلية التى إستعرت مباشرة بعد سقوط النظام الشيوعى ودخول حكومة " أحزاب المجاهدين" التى جاءت من بيشاور بعد أن شكلها مدير المخابرت السعودى من قادة المنظات السبعة هناك.

كانت مشاركة الشيعة هامشية فى الجهاد ضد الإحتلال السوفيتى **{ 3 }** ، ربما لأن مناطقهم فى وسط البلاد كانت هامشية إقتصاديا وسياسيا . ولكن بالتدخل الإيرانى والتحفيز المذهبى أصبح حزب وحدت من نجوم الحرب الأهلية على أطراف كابول . والحزب الذى نعم بفترة طويلة من الهدؤ أثناء الإحتلال السوفيتى كان ظهوره لافتاً فى الحرب الأهلية ، وظهرت لديه بكثرة المدرعات والأسلحة الثقيلة . واضح أن معظم ذلك جاء بالشراء من السوق المفتوحة داخل أفغانستان ، حيث العنائم كثيرة جداً وأسعارها منخفضة ، حتى أنه فى ذلك الوقت كانت الدبابة الروسية السلمية تستبدل بسيارة "بيك آب" يابانية رباعية الدفع متوسطة الحال .

الدخول الصاخب لحزب وحدت جاء فى توقيت سئ للغاية وهو إشتعال الحرب بين الأحزاب.

تبدلت تلك التحالفات عدة مرات ، وقد غير الجميع تحالفاتهم بما فيهم حزب وحدت ، الأمر الذى أكسبه عداوات مع الجميع ، وكان أعداؤه فى كل مرة هم أصدقاؤه يوماً . أعداء الحزب حولوا الصراع السياسى معه إلى صراع مذهبى . وذلك الإستغلال الإجرامى للطائفية السياسية مازال شائعاً فى الكثير من الدول الإسلامية والعربية، ويجد له سوقاً رائجة لتحويل الأنظار عن القضايا الحقيقية والأعداء الحقيقيين ، ويخدم المجرمين الذين يتحولون إلى أبطال بفعل إكسيرالطائفية العجيب .

حتى إيران التى سائدت حزب وحدت الشيعى، تحالفت هى أيضاً مع كبار أعدائه الذين مارسوا قتل الشيعة الأبرياء فى أحيائهم الفقيرة ، من الذين يبحثون عن لقمة العيش وليس كرسياً فى وزارة ، أو صفقة سياسية مغموسة فى الدم .

أكثر من إرتكب جرائم قتل جماعية فى أحياء الشيعة حول كابول كان أحمد شاه مسعود وزير الدفاع فى حكومة ربانى وأقوى شخصية فى كابول أنذاك **{ 4 }** ، وهو حليف مقرب من إيران ، وظل كذلك إلى حين إغتياله فى السابع من سبتمبر 2001 على يد تنظيم القاعدة.وظل مسعود يتلقى دعماً عسكرياً ولوجستياً ضخماً من إيران ومستشارين عسكريين لمساعدته فى قتال حركة طالبان طول الوقت ، رغم أنه أول من قام بجريمة سبى نساء الشيعة فى تلك الحرب.

الشخصية الثانية الأشهر فى إرتكاب مجازر ضد المدنيين الشيعة كان "جلب الدين حكمتيار" ومشهور قوله للعرب المتطوعين فى حرب كابل بأنه ينوى تحويل مناطق الشيعة إلى مزارع للقمح ، أى أنه سيدمرهم.

زعيم" حزب إسلامى أفغانستان" والمشهوردولياً بأنه الأكثر تشدداً بين قادة المجاهدين!!ـ ورغم أنه رجل باكستان الأول بين قادة الأحزاب الجهادية ـ إلا أنه بعد هربه من أفغانستان لجأ إلى إيران لعدة سنوات يمارس منها معارضته لحركة طالبان ، ولما حاول أن يعترض على الإحتلال الأمريكى لأفغانستان فإن حكومة الإصلاحيين طردته فى طهران ، وفتحت أبوابها لإستقبال رئيس أفغانستان الجديد " كرزاى" موظف الإستخبارات الأمريكية ومستشار شركاتها النفطية . فعاد حكمتيار إلى باكستان متخفياً فى منطقة القبائل على الحدود مع أفغانستان . ولكنه كان على صله مع مخابراتها طول الوقت ، بعد أن سمح لكل

كوادر حزبه بالإنضمام إلى الحكومة التى شكلتها أمريكا فى كابول ، وإنضم إلها كل زعماء الأحزاب الجهادية السابقة أيام السوفييت فيما عدا مولوى يونس خالص ، الذى كان الوحيد من بين الزعماء الذى أفتى بضرورة الجهاد ضد الغزاة الأمريكيين وطردهم من أفغانستان .

يتضح من ذلك أن نشاطات إيران فى أفغانستان لم تكن أبدا بدافع عقيدة أو مذهب ، ولكن بدافع المصلحة مثل باقى دول العالم ، وهى تستخدم الشيعة وأحزابهم كأداة فى يدها ، وقد تساعدهم أو تساعد على قتلهم ، حسب مقتضيات الظرف السياسى ومصالح طهران .

ـ عند وصول قوات حركة طالبان إلى حدود العاصمة كابول ، كان تعاملهم مثاليا مع سكان مناطق الشيعة إلى أن حدث أول سؤ تفاهم كبير. فطالبان نتيجة أخطائهم وعدم خبرتهم بأساليب عدوهم " أحمد شاه مسعود" لم يتمكنوا من حماية المنطقة الشيعية ، فاجتاحتهم قوات مسعود فى هجوم مفاجئ أثناء جريان مفاوضات كان من المفترض أن تنهى المشكلة بين طالبان وحكومة ربانى . تعرض الشيعة لمجزرة ، وكان طالبان قد سحبوا منهم الأسلحة الثقلة ، فلم يتمكن الشيعة من الدفاع عن منطقتهم ضد مسعود المشهور بوحشيتة . أثناء فرار طالبان من المنطقة الشيعية مصدومين من الهجوم غير المتوقع ، فقد كانوا فى إنتظار توقيع إتفاق مع مسعود والحكومة ، فجاء الهجوم غدراً ، فقتل العديد من أفراد طالبان والكثير من سكان المنطقة الشيعية. الغاضبون من الشيعة أطلقوا النار على الطلبة الفارين ، فإعتبر طالبان ذلك غدراً بهم يستحق القصاص .

وبعد قليل لم تلبث إحدى نقاط تفتيش التابعة لطالبان أن ألقت القبض على الزعيم الشيعى البارز (عبدالعلى مزارى) فإعتقلوه وعدد من أعوانه كانوا فى سيارة أجرة على أطراف كابول . ثم أرسلوا المجموعة كلها إلى قندهارعلى متن طائرة هيلوكبتر ، حسب أوامر كبار المسئولين هناك . أثناء تحليق الطائرة فوق منطقة صحراوية من ولاية غزنى ، قامت مجموعة المعتقلين بمهاجمة الحراس فأستولوا على بنادقهم وأصابوا الطيار بطلق نارى فهبط بالطائرة إضطرارياً على الأرض الصحراوية المتربة فثارت زوبعة عالية من الأتربة ، إجتذبت إنتباه دورية لحركة طالبان فتوجهوا بسيارتهم صوب الطائرة المنكوبة ، فقابلتهم نيران مجموعة مزارى ، الذى قتل فى تبادل النيران . قامت قائمة الشيعة ، وإنطلق سعير الشائعات بأن الزعيم البارز قد قتل عمداً على يد حركة طالبان على سبيل الإنتقام لما حدث فى كابول . تبنت حكومة كابول تلك الرواية ، وروجها الإعلام الإيرانى المعادى لطالبان على أنها حقيقة مؤكدة .

كان ذلك واحدا فقط من عدد لا يحصى من الأمثلة لأشعال نيران الفتنة المذهبية بين الأفغان السنة والشيعة . فكانت الإشاعات تنطلق من الطرفين ، وكأن لها مصانع تطلقها بين الجيع ضد الجميع. وتلك هى صناعة الفتنة التى تكاد تودى بمستقبل المسلمين وتخرجهم من مسيرة البشرية فى هذا الظرف التاريخى الحساس ، وبالفتنه لن يكون المسلمون مكان ضمن تكوينات المستقبل ، بل سيرتكسون قرونا طويلة إلى الوراء . فبينما العالم يستقبل هذا التحول التاريخى الكبير بزوال الكابوس الأمريكى عن صدره ، وتشكيل نظام دولى من دول كانت من مظاليم القرون الثلاث الأخيرة ، يستقبله المسلمون بالمجازر والمفخخات والكراهية الحمقاء ، بلا معنى أو هدف سوى الإبادة المتبادلة للطوائف والمذاهب والأديان . لابد من القول أن الأعصاب الأفغانية الغاضبة والمحترقة تسببت فى تجاوزات رهيبة من الطرفين ، فزادت الإشاعات

وإكتسبت مصداقية أكثر وإنعكس ذلك مزيداً من الكراهية ومزيداً من الدماء المسفوكة والتجاوزات المخزية.

المتطوعون العرب حول كابول مع سياف أو حكمتيار شاركوا فى الحرب ضد الشيعة (1992 – 1996) ، وقد زودهم الزعيمان بكل الأسلحة الثقيلة والخفيفة ، فقاتلوا ولم يبالوا بأى أخلاقيات إسلامية أو إنسانية فى تلك الحرب . فسفكوا دم النساء والأطفال ، ولم يتركوا المجزرة إلا عندما تحولت التحالفات ، والذين كانوا ضد الشيعة بالأمس أصبحوا حلفاؤهم اليوم . لقد غيرت المدافع إتجاهاتها أكثر من مرة خلال تلك السنوات العجاف من تارخ أفغانستان ، فغادر المتحمسون العرب الساحة غاضبين حيث لم ترو عطشهم لدماء الفتنة .

صراع سنى شيعى أم باكستانى إيرانى؟

الصراع السنى الشيعى فى أفغانستان ، إستفاد منه بشكل مباشر كل من باكستان وإيران ، وهدف كل منهما هو إبتلاع جزء معين من أفغانستان . وعلى الأطراف البعيدة نسبياً إستفادت السعودية بصفتها المندوب الأول فوق العادة للإمبريالية الأمريكية فى العالم الإسلامى ، وبصفتها حامى حمى الإسلام "السنى طبعاً" ، ويمكنها تسخير "الورقة الإسلامية" بوجهها "السلفى / الوهابى" الجهادى لخدمة الإستراتيجية الأمريكية حول العالم . كما حدث فى أفغانستان ضد السوفييت ، وفى الشيشان ضد الروس ، وفى البوسنة والهرسك ضد ما تبقى من نفوذ روسى فى أوساط صرب البوسنة الأرثوذوكس .

ومؤخرا فى أحداث الربيع العربى الضائع ، ولأجل تشتيت غضب الشعوب ضد أنظمتها الفاسدة والمستبدة ، عمد مديرى الفتن ومقاولوها الكبار والصغار إلى تحويل الغضب الشعبى إلى الإتجاه الخاطئ ، إلى الشيعة إن وجدوا ، أو المسيحيين إذا تعذر وجود الشيعة بحجم وقوة مناسبين ، أو ضد العلمانيين أو أى قوة داخلية تخالف ماهم عليه ، حتى تبقى الأنظمة وتفنى الشعوب .

وبعد دمار وخراب البلاد التى إبتليت بوباء "الربيع العربى" تمزقت الأوطان وتفتت تلاحم الشعوب المظلومة وبقيت الأنظمة بعد أن غيرت جلدها واكتسبت أثواباً جديدة وقشيبة ، وافتتحت سيرك الديموقراطية بعد تجديدة . ديموقراطية الفساد والقمع ، وتبديد ثروة الأوطان واستقلالها وكرامتها ، فى صحبة كرنفال صاخب من دساتير وقوانين وبرلمانات وإعلام منفتح على كل فساد سياسى وتمويل خارجى بازخ يشترى الأقلام والألسنة والضمائر . ومثلهم الأعلى هو الولايات المتحدة أكبر ديموقراطية فاشية عسكرية بوليسية فى تاريخ الحضارة الغربية. ديموقراطية فاشية تتجسس على كل الشعب وكل الشعوب لافرق بين عدو أو صديق ، وعمليات قتل بدون طيار وحروب بالأزرار ، وجيوش من المتزقة يقتلون بلا حساب أو محاسبة ، فى حماية الدولة الأعظم وخارج كل قوانين الأرض والسماء.

وإعلام دولى تحول إلى ماكينة حرب تدمر العقول وتغسلها وتكويها ، تفردها وتطويها ، لتناسب مطالب أصحاب البنوك من الربويين الدوليين ، وأباطرة الشركات متعددة الجنسيات ، مالكى ثروة الأرض المتحكمين فى مصير البشرية البائسة .

فهل هذا هو دور الإسلام؟؟ حكومات تستثمر الحكم وتبيع الأوطان ، وشعوب تنتحر وتقتل نفسها بنفسها ، وحركات وأحزاب تتخذ الدين مهنة والجهاد وسيلة لتأسيس شركات إرتزاق دولى تقاتل بالأجر، جنودها متحمسون أطفأوا نور العقل وجعلوا ظهورهم مطية بعد أن عميت بصائرهم بتعصب مذهبى أحمق . أو كما وصفتهم خلال الحرب ضد السوفييت بأن أمريكا وأعوانها إستخدموا المتطوعين المسلمين كبغال تحميل ، تحمل أوزارهم عبر الجبال الوعرة ، ثم يطلقون على رؤوسهم رصاصات الرحمة بعد إنجاز المهمة.

ـ ويوجه عام تصرف أربعة من جيران أفغانستان على أن تلك الدولة قابله للإفتراس ، وأن ما لم ينجح فيه الغزو العسكرى السوفيتى قد ينجحون هم فيه رغم إختلاف الفئة المذهبية (إيران / باكستان) أو الفئة العرقية (طاجكستان / أزبكستان) . لكن حركة طالبان بدعم شعبى كاسح أوقفت محاولات التفتيت وحافظت على وحدة أفغانستان ، إلى أن إضطرت أمريكا للتدخل لمنع الحركة من إتمام سيطرتها على البلد ، أو مواصلتها وقف زراعة الأفيون ومنع مرور خطوط الطاقة عبر أراضيها بشروط أمريكية مجحفة .

بيرل هاربور فى مزار شريف :

فى أغسطس عام 1998 وقع حادث دامى فى مدينة مزار شريف الأفغانية زلزل إيران كلها ، رغم أنه حدثا عادياً فى أفغانستان التى صارت الأحداث الدامية – مهما عظمت – شيئاً روتينيا تسمعه الآذان أو تراه الأعين ، بدون أن يضيف جديداً لشعور ثابت بالمأساه التى ليس بعدها مزيد. لقد إقتحمت مجموعة مسلحة القنصلية الإيرانية فى مزارشريف ، وإحتجزوا طاقم القنصلية لفترة قصيرة ثم أطلقوا عليهم النيران ، فقتل معظمهم . وكانو حوالى أحد عشر شخصاً قتل منهم حوالى ثمانية أو تسعة ، ولكن فى البداية قيل أنهم قتلوا جميعاً. وقع الحادث وسط حالة عارمة من الفوضى والقتالى الداخلى فى المدينة بعد أن إجتاحتها قوات حركة طالبان. وخلال القتال فى الشوارع إستولت الحركة على المدينة الهامة التى تطل على أوزبكستان عبر نهر جيحون (أمودريا).

وكان قد مضى حوالى عام على إنقلاب داخل المدينة فى عام 1997 أطاح بسيطرة حركة طالبان التى دخلتها بالإتفاق مع أحد أقرب أعوان حاكم المدينة القوى "عبدالرشيد دوستم" قائد ميليشيات "جلم جم" . ولكن رجال الحركة ما أن فتحت لهم المدينة أبوابها حتى تفرقوا بين أرجائها ، فإنطبقت عليهم أمواج الخيانة التى فتحت لهم الأبواب ، فلقى المئات منهم مصرعهم فى موجة همجية نادرة داهمت حتى الأقلية البشتونية المقيمة فى المدينة منذ القدم .طالتهم رجالاً ونساءاً فى مشهد دنس أقدس المحرمات لدى الأفغان وسط الميادين العامة فى إحتفالات حيوانية صاخبة ، جرحت أعماق العرقية البشتونية التى سنحت لها فرصه الرد والإنتقام فى صيف العام التالى 1998 ومعاقبة من دعموا المعتدين بالسلاح والطعام والخبرة.

منذ نجاح الثورة الإسلامية فى إيران تعرض الكثير من الشخصيات الرسمية الإيرانية لإعتداءات خارج إيران راح ضحيتها الكثيريون ، ولكن حادث مزارشريف. كان تأثيره داخل إيران أكبر من أى حادث سبقه أو لحقه ، وكانت نتائج السياسية أكبر من أن تحدثها حتى حروب تقليدية مثل الحرب مع العراق مثلاً.

وهى الحرب التى إستغرقت ثمان سنوات – أى أكتر بعامين من الحرب العالمية الثانية – لقد تغيرت بالفعل مسار السياسية الخارجية للدولة الإيرانية بشكل درامى ، فبدلاً من أن يكون العدو الأول للدولة (أو الشيطان الأكبر) هو الولايات المتحدة ، حدث ما لا يمكن تصوره إطلاقاً ، فقد صارت حركة طالبان هى العدو الاول للدولة ، وهجمات الإعلام الإيرانى عليها لم تتوقف . وبلا هوادة كان يعبئ الرأى العام الإيرانى ضدها كما لو أنه يجهز لحرب مفتوحة على تلك الحركة . بل كانت الحرب ضدها قائمة بالفعل على جميع المستويات وصولاً الى الحرب بالسلاح على الأرض ، ولكنها حرباً بالوكالة عبر تحالف الشمال ، و الخبراء العسكريين من إيران كانوا دوماً هناك فى صفوف ذلك التحالف .

ـ عندما قررت الولايات المتحدة غزو أفغانستان بعد حادث 11 سبتمبر، وأطلق جورج بوش الرئيس الأمريكى الأسبق ، شعاره المخيف (من ليس معنا فهو ضدنا) ، سارعت إيران – ربما قبل التهديد – بالإنضمام إلى مشروع الغزو. و تأتى إعترافات صريحة أمام كاميرا التلفزيون البريطانى لرئيس الجمهورية خاتمى ، ولهاشمى رفسنجانى الرجل الأقوى على الدوام . وكذلك إعترافات الرئيس الروسى فلاديمير بوتين (***خلال برنامج لهيئة الإذاعة البريطانية "بى بى سى" والذى أذاعته قناة الجزيرة فى شهر مايو 2009 تحت عنوان إيران والغرب***) تدفقت الكثير من الأسرار حول إستعدادات العدوان على أفغانستان .

يقول البرنامج أن اللقاءات بين الأمريكان والإيرانيين جرت فى مقار الأمم المتحدة (!) فى نيويورك وجنيف. وفى مجلس الأمن تشكلت مجموعة " 6 + 2 " التى تشمل الدول الخمس دائمى العضوية فى مجلس الأمن "مضافاً إليهم ألمانيا العضو الجديد فى نادى الإمبريالية الغربية ولكن البرنامج لم يذكرها بالإسم ضمن عصابة الستة" أما المتآمران الجديدان فذكر منهما إسم إيران فقط وتغافل البرنامج عن ذكر إسم الدولة الأخرى ، فهل كانت هى إسرائيل ؟؟ الحاضرة بشدة على أرض أفغانستان والغائب الأكبر عن الإعلام ، أم هى باكستان ؟؟ التى قدمت أراضيها وسماءها وجيشها وإستخباراتها فى خدمة الغزو ، وكان جيشها فى طليعة القوات التى عبرت الحدود صوب قندهار وجلال آباد ، وطاردوا العرب فى جبال (تورابورا). موضوع تلك المباحثات السرية كان تحديد مجالات التعاون المشترك خلال توجيه ضربة إلى طالبان و"الإرهاب" فى أفغانستان.

جاء فى البرنامج التلفزيونى أنه عندما بدأت الغارات الجوية ، إستخدمت فيها قنابل طائرات جديدة شديدة التدمير ، لكنها لم تجد نفعاً . الضابط الإيرانى المشارك فى أحد الجلسات مع فريق التآمر الدولى فاجأ الجميع حين ضرب بقبضته على طاولة الإجتماعات قائلاً بتسمع كلاماً كثيراً ولا نرى تقدماً على الأرض، إنكم لن تكسبوا الحرب بالضربات الجوية ، لابد أن توجهوا ضربات لقوات طالبان التى تغلق منافذ وادى بنشير حتى تخرج قوات تحالف الشمال من هناك وتستولى على كابول. ثم أخرج خريطة ووضعها على الطاولة . الأمريكيون أخذوا الخريطة التى تحدد مواقع طالبان التى ينبغى قصفها ، فكانت تلك هى الإستراتيجية الأمريكة التى نجحت فى إسقاط كابول.

ـ يلاحظ هنا حماس الضابط الإيرانى وغضبه على الأمريكيين بسبب كثرة الكلام بدون إحراز تقدم على الأرض ، مكتفين فقط بالقصف الجوى ، فكان إمبرياليا أكثر من الأمريكيين . وكيف أنه حدد دور تحالف الشمال كقوات أرضية تعمل لصالح الأمريكيين فى الإستيلاء على العاصمة الأفغانية ، الذين تقدموا بعد أن

أتم تحالف الشمال مهمته . ومعلوم أن تحالف الشمال كان لصيق الصلة وكامل الإعتماد على طهران وموسكو فى كل شئ تقريباً ، حتى أنه فى بداية العدوان تقدمت قواته التى كانت فى طاجيكستان ومعها متطوعين روس ممن قاتلوا سابقاً فى أفغانستان . وكان التحالف مزوداً بمعدات لامعة وكأنها خرجت توا من مصانعها ، وبملابس للجنود كأنها خرجت للتو من أرقى المحلات .

لقد أظهر بوتين إنزعاجه الشديد من حادث إغتيال أحمد شاه مسعود الذى إغتالته (القاعدة) قبل حادث طائرات منهاتن بيومين . قال بوتين فى البرنامج التلفزيونى المذكور أنه إتصل مع الرئيس الأمريكى بوش تلفونياً بعد الحادث وأخبره أنه قلق من حادث إغتيال مسعود ، قائلا أن الحادث ليس معزلاً ، وأنهم " أى الإرهابيين" يخططون لشئ كبير سوف يحدث!!.

كانت أفغانستان إذن تحظى بنفس الدرجة من الإهتمام لدى كل رؤساء روسيا وأمريكا وإيران – وذلك يجعلنا نفكر بحرص وعمق فى مستقبل العلاقات الأفغانية فى "صباح اليوم التالى" مع تلك الأقطاب الدولية والأقليمية الهامة.

ونلاحظ أن مقرات الأمم المتحدة فى نيويورك وجنيف ليست أماكن لحل مشاكل العالم وحماية حقوق الدول بل هى أوكار تآمرية على الشعوب وقتل الملايين فى حروب إستعمارية دامية.

وتحديداً فإن الأمم المتحدة ، وخاصة أعضاء مجلس الأمن الكبار دائمى العضوية فيه ، إنما يمثلون عصابة دولية تتقاسم إدوار الشر والعدوان على الدول الصغرى ، تحت راية الشرعية الدولية ، التى هى شرعية العدوان وحصانة المعتدين ، والبطش بأصحاب الحقوق والمستضعفين . إنها نادى دولى للتآمر ينضم إلى الخمسة الكبار فيها كل من يقع عليه الدور للإشتراك فى جريمة دولية ، تحت صيغة رقمية مكونة من خمسة زائدا أرقاما أخرى ، كما حدث فى التآمر الدولى على الشعب الأفغانى تحت صيغه 6 زائد 2 التى ضمت إلى جانب الخمسة الدوليين " وألمانيا "عضوان جديداً، هما إيران وباكستان " وربما إسرائيل".

ومن بين الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن شارك ثلاثة منهم فى العدوان المباشر على أفغانستان وهم أمريكا ، زعيم الإرهابيين ، ثم بريطانيا وفرنسا ، فأي نظام دولى هذا ؟؟ . وقد شاركت معهم ألمانيا التى أطلت عسكريا على العالم مرة أخرى بعد إقتناع الغرب بأن النازية هى الشقيق التوأم للديموقراطية الغربية ، وأن الخلاف بين النظامين تتعلق بالشكل وليس بالمضمون . أما نصيب الصين فكان مناجم النحاس الهائلة ومناجم الحديد وامتيازات نفطية ومقاولة إنشاء ميناء جوادر، الذى طلبه الأمريكان لأهدف إستراتيجية وإقتصادية تتصل بنفط أسيا الوسطى ويورانيوم وأفيون أفغانستان ، وذلك هو "دور الصين العظمى" فى أحد أكبر جرائم العصر.

موقف أفغانستان من الأمم المتحدة – "فى صباح اليوم التالى" ودائماً – لن تغيب عنه تلك الحقيقة الكئيبة للمنظمة الدولية التى هى أقرب إلى مؤسسة تديرها عصابة مافيا خماسية دائمة العضوية ، ومجرمون آخرون تحت الطلب ، فى إنتظار أن تتاح لهم فرصة لتقديم خدمه إلى "المنظمة الدولية" التى هى الأجدر بأن يعلن عنها كمنظمة "إرهابية" مطلوب تفكيكها ومحاكمتها دولياً.

نعود إلى ما أوردته الجزيرة فى برنامجها (إيران والغرب) الذى نقلته عن تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية " بى بى سى" ، وفيه يقول "خاتمى" بعظمة لسانه أنه عندما بدأت أمريكا عدوانها على العراق فإن إيران ، التى كان هو رئيس جمهوريتها ، أرسلت إليها بأنه "يمكننا أن نعيد تجربتنا المشتركة فى إفغانستان مرة أخرى فى العراق" . وإعترف بأن إيران زودت الشيطان الأكبر بمعلومات إستخبارية عن العراق لإستخدامها فى عدوانه الوحشى الذى دمر هذا البلد الأساسى فى منظومة العرب وتاريخ المسلمين جميعاً الشيعة قبل السنة!! . السيد "خاتمى" رئيس الجمهورية ، الإصلاحى ، المتآمر على جيرانه والمتواطئ مع "الشيطان الأكبر" العدو الأيدلوجى لبلاده وثورتها ، قال أنه إقترح أن تنضم بلاده إلى أمريكا "للعمل" فى العراق ، ولكن ليس طبقاً للصيغة المافياوية (6+2) التى إعتمدت فى أفغانستان ولكن حسب صيغة جديدة هى (6+6) التى تضم كل جيران العراق . لكن الأمريكان لم يوافقوا على العرض ، فهل شعر السيد خاتمى بالإهانة ؟؟.. هذا شئ مستبعد .

ـ فى نفس البرنامج التلفزيونى قال نائب وزير الخارجية الإيرانى : (كان قادة المعارضة العراقية مقيمين عندنا فى إيران وكان يمكن لهؤلاء أن يضحوا قادة العراق الجدد). وهذا ما حدث عندما إكتمل الغزو الأمريكى لأفغانستان ، فإن قادة المعارضة الأفغانية المقيمين في طهران إنتقلوا إلى كابول لتولى مناصب قيادية إلى جانب قادة المعارضة الافغانية الذين كانوا فى أمريكا وأوروبا من اللاجئين القدماء . عادوا ليكونوا وزراء وقادة ، وعلى رأسهم كرزاى الذى دخل إلى بلاده على متن طائرة هلكوبتر أمريكية وصورته دعايتها على أنه بطل حرب تحرير، وكان حراسة الشخصيين ومازالوا من عناصر الإستخبارات الأمريكية. وفى ذلك درس عظيم لظاهرة طبيعية وشائعة وهى المعارضة فى الخارج . لأن القاعدة العامة تقول بأن تلك المعارضات مع الوقت تصبح ممثلاً للطرف المضيف وليس ممثلاً لشعبها . ويمكن وجود إستثناءات نادرة ولكنها ليس القاعدة العامة.

ـ درس آخر يمكن الإستفادة منه : جاء فى البرنامج أن عرضاً غير رسمى قدمته إيران للولايات المتحدة يقول بأن قتل الأمريكيين فى العراق يمكن أن يتوقف فى مقابل أن تتوقف أمريكا عن معارضة البرنامج النووى الإيرانى . الأمريكيون رفضوا العرض وأنكروا أنهم تسلموه أصلاً . ولكن يبقى الدرس قائماً والإستفادة ممكنة لمن شاء أن يستفيد . يقول الدرس أن حركة المعارضة المسلحة أو حتى السلمية والتى تعتمد فى بقائها على الخارج تكون تابعة أو متأثرة بشدة ببرنامج ذلك الخارج ، وتابعة لمصالحة وليست متقدمة عليها بأى حال . تلك قاعدة عامة لكل "جهاد" أو "مقاومة " أو " ثورة ملونة" أو "ربيع" عربى أو أوكرانى أو جورجى .

ـ فى وسط معمعة التعاون الإيرانى مع "الشيطان الأكبر" الذى أصبح حليفاً ، كان "روحانى" يشغل منصب سكرتير هيئة الأمن القومى، وهو منصب هام جداً ضمن هرم النظام الحاكم .وكان ممسكاً بالملف النووى الذى أدارة بأسوأ شكل ممكن ، واضعاً رقبة بلاده فى قبضة الدول الأوروبية والمفتشين الدوليين ، الذين تمتعوا فى إيران بتسهيلات لم تتح لهم فى أى بلد آخر ، حسب شهادتهم .

وإذا كان عدوان صدام حسين أعطى إيران مبرراً للعداوة المريرة إلى درجة قبول التعاون مع الأمريكيين فى إحتلال العراق وإسقاط نظام صدام ، فإن حركة طالبان لم ترتكب أى فعل معاد لإيران ، بل العكس هو

الذى حدث ، فمنذ اللحظة الأولى لظهور الحركة فى قندهار إعتبرتها إيران عدوا من الدرجة الأولى ، لمجرد أن الحركة إستهدفت نظام "ربانى" الفاسد ، وإسقطت حكومته فى كابول ، كما أسقطت "إسماعيل خان" حاكم هيرات وصديق إيران المقرب ، الذى فر تاركاً مدينته العريقة لمجرد أن عشرة فقط من عناصر طالبان تسللو إليها "!!" ونفس الشئ حدث فى كابول حيث أن الأسماء الكبيرة فى كابول من ربانى إلى سياف وحكمتيار ومسعود جميعهم تسابق إلى الفرار لمجرد أن سيارة بيك آب واحدة إنطلقت من المضيق الجبلى فى شرق العاصمة فى طرف طريق جلال آباد ، وتقدمت مسرعة لمسافة كبيرة مخترقة دفاعات مسعود الذى جعلته الدعاية الغربية أسطورة عسكرية ، فتهاوت المدينة وفر القادة الكبار بتدافع مخز نحو شمال فغانستان ولم يتوقفوا إلا عند نهر "جيحون" على حدود طاجيكستان . وكانوا على وشك العبور متصورين جنود طالبان على أثرهم . كانت سيارة "البيك آب" الشهرة التى إقتحمت كابول يستقلها "ملا بورجان" القائد العسكرى لقوات طالبان التى تهاجم كابول من محور جلال آباد. وقد أصيب بطلقة أودت بحياته خلال عملية الإقتحام ، لكن سائقه أمسك بجهاز اللاسلكى وطلب من القوات أن تتقدم لأن ملا بورجان قد أصبح داخل كابول بالفعل. وقد سمع قادة كابل ذلك الإتصال ، فصارت أرجلهم تعمل أسرع من عقولهم . **{ 5 }**

ــ تلك هى جرائم طالبان كما تراها طهران ، ولكن ذلك لن يكون مقنعاً للشعب الإيرانى لتبرير تحول أساسى فى توجه الدولة الذى جعل من العداء لأمريكا "أيدلوجية" وليس فقط سياسة دولة . كانت الحكومة الإيرانية فى حاجة ماسة إلى "جريمة كبرى" تلصقها بحركة طالبان حتى تقلب عليها شعب إيران وتبرر أمامه تغير "أيدلوجية الدولة" من العداء لأمريكا الى التعاون الوثيق معها ضد شعب مسلم جار ، لإحتلال أراضيه . بإختصار كانت إيران فى حاجة شديدة لمجزرة مزار شريف تماما كما كانت الولايات المتحدة فى حاجة الى عدوان اليابان ميناء "بيرل هاربر" حتى تدخل بذريعته إلى ميادين الحرب العالمية الثانية.

فى حالة "بيرل هاربر" ضيقت أمريكا الخناق الإقتصادى على اليابان حتى تجبرها على شن الحرب على الولايات المتحدة ، وبهذا يمكن إيجاد تغطية وتأييد شعبى لدخول الحرب العالمية الثانية وهو ما كان يرفضه الشعب الأمريكى ، قبل هجوم "بيرل هاربر" ثم وافق عليه بالإجماع بعد الهجوم.

كانت أمريكا قد تمكنت من فك الشيفرة اليابانية وعلمت بأمر الهجوم قبل حدوثه ولكنها لم تتخذ أى إجراءات لمنعه أو الوقاية منه ، وتركت حاملات الطائرات اليانية تقترب من ميناء بيرل هاربر وتنطلق منها الطائرات لتدمر السفن الأمريكية التى فى الميناء والطائرات الرابضة فى مطار الجزيرة.

وتكرر نفس الشئ فى هجوم 11 سبتمبر على ناطحتى السحاب فى جزيرة مانهاتن . فقد كان لأمريكا أسباب قوية جداً فى الداخل والخارج تستوجب شن حرب على العالم الإسلامى ، وتكبيل حريات مواطنيها فى الداخل ، وفرض نظام إرهاب الدولة العظمى على العالم أجمع .

وما فعلته أمريكا مع اليابان كررته مع بن لادن، بأن شددت عليه الخناق بحيث لم يعد أمامه وسيله سوى توجيه ضربة أو ضربات قوية إلى الولايات المتحدة . وكان ذلك بالضبط ما تريده وتنتظره أمريكا ، بل وساعدت عليه ، حتى تبدأ حربها العدوانية ضد البشرية ، ولكن بعد أن تضمن تأييد شعب أمريكا نفسه.

ـ وهناك إتهام لإيران بأنها إستخدمت الأسلوب الأمريكى فى إفتعال حادث مدوى ليكون مبررا لحرب جاهزة ضد الطرف المعتدى ، أو الذى أرغم أو إستدرج على البدء بالهجوم عليها . ليس إتهام إيران يقف بلا دليل ، بل هناك شواهد على صحته.

فقد كان بإمكان الحكومة الإيرانية إنقاذ طاقمها القنصلى فى مزار شريف لو أنها ببساطة كانت ترغب فى ذلك . وقد كان لديها الوقت والقدرة الكاملة . فللوصول إلى أوزبكستان لا تستغرق السيارة التى تتحرك من مدينة مزار شريف سوى حوالى ساعة للوصول إلى جسر "حيرتان" على نهر أمودايا . أما الطائرة الهيلوكبتر فتحتاج إلى حوالى عشرة دقائق للهبوط مباشرة خلف الحدود الأوزبكية. وحلفاء إيران فى مزار شريف – دوستم ومسعود – لديهم أسطول جوى وعلاقات قوية / بل تحالف/ مع كل من أوزبكستان وطاجكيستان ، وسقوط المدينة فى أيدى طالبان إستغرق وقتاً وجوبه بمقاومة كانت تتيح وقتا كافياً لإنسحاب فرقة عسكرية وليس طاقم قنصلى محدود العدد .

<u>إستفادت إيران من حادث مزار شريف ما يلى :</u>

ـ خلق عدو متوهم كبديل عن عدو حقيقى . فالثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخمينى إتخذت من أمريكا عدوا أساسيا لأيران ، وقد حان الوقت على أيدى تيار الإصلاح بتوجهاته السياسية والإقتصادية أن يعودوا إلى حضن الولايات المتحدة أو على الأقل وفى البداية التعاون معها فى قضايا إقليمية محددة ، على أن يفتحوا لها أبوب الحصن من الداخل عندما تحين اللحظة المناسبة ، أو أن تصنع تلك اللحظة بالتعاون مع أمريكا نفسها ، إما بإنهيار الوضع الداخلى فى إيران ، أو بضربة عسكرية من الخارج ، أو بحرب جهادية طائفية "سنى / شيعى " من الطراز العراقى والسورى ، أو كل تلك الأشياء معا .

ـ شغل الرأى العام الإيرانى بعداوة جديدة مستعرة ضد عدو جديد ، صوروه على أنه عدو مذهبى وعنصرى متوحش ، يقتل الأبرياء المظلومين ، وتلك نقطة حساسة جداً فى الوجدان الشيعى التاريخى.

ـ الإعلام الإيرانى المكتوب والمسموع والمرئى وضع فى قمة أولوياته التشهير بحركه طالبان وتزوير الإتهامات من العمالة للولايات المتحد (!!!) الى معادة الشيعة فى أفغانستان ، إلى تهم الإرهاب والمخدرات. وحدث أن عومل الأفغان من العرقية البشتونية على المنفذ الحدودى مع إيران أسوأ معاملة ممكنة ، رغم حصولهم على تأثيرات دخول قانونية ، فأعيدوا ولم يسمح لهم بالدخول وتلقى بعضهم سباباً وضربات أمام ذويهم وأسرهم من نساء وأطفال.

ـ أتيح للإعلام الإصلاحى توجيه إنتقادات صريحة أو مبطنة ، للمظاهر الإسلامية فى المجتمع الإيرانى ، وتشبيه ذلك بطالبان . وأى ممارسة إسلامية يريدون الإنتقاص من شأنها ، كانت توصف بأنها ممارسة (طالبانية) . وأستنادا إلى ذلك ثم تخفيض الإنضباط المفروض على الحياة الإجتماعية العامة ، وبدأت مظاهر غريبة تظهر لم تكن مألوفة ، فى السلوكيات والملابس ، وإنفتحت الحياة الثقافية أمام الأفكار الغربية التى كانت محظورة فى السابق لتعارضها مع الإسلام ، أو لترويجها للثقافة الغربية أو السياسات الأمريكية ، وتزايدت إلى حد كبير جدا أعداد الصحف والمجلات ، وكان الرئيس خاتمى يباهى بأعداد التراخيص الجديدة الممنوحة للإعلام الجديد ، وتخلت تلك المنشورات عن كثير من الإلتزامات الثورية

والإسلامية ، فكانت غزوا ثقافياً فى ثوب (الإصلاح) ومحاربة "الإسلام الطالبانى" . ومقصدهم الحقيقى كان هدم المفاهيم الإسلامية لمؤسس الثورة الإيرانية نفسه ـ أى أنها كانت ثورة على الثورة ـ وهذه كانت أكبر أهداف حملة الكراهية لطالبان ، والتى إستفاد الإصلاحيين منها .

ـ وبدأت تظهر دعوات كانت من أشد المحرمات مثل التخلى عن حزب الله وعن المقاومة الفلسطينية ، وأن إيران لن تكون فلسطينية أكثر من الفلسطينيين والعرب الذين إتفقوا مع إسرائيل وعقدوا معها سلاماً حميما.

ـ والأخطر أن الرأى العام الإيرانى صار مهيئاً أكثر لقبول الطائفية كوجهة للعمل السياسى الخارجى . وكان الإمام الخمينى قد قاوم تلك الروح بشده – دافعاً صوب الوحدة الإسلامية – ولكن بعد حادثة مزارشريف أصبح مقبولا أكثر من أى وقت سياسات طائفية فى الخارج ، أبرزها بعد أفغانستان كان العراق بالتعاون مع الولايات المتحدة أو الشيطان الأكبر .. "سابقا" .

محاولة إغتيال فى قندهار:

فى الذكرى السنوية الأولى لمؤامرة مزارشريف المفجعة ، وقعت محاولة لإغتيال قائد حركة طالبان – أمير المؤمنين الملا محمد عمر – تمت المحاولة بواسطة شاحنة قادمة من صوب الحدود الإيرانية وتحمل براميل نفط مهربة وفيما بينها شحنة ضخمة من المتفجرات قدرت بعدة أطنان .

الإتهامات على الفور توجهت صوب إيران خاصة وإن وجهة الشاحنة ، وتوقيت العملية يوحى بذلك ، ولكن كان هناك شواهد أخرى سبقت الإنفجار ورافقته تشير إلى إحتمال تورط باكستان . فى ذلك الحادث قتل 15 من أقارب الملا عمر وحراسة ، وأحد أبنائه ، (فى بدء العدوان الأمريكى فقد إبنا آخر وعمه وعدد آخر من الأقارب). **{ 6 }**

ـ وكما يوجد دليل على تورط باكستانى/إيرانى فى تفجير قندهار ، كان هناك دليلاً آخر على إحتمال قيام تعاون بينها فى حادث مزار شريف . فقد أفاد أحد الناجين من الطاقم الدبلوماسى الإيرانى أن أحد المختطفين تلقى إتصالاً هاتفياً على هاتفه الجوال باللغة الأوردية ، وعلى إثره بدأ فى إطلاق النار على الدبلوماسين . سربت الحكومة الإيرانية تلك المعلومة كدلالة على خضوع حركة طالبان لأوامر باكستان. ولكن الحوادث التالية كلها أثبتت تعاون كلا الدولتين ، إيران وباكستان ، مع الأمريكان فى العدوان على أفغانستان ، وذلك بإعترافات واضحة وموثقة قيلت من موضع الفخر والإعتزاز من كبار المسئولين فى البلدين . فأين إذن يقع على الخارطة السياسية "الإسلام الأمريكى" الذى تتحدث عنه الأدبيات السياسية فى إيران؟؟ . نقول أنه يمكن أن يتواجد فى كل مكان وأى مكان إلا أفغانستان التى تقودها حركة طالبان ، التى من مشاكلها الخطيرة أنها لا تمتلك إعلامها الخاص ، وما تمتلكه من وسائل ، جد متواضعه ، تجابه بقمع إعلامى دولى وإسلامى ، فى محاولة لإطفاء نور الحقيقة وتعميم ظلام الأكاذيب . ولكن ذلك لا يمكن أن يدوم إلى الأبد ، وقد بدأ بالفعل فى الزوال بزوال وشيك للإحتلال الأمريكى وظهور حقيقة المواقف المعماة فى التآمر الدولى على أفغانستان .

ـ تحويل حركة طالبان إلى عدو وطنى ومذهبى للشعب الإيرانى ، أتاح لحكومة المعتدل "خاتمى" أن تستجيب لطلب الجيش الأمريكى بعبور الطائرات الأمريكة لأجواء بلاده ، ولكن مع شرط شكلى ومضحك

، يحفظ ماء الوجهه ، فقد إشترط ألا تكون الحمولة عسكرية (!!) ولم يذكر أحد فى إيران أو أمريكا كيف يتم التحقق من ذلك الشرط ، ولكن الطائرات عبرت بما تحمله على عهدة السيد خاتمى.

إيران وأهل السنة :

لا يغيب عن البال أن عدد أهل السنة فى إيران يفوق عددهم فى السعودية مثلاً . بالطبع لديهم الكثير من الشكاوى ، لكنهم قطعاً يعيشون فى ظروف هى الأفضل من باقى أهل السنه فى المنطقة ، من حيث الأمن والإستقرار والتعليم والصحة ومقدار المشاركة السياسية فى الإنتخابات . والشكاوى تكاد تنحصر فى تهميشهم وعدم إتاحة الفرصة المناسبة لهم فى المناصب الحكومية ، وعدم الإهتمام بمناطقهم بشكل متناسب مع باقى المناطق التى يسكنها الشيعة ، رغم تمتع بعض مناطقهم بثروات ضخمة منها النفط . وهناك شكاوى أكثر إرتفاعاً من التضييق عليهم فى بناء المساجد، خاصة فى العاصمة وإهمال تدريس مذهبهم ضمن مناهج التعليم الحكومية.

ويتبقى أنهم لا يتعرضون للإضطهاد أو القتل والإهانات التى يتعرض لها الشيعة فى العديد من البلاد العربية والإسلامية . تلك التجاوزات التى إرتقت فى السنوات الأخيرة إلى مرتبة الحرب الأهلية .

وكما أشرنا فقد كانت باكستان هى السباقة منذ عام 1986 وبدعم سعودى فى شن حرب إغتيالات وحرب ثقافية قائمة على التشنيع والإستفزاز والتحقير الثقافى ، وحتى تزوير التاريخ لإستخدامه فى حرب سياسية خالية من الأخلاق أو النزاهة العلمية .

وقد تميزت موجة "الربيع العربى" بأن طفا على سطحها جماعات إسلامية عديدة أظهرت فى معظمها العداء للشيعة ورفع راية القتال ضدهم والتحريض عليهم وعلى إيران وحلفائها السياسيين ، وهم نادرون فى الدول العربية ، متجاوبين فى ذلك / بل وعارضين خدماتهم / على أهم مشروعات أمريكا فى المنطقة العربية والإسلامية ، وهو إشعال الحرب بين السنة والشيعة . –
البحث عن جميع النقاط الإيجابية ومجالات التعاون المشترك مع إيران يعتبر وسيلة أساسية لكبح جماح ذلك المخطط المدمر ، وتلك قضية دينية وإنسانية ومصيرية. فالتفاهم والتعاون المشرك لصالح الجميع هو السبيل الوحيد المسموح به ، لأن البديل الوحيد هو الفناء المتبادل وإخراج الإسلام من الساحة البشرية وقهور الناس منه ، أو الخروج منه أفواجاً كما تشهد ساحات معينة فى دول "الربيع العربي".

أفغانستان وإيران : قاطرة حضارية فى أسيا :

إيران قوة أقليمية كبيرة ، سواء أعترف أعداؤها بذلك أم أنكروه ، وذلك بمقاييس القدرة الإقتصادية – بدون حصار دولى – أو القدرة العسكرية أو العلمية والثقافية أو الإستقرار السياسى . وقبل كل ذلك عمقها التاريخى وتأثيرها الكبير على شئون المنطقة والعالم ، وموقعها الجغرافي الحيوى والمؤثر على آسيا الوسطى والجنوبية والدول العربية .

ولا شك أن علاقات تعاون وحسن جوار بين أفغانستان وإيران سيكون لها أفضل الأثر على دورالمسلمين فى النظام الدولى القادم . فالوسط الإسلامى المحيط بالدولتين سيكون جغرافيا فى مركز العالم الجديد .

ويمكن لهما تأليف كتلة إسلامية جديدة وفاعلة فى أسيا ونظام العالم . تلك الكتلة البشرية فى الجمهوريات الإسلامية الخمس (طاجيكستان ـ أوزبكستان ـ تركمانستان - قازاخستان ـ قرغيزستان) . وعلى أطرافها تلك الكتله الإسلامية الضخمة فى شبه القارة الهندية (الهند- باكستان ـ بنجلادش) وعلى أطراف تلك الكتلة الإسلامية المتصلة جغرافياً وتاريخياً وثقافياً . هناك إثنان من الكتل إسلامية الأصغر ولكنهما غاية الحساسية من الناحية الجيوسياسية وهما : الأقلية الإسلامية فى الصين (الإيجور) ، والكتلة الإسلامية داخل روسيا الإتحادية خاصة الكتلة القوقازية .

ـ وجود تعاون مخلص وفعال بين البلدين ، أفغانستان وإيران ، إضافة إلى القوة الظاهرة والكامنة فى كل منهما ، والقيمة المعنوية والثقافية والإسلامية ، كل ذلك يمكن أن يشكل قاطرة للعمل الإسلامى فى تلك الأجزاء الشاسعة والحساسة ، لتكون عنصر بناء للحضارة الإسلامية فى العصر الجديد ، بعيداً عن نظريات شياطين الفوضى الخلاقة والفتنة العظمى و"الإرهاب الإسلامى!!" .

التفاعل الخلاق بين المسلمين فى تلك (القارة الإسلامية فى آسيا) وبين باقى مكونات قارة آسيا العظمى ، وقيادة أفغانستان وإيران ومشاركة شعوب المنطقة ، يمكن أن تكون بداية لإشراقة إسلامية جديدة تجعل من آسيا بحق حضارة إنسانية تعيد بناء العلاقة الروحية بين الأرض والسماء ، بين الإنسان وخالق الإنسان . وتلك رسالة مقدسة للكتلة الإسلامية فى أسيا الجديدة ، لتبنى حضارة وثقافة وسلاماً ولا تشعل كراهية أو تشن حروباً تفنى وتدمر.

ـ المثل الذى يضربه تعاون أفغانى إيرانى متطور ومتعدد المستويات كفيل بأن يكون مدخلاً هاماً لنزع فتيل التوترات المذهبية بين مسلمى المنطقة ، وكذلك الوترات العرقية التى إستفاد منها الإستعمار فى إخضاع المسلمين وفرض التخلف عليهم طبقاً لسياسة (فرق تسد) التى يتبعها المستعمر أينما كان . هذا الترابط الإسلامى الكبير فى آسيا على الأسس المذكورة ، سيتمكن فى إيجاد رابطة إسلامية تطمئن إليها ليس فقط شعوب المنطقة بل الأقليات المسلمة التى تعيش فى ظل تواترات عنيفة داخل دول أساسية فى المنطقة خاصة فى روسيا والصين والهند .

فعلاقات حرب بين الأقليات المسلمة وحكومات بلادها ، لن تستفيد منها تلك الأقليات غير مزيد من التدهور فى أوضاعها ، وفتح باب المنطقة لتدخلات خارجية تستثمر تلك الأقليات لمصالح الآخرين الذين لا يضمرون خيراً للمسلمين أو لدول المنطقة . أو بمعنى أوضح إستخدام المسلمين كورقة فى صراع الغرب الإستعمارى مع دول المنطقة الكبرى (الصين ـ روسيا - الهند) وهو صراع ثمنه دماء المسلمين ، ونتائجه معروفة ولن تكون غير هدر دمائهم وضياع مستقبلهم وتدهور أوضاعهم . أى أنه صراع يضعف الطرفين المسلمين من جهة والدول المقيمين فيها فى طرف آخر ، خدمة لمصالح مستعمر قادم من وراء المحيط ، أو من وراء الجدار الإستعمارى لدول غرب أوروبا يريد تفتيت ثم إبتلاع منطقة أوراسيا العظمى من شرق أوروبا إلى بحر الصين . مستعمر يريد إضعاف دول المنطقة والسيطرة عليها ، ولا يهمه أمر سكانها فى شئ ، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين . بل لا يهمه أى دين إلا إذا كان مادة للإستفادة السياسية أو الإقتصادية .

والمسلمون هم الطرف الأضعف فى ذلك الصراع ، ومعرضون دوماً للعواقب الوخيمة لصراع مجدب غير متكافئ . ولكن وجود كتله إسلامية كبرى فى الأقليم سيكون مدخلاً لحل مشاكل المسلمين فيها بشكل يحقق أقصى قدر من مصالحهم ، مع بقاء الإقليم آمناً ومتطوراً وقادرا على المشاركة الإيجابية فى قيادة العالم ضمن نظام دولى عادل وأكثر إنسانية .

علاقات جديدة فى عالم جديد :

أفغانستان وإيران يمكنهما بدء صفحة جديدة من العلاقات فى عالم قد تغير كثيراً بعمق منذ الغزو الأمريكى لأفغانستان وهو الحادث الذى دارت حوله وقبله وبعده الكثير من الخلافات الخطيرة بين الجانبين الأفغانى والإيرانى . ولكن العالم كله قد تغير حتى أفغانستان وإيران كلاهما ، وتغيرت ظروفهما الداخلية ومحيطهما الخارجى . لذلك فمن المنطقى أن يفتتحاً علاقات ذات رؤية جديدة وأفق رحب ، لأن المنطقة التى يعيشان فيها تشهد تحولاً هائلاً فى قيمتها الدولية ، فيلزم للبلدان أن يبحثا عن مقاربات جديدة للعلاقة بينها.

ـ أفغانستان بحكم خروجها حديثاً من حرب طاحنة ستكون أكثر تقديراً لمبادرات الجيران ودول الإقليم لعقد علاقات تعاون جديدة بعيداً عن مواريث الماضى .

ـ وقرار إيرانى هو الأهم ، حيث عليها الإختيار بين إتفاق مع الولايات المتحدة على تقاسم أدوار السيطرة ، أو أن تختار تعاوناً متكافئاً مع جيرانها خاصة أفغانستان .

مصادر أمريكية قالت بأن هناك أرضية مشتركة مع إيران لمواجهة أخطار إقليمية . وذلك قول خطير للغاية لو تم تطبيقه عملياً . فعودة الإصلاحيين إلى الحكم فى طهران يجب ألا تعنى عودة سياساتهم القديمة تجاه أفغانستان ، بالتحالف ضدها مع الولايات المتحدة . ولا شك أن القيادة الإيرانية تدرك ذلك ، فالولايات المتحدة المنهزمة فى أفغانستان والتى تراجعت قيمتها الدولية ونفوذها ، ليست هى بالتأكيد تلك الدولة التى كانت تفعل ما تريد منذ إنهيار الإتحاد السوفيتى فى أفغانستان ، فقد إنتهى ذلك العهد بهزيمة الولايات المتحدة نفسها فى أفغانستان .

أمريكا الآن لم يعد بمقدورها شن حروب جديدة خاصة ضد إيران ، التى هى أقوى دولة إسلامية فى المنطقة ، وأمريكا لم تستطع إسقاط نظام الحكم فى سوريا رغم تجربتها كافه السبل حتى أوشكت على إستخدام قواتها المسلحة . لكن لا هى عادت تستطيع خوض المزيد من المغامرات العسكرية المكلفة والفاشلة ، ولا التحلفات الإقليمية أو الدولية عادت تسمح بذلك . وتلك ظاهرة تبرز لأول مرة منذ نهاية الحرب الباردة وربما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وحتى مجلس الأمن لم يعد فى القبضة الأمريكية كما كان عام 2001 بعد التباين الكبير بين مصالح أمريكا ومصالح كل من روسيا والصين وكلاهما يمتلك حق النقض فى المجلس.

إيران من جانبها أثبتت عزيمة وصلابة فى الدفاع عن حقوقها النووية، وتمكنت من كسب شعبها إلى جانبها فى المعركة ، فتحمل الشعب حرباً إقتصادية ، قاسية آثرت على حياته اليومية. لقد ضرب الشعب الإيرانى مثالاً عالياً فى الحفاظ على حريته وإستقلاله وبناء دولته القوية وتحمل فى ذلك مشاق هائلة . وذلك يشكل رباطاً قوياً وتشابها بين الشعبين فى إيران وأفغانستان يؤهل لبناء علاقة مستقبلية لخير المسلمين جميعاً.

وعموماً فإن المشكلات الطارئة بين الحكومات ، أو الحسابات الخاطئة لأحدهما ، ينبغى ألا تتحول إلى شحن عدائى بين الشعوب ، كما حدث مثلاً فى مشكلة مزارشريف .

مجالات التعاون بين أفغانستان و إيران :

اللغة الفارسية باللهجة الأفغانية (الدارى) هى لغة الثقافة ودواوين الحكومية ، وهى معلومة لدى معظم الشعب الأفغانى وليس فقط العنصر الطاجيكى التى هى لغته الأم . لذا فإن اللغة الفارسية تربط بين شعوب إيران وأفغانستان وطاجكستان إضافة إلى الديانة الإسلامية المشتركة بمذهبيها السنى والشيعى فى البلدان الثلاثة.

ـ ويعتبر النظام التعليمى فى إيران هو الأفضل فى المنطقة ، ويمكن الإستفادة من الخبرة التعليمية ومناهج التعليم فى إيران فى عملية تطوير التعليم فى أفغانستان، خاصة التعليم الجامعى بأفرعه المختلفة ، والتعليم الفنى والحرف العملية ومجالات العلوم النووية وتطبيقاتها.

ـ والتعليم فى إيران ، كما فى أى مجتمع آخر، كان أساساً لتطور المجتمع وقوة الدولة . ويمكن لأفغانستان الإستفادة من تلك التجربة - وليس نقلها حرفياً ـ بل أخد ما هو مناسب لظروفها . ويمكن تفادى مأزق وقع فيه التعليم فى إيران وهو الفجوة الخطيرة بين الجامعات الحديثة ، والحوزات الدينية ، وهو إنقسام فى الموقف من الدين أو على الأقل طرق فهمه . وأمام أفغانستان الفرصة لتفادى ذلك المأزق وفق رؤية ترد لاحقا حول البناء التعليمى فى الدولة الجديدة .

مشاكل المياة والحدود مع إيران:

بين البلدين أفغانستان وإيران مشاكل فى تقسيم المياة المشتركة (نهر هلمند) كما أن الحدود زحفت صوب أفغانستان فى بعض أماكنها، فقد كانت الحروب المتواصلة حافزاً لدى الجيران للتفكير فى قضم كل ما هو ممكن من أرض أفغانسان . ولكن المشاكل الحدودية فى ذلك الطرف أقل بكثير منها مع باكستان .

بدء حوار حول تلك المشكلات هو أمر ضرورى ، ولكن ذلك لا ينبغى أن يعطل البحث عن أفاق للتعاون المشترك ، بل أن التعاون المشترك والطموح ممكن أن يكون مدخلا لحل المشكلات بطرق عملية أسهل وأفيد ، وتحقق منافع أكثر لكلا الطرفين . حتى أنه فى الكثير من الحالات يمكن أن يتحول موضوع المشكلة إلى مشروع خلاق وأكثر فائدة ، خاصة مع توفر قاعدة عميقة من التاريخ المشترك والروابط الثقافية والدينية ، كما سنرى لاحقا .

وهذه قاعدة عامة فى التعامل مع دول الجوار، إضافة إلى قاعدة أخرى جوهرية وهى الإبتعاد عن سياسة المحاور سواء كانت محاور من داخل المنطقة الأسيوية أو قادمة من الخارج . فالمحاور تعنى الصراع ، والصراع يعنى خسارة للجميع ، فلن يكون هناك فائز فى أى صراع إقليمى سواء كان بارداً أو ساخناً.

ـ يمكن الدخول فى مشاريع زراعية مشتركة تستخدم المياة موضع التفاوض ويتم تقاسم المحاصيل وفق نسب متفق عليها . كما يمكن الإتفاق على إسهام إيران فى مشاريع لزراعة القمح فى أفغانستان مستفيدين من خبرتهم فى تطوير زراعة القمح إلى درجة الإكتفاء والتصدير بعد الحاجة إلى الإستيراد.

ـ حاولت إيران المساعدة زراعياً بعد قرار الإمارة وقف زراعة الخشخاش عام 2000/ 2001 ويمكنها تقديم المساعدة مستقبلاً فى المشروع الخاص بتحويل أفيون أفغانستان إلى أدوية بمشاركة مالية وفنيه من دول الأقليم . كما يمكن الدخول مع إيران وأوزبكستان وطاجكستان وتركمانستان فى مشاركة حول مشروع زراعى عملاق فوق الأرض الأفغانية المحاذية لنهر جيحون والحدود مع تركمانستان.

ـ كما يمكن الدخول مع إيران والدول الشمالية الثلاث فى صناعات بتروكيماوية وأسمدة فى شمال أفغانستان بالإعتماد على مصادر النفط والغاز الأفغانية.

ـ ومع إيران يمكن الدخول فى مشروع مشترك لإستخراج اليورانيوم وتنقيتة وتجهيزه للتصدير، ومن خلال المشروع يمكن إعداد فنيين ومهندسين أفغان فى مجال العلوم النووية وتطبيقاتها. كما يمكن إرسال بعثات من الطلاب الأفغان إلى كليات الطب فى إيران خاصة فى مجال الطب النووى .

ـ أفغانستان لن تكون ملزمة بأى حظر أمريكى على أى دولة فى العالم ، خاصة دول الجوار ، ومن بينهم إيران ، لذا فإن التعاون معها فى إنشاء بنوك غير ربوية هو أمر قابل للبحث .
ـ وكذلك عقد صفقات تسليحية فى حال توافر منتجات إيرانية تناسب مطالب الدفاع عن أفغانستان وبأسعار تنافسية مع منتجات الدول الأخرى المنتجة للسلاح فى آسيا ، بما فيها الهند والصين وروسيا وباكستان .

أفغانستان و الجيران الثلاثة فى الشمال :

طاجيكستان ، أوزبكستان، تركمانستان، هى ثلاث جمهوريات إسلامية تقع على الحدود الشمالية . تركمانستان فقط كانت على علاقة محايدة مع الإمارة الإسلامية أثناء فترة حكمها الأول (1996-2001) ، بل كانت ودية معها إلى درجة السماح لها بإستيراد مشتقات النفط ووقود الطائرات . ولم تشهد الحدود بينهما أى حوادث بل كان حراس الحدود على الجانبين يتبادلون الزيارات الودية وجلسات السمر والضيافة. أما طاجكستان وأوزبكستان فكان الوضع معهما مختلفاً ، فقد كانت الدولتان فى حرب شبه معلنة مع الإمارة ودعمتا فصائل تحالف الشمال الذى كان يقاتل وثقله العسكرى وقاعدته مرتكزة على نهر أمودايا (جيحون) حيث تصل إليه إمدادت من الدولتين ، خاصة طاجيكستان التى فتحت لتحالف الشمال أراضيها وقاعدة (كولاب)العسكرية الضخمة التى كان يستخدمها السوفييت أثناء غزوهم لأفغانستان . وإلى تلك القاعدة لجأ ربانى وسياف ومسعود وباقى أعضاء الحكومة بعد فرارهم من كابول إلى طاجكستان . وأما أوزبكستان فقد ساعدت قائد الميليشيا الشيوعية (عبد الرشيد دوستم) فلجأت طائراته العسكرية إلى هناك ، وكانت تقوم بغارات لإسناد تحالف الشمال فى معاركة ضد قوات طالبان . ويقال أن طيارين أوزبك شاركوا فى تلك الغارات . أما طائرات أحمد شاه مسعود القائد العسكرى لتحالف الشمال فكانت تقدم الدعم منطلقة من مطارات طاجيكستان ، التى كانت حدودها ومازالت معبراً أساسيا لتهريب الهيروين الذى يصنع فى معامل صغيرة (أكثر من 100 مصنع) تنتشر على الجانب الأفغانى بمحاذاة النهر . وهو نشاط توسع بعد الإحتلال الأمريكى ويشارك فيه قادة تحالف الشمال الأفغانى ، وعلى الجانب الآخر المافيا الروسية التى يشرف عليها جنرالات سابقون فى الجيش والإستخبارات السوفيتية (كما هو الحال تقريبا مع المافيا الأمريكية والإسرائيلية) ، وبشكل ما مشاركة الحكومة الروسية فى موسكو ، أوعلى الأقل نافذين كبار فى النظام .

وعندما بدأ العدوان الأمريكى على أفغانستان جاءت قوات تحالف الشمال من الحدود الطاجيكية عبر نهر جيحون ، مزودة بإعتدة كثيفة ومتطوعين مرتزقة روس ، وجنود سابقين من تلك الجمهوريات قاتلوا فى أفغانستان خلال العدوان السوفيتى فى الثمانينات الماضية.

بين عامى 1993-1995 أى قبل وصول حركه طالبان أى الحكم ، إستقبلت أفغانستان عشرات الآلاف من المهاجرين الطاجيك على إثر إشتباكات مسلحة بين الأهالى وبقايا الشيوعيين الذى ظلوا على رأس الحكم هناك وتدعمهم فرقتان من الجيش الروسى تبقت فى أفغانستان لأسباب إقتصادية منها تأمين خطوط الهيروين القادم من أفغانستان ومناجم مهولة للذهب فى جبال طاجيكستان. وانتقل حزب النهضة الطاجيكى ، بمقاتليه إلى الجانب الأفغانى ونظم عملياته داخل طاجيكستان ، إلى أن تدخلت الأمم المتحدة وحكومة كابول وروسيا وإيران لوقف الحرب وإعادة المهاجرين إلى ديارهم ، فى مقابل إشراك حزب النهضة فى الحكم . وهو الحزب ذو الإتجاه الإسلامى والمرتبط بالتنظيم الدولى للإخوان المسلمين.

ـ أما أوزبكستان ، الجمهورية الأقوى فى وسط آسيا ، ذات الحكم الأكثر إستبدادا وعنفاً ، فقد هاجر منها عدة آلاف من كوادر "حزب إسلامى أوزبكستان" برئاسة محمد طاهر يالدييف ، وقد قاوموا الغزو الأمريكى بضراوة ، حتى نزحوا إلى شمال باكستان بعد سقوط حكم طالبان ، ليتعرضوا بشكل مستمر لغارات الطائرات الأمريكية بدون طيار، فقتل الكثير من الأسر الأوزبكية والمقاتلين وإستشهد هناك زعيمهم محمد طاهر فى غارة أمريكية جوية.

آفاق التعاون مع جيران الشمال :

التعاون بين أفغانستان والدول الشمالية الثلاثة ضرورة لا مفر منها لجميع الأطراف ، لإعتبارات إقتصادية وأمنية وجيوسياسية أيضاً. أفغانستان هى بوابة تلك الجمهوريات إلى شبه القارة الهندية ، والمحيط الهندى، ومنها تمر خطوط الطاقة القادمة من آسيا الوسطى إلى ميناء جوادر الباكستانى على بحر العرب.

لذلك فإن طرق النقل البرى السريع والقطارات هو مطلب وضرورة حيوية للجميع فى تلك المنطقة ، كى تجعل المحيط الهندى متاحاً لجمهوريات آسيا الوسطى وروسيا . فأفغانستان تقع فى قلب عقدة مواصلات الإقليم ، وذلك يفيدها إقتصادياً ويزيد من مكانتها الجيوسياسية ، وبالمثل تعود هذه الفوائد على تلك الجمهوريات . ويستلزم ذلك مناخاً من الأمن والثقة لتسهيل تدفق الناس والبضائع ومرور القطارات والشاحنات ، وربما خطوط الطاقة فى إتجاهات تمليها مصالح دول المنطقة ومطالب سوق الطاقة فى آسيا والعالم .

ـ فى شمال أفغانستان توجد ثروات طبيعة كبيرة ، مثل النفط والغاز الذى كان فى عهد الإحتلال السوفيتى يزود الجمهوريات الشمالية بإحتياجاتها من الطاقة. ويمكن أن يكون ذلك مجالاً للتعاون المشترك ليس فقط فى الإستخراج والتسويق ولكن أيضاً لإقامة صناعات تكرير النفط وصناعات البتروكيماويات وما يتعلق بذلك من بعثات علمية أفغانية لإعداد المهندسين والفنيين . ويمكن أن يشمل ذلك النشاط الإقتصادى ذو الطبيعة الإستراتيجية كل من إيران والصين وروسيا أيضاً.

ـ فى المجال الزراعى يوجد نهر جيحون والأراضى الأفغانية الواسعة فى الشمال وهى قابلة للزراعة ، ويمكن أن تصبح تلك المنطقة منتجاً رئيسياً للقمح الذى يسد حاجة أفغانستان ويكون قابلاً للتصدير داخل المنطقة وخارجها. وذلك مجال كبير للتعاون فى مشاريع زراعية ضخمة مع دول الجوار، ودول الأقليم الجاهزة للتعاون .

ـ هناك ثروات معدنية من الأحجار الكريمة ومنها الماس وكذلك الخامات الصناعية النادرة فى شمال شرق أفغانستان ، وهذا مجال آخر هام للتعاون مع دول الشمال وباقى دول الإقليم.

ـ التعاون الإقتصادي بين أفغانستان والجمهوريات الإسلامية الخمس فى الشمال مضاف إلها إيران وباكستان يمكن أن يكون مدخلا إلى تكتل إسلامي يشكل قوة كبيرة فى النظام العالمى الجديد ، ويكون نواة للقاء إسلامى أشمل يضم كل ما هو ممكن من الدول الإسلامية على أساس التعاون الإقتصادي والسياسي والعلمى والدعوى والتعليمى والإغاثى ، ضمن مؤسسات متخصصة للخروج بالعالم الإسلامى فى التفتت والضياع بين الأمم غارقاً من أزماته التى لا تنتهى ، وصراعاته الطائفية الضيقة التى لا تخدم سوى سوى أعدائه.

أفغانستان والصين :

من منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين كانت الصين مشغولة بشدة فى إضطراباتها الداخلية وصراعات مع المستعمرين الأجانب ، الذين إحتلوا أجزاء من أراضيها وتدخلوا فى شئونها . بينما أفغانستان هى الأخرى تتنازعتها إمبراطوريتان هما روسيا من الشمال وبريطانيا من الجنوب. إنعكس صراعهما إضطرابا سياسيا وحروبا لم تكد تهدأ .

لم تكن الصين طرفاً فى الصراعات الإمبراطورية حول أفغانستان لأن لديها ما يشغلها . حتى أعلنت نفسها جمهورية شعبة تتبنى الماركسية عام 1949 . وفى العقد التالى تأسس فى أفغانستان حزب شيوعى على النهج الصينى هو حزب (ستم مللى) أى الأمة المظلومة . وكانت الحركة الشيوعية العالمية متنامية القوة ، وبدأت تنشط فى أفغانستان تحت رعاية الإتحاد السوفيتى . إنغمست تلك الحركة فى صراع بين أجنحتها ، أكثر من صراعها مع نظام الحكم الملكى فى كابول ،مما إستدعى تدخلا مستمراً من جانب السوفييت.

فضل الصينيون عدم الغرق فى ذلك المستنقع وقرروا حل حزب (ستم مللى) الموالى لهم وتركوا المستنقع كى يغرق فيه السوفييت وحدهم . وفى مقابل السوفييت وقف النفوذ الأمريكي يصارع من أجل الهيمنة على أفغانستان ، فتبنى الأمريكيون النظام الملكى والمعارضين له ، ليناوروا بمصالحهم بشكل أفضل. غرق السوفييت ومعهم الأمريكيون فى المستنقع الأفغانى . وتمادى الصراع بينهما إلى درجة الحرب الساخنة التى تورط فيها السوفييت بجيشهم الأحمر بينما أدار الأمريكيون حرباً بالوكالة عبر زعماء منحرفون قادوا أحزاباً "جهادية!!" تأسست تحت رعاية باكستان . تفكك الجيش الأحمر فى تلك الحرب فتهاوت الامبراطورية السوفيتية.

لم تسقط أفغانستان بشكل تلقائى فى أيدى الولايات المتحدة بسبب ظهور حركة طالبان التى أسقطت حكم "ربانى" فى كابول ، والذى تكون فى البداية من محور كبير موالى لأمريكا ومحور أصغر متحالف معه

موالى لموسكو . ومع رفض حركة طالبان تمرير خطوط نقل النفط والغاز ثم وقف زراعة الخشخاش ثم قضائها على معظم القوة العسكرية لتحالف الشمال الذى يضم تحلفاً من قيادات وميليشيات موالية لأمريكا وروسيا ، أضطرت أمريكا لدخول أفغانستان بقواتها المسلحة لتكرارالتجربة السوفيتية الفاشلة . وهى مهددة الآن بأن تلاقى نفس المصير لتصبح أمبراطورية منتهية الصلاحية .

وقفت الصين تراقب عن بعد بينما أفغانستان تتعرض لغزوتين من القوى الكبرى المتصارعة من أجل السيطرة عليها ، فمرة غزوة سوفيتية من الشمال وفى أعقابها غزوة أمريكية من الجنوب إنطلاقاً من باكستان (الهند سابقاً).

ـ لكن الملاحظ فى الحالتين أن الصين تصرفت بإنتهازية التاجر الذى ينمى ثروته مستفيداً من ظروف الحرب القاسية . فالإقتصاد أصبح لدى صين (ما بعد ماوتسى تونج) أهم من الأيدلوجية.

إشترت الولايات المتحدة كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر من الصين الشعبية لصالح أحزاب بيشاور "الجهادية!!" ، حتى أن الأسلحة الصينية كانت هى الغالبة فى أيدى الأفغان آنذاك . فالسياسة الأمريكية تقضى بتوزيع الهدايا على الأطراف المهمة لشراء موقفها من الحرب . وصفقات الأسلحة كانت من أنواع الهدايا أو الرشوة بمعنى أصح ، وقد نالت الصين منها نصيب الأسد آنذاك .

ـ وعندما أخذت الولايات المتحدة فرصتها من العدوان العسكرى على أفغانستان توسعت جدا فى أسلوب "الرشوة" التى ترافق مغامراتها العنيفة . ولكنها ليست فى حاجة إلى أسلحة هذه المرة ، بل فى حاجة إلى شراء التأييد السياسى أو الصمت على الأقل.

وكان ثمن صمت الصين هو مجموعة من الإمتيازات الإقتصادية الضخمة على حساب ثروات أفغانستان الطبيعية ، وهى ثروات هائلة ، لذا يمكن إهداء بعضها للمرتشين الكبار ومنهم الصين بالطبع. حصلت الصين على مناجم النحاس الأفغانية فى أقليم لوجر وهى ثانى أكبر مناجم للنحاس فى العالم، كما حصلت على رشوة مماثلة من الحديد ، وإمتياز بحث عن النفط فى شمال شرق أفغانستان ، ولما كانت تلك الصفقات تنقصها الشفافية ، وتتم بشكل سرى وتأمرى ، لا يخضع إلا لقوانين "لعبة الأمم"، فإن شروط العقود وعددها ومجالاتها غير واضحة تماماً. وبالتأكيد فإن كل الصفقات والعقود التى أبرمها الإحتلال وحكومته العميلة فى كابل لابد من إعادة النظر فيها ، خاصة وأن أسعار المعادن قد إرتفعت كثيرا خلال السنوات القليلة الماضية ، بما يضاعف درجة الغبن الواقع على الشعب الأفغانى . فمنذ عام 2000 وحتى عام 3013 إرتفعت أسعار الخامات الأساسية كالتالى : النحاس والذهب والقصدير إرتفعت بنسبة تفوق 400% ، وأسعار الزنك بنسبة 150% ، وأسعار الرصاص بنسبة 350% ، وأسعار الفضة بنسبة 550% .

لكن الصفقة "الرشوة" الأكثر لفتاً للنظر كانت حصول الصين على عقد لإنشاء ميناء "جوادر" على بحر العرب فى غرب باكستان وهى صفقه غنية بدلالاتها السياسية غناها بالدولارات الأمريكية.

فالهدف الأساسى من إنشاء الميناء هو إستقبال ما تنقله أنابيب النفط والغاز، من أسيا الوسطى فى ممر بديل عن الممر الروسى أو الإيرانى كمعابر للأنابيب الطاقة . وفى ذلك حرمان للبلدين من عوائد مالية وضياع

فرصة الحصول على مزيد من الأهمية الإستراتيجية. كما أنه إصطفاف صينى إلى جانب الولايات المتحدة فى مقابل دولتين من المفترض أنها صديقتان مهمتان للصين.

والأخطر هو أن الصين بنفسها تنقل الطاقة من الجوار الصينى إلى أيدى الشركات الأمريكية المنتظرة بناقلات النفط عند مصب الطاقة فى ميناء جوادر ، الذى بنته الشركات الصينية ، بينما ترحل الصين إلى مجاهل أفريقيا لتستجدى براميل النفط بين الأدغال المليئة بوحوش أوروبا المفترسة ، التى تشعل الأرض نيرانا تحت أرجل الوافدين الجدد من الصين ، والذين يجهلون كل شئ تقريبا عن أفريقيا وصراعاتها الدامية بين القبائل والشركات والسياسيين والجنرالات الذين ربتهم أوروبا على الفساد والدموية.

فهل أعمى الذهب الأمريكى البصيرة الصينية ؟؟ أم أن الصين لا ترغب فى وجود جيران أقوى من اللازم ولو فى مجال نقل الطاقة ، تلك الطاقة القريبة من الصين والتى هى فى أمس الحاجة إليها ؟؟ . إن الصين هنا تتآمر على نفسها أيضاً وليس فقط على أصدقائها وجيرانها.

ولكن صفقات الصين فى أفغانستان كان لها مردود سياسى أيضاً ، فتواجد شركاتها بشكل مباشر وكبير فى أفغانستان لأول مرة فى تاريخ البلدين ، لا شك أنه يعنى تواجداً سياسيا بشكل غير مباشر . فما تدفعه الصين لحكومة كابول مقابل إستغلال مناجم النحاس فقط يعادل ثلث الميزانية السنوية لحكومة كرزاى . وهذا يعنى أن للصين قوة ضغط على الحكومة وأن الوضع المميز للصين فى إستغلال ثروات طبيعية أساسية فى أفغانستان يعطى لصين تواجداً سياسياً يمكنها إستغلاله فى مراحل قادمة ، خاصة مع حكومة ضعيفة لا تحظى بتأييد داخلى ، وتعتمد فى إستمراريتها على عون عسكرى ومالى وسياسى من قوة خارجية كبرى . تلك القوة الكبرى هى الولايات المتحدة الآن ، ولكن ماذا بعد الإنسحاب الأمريكى؟؟ قد تفكر الصين أنها ربما تكون القوة المهيمنة على كابل مستقبلاً ، ولعلها تعلمت من أمريكا سياسة دفع الرشاوى للدول ، وقد تراهن على أن الدول الهامة المحيطة بأفغانستان (إيران – باكستان) هى بشكل ما قوى صديقة للصين ، لذا قد يسهل التفاهم معها وفقاً لصفقات معقولة غير مكلفة ، بعضها صفقات سياسية وأخرى إقتصادية.

– الصين جارة لها حدود مشتركة مع أفغانستان ، وهى أقصر حدود أفغانية مع أى من الجيران (حوالى20 كيلومترا) وهى عبارة عن مدخل ممر واخان الذى طوله حوالى 80 كيلومترا ، وقد صممته بريطانيا ليكون منطقة أفغانية عازلة تفصل بين الإمبراطوريات الثلاث ، البريطانية والروسية والصينية ، وذلك إستكمالا للرؤية الدولية آنذاك لدور أفغانستان الجيوسياسى كمنطقة عازلة تمنع الإحتكاكات الخطرة بين الإمبراطوريات المتمددة خاصة بريطانيا وروسيا . –
الصين هى "القطب الأضخم" فى النظام الدولى القادم ،إقتصادياً وسكانياً وإن كانت لا تتمتع بنفوذ سياسى دولى يعادل ذلك الحجم ، ولكنه أمر قابل للتعديل مستقبلاً، على الأقل بدافع البحث عن المواد الخام ومصادر الطاقة "تماماً كما تفعل فى أفغانستان الآن" . والصين فى قارة أفريقيا تدخل فى تنافس شديد مع الولايات المتحدة ودول أوروبا حول النفط والغاز أساساً.

- وكما رأينا كيف أن الصين ، فى مناسبتين خطيرتين ، قد إنغمست بشكل ما فى التعقيدات الأفغانية خلال الغزوتين اللتين تعرضت لهما أفغانستان ، من السوفييت مرة ومن الولايات المتحدة مرة أخرى ، و فى

المرتين كان الموقف الصينى يتورط بالتبعية للموقف الأمريكى ووفق شروطه . كان مأخذ الصين على حكم طالبان فى مرحلته الأولى هو وجود حركة تركستان الإسلامية على أرض أفغانستان. وقد نسب إليها عدد من التفجيرات داخل الأراضى الصينية قبل وصول طالبان إلى الحكم . كما أن كوادر مسلمى تركستان الشرقية " الإيجور" تلقوا تدريباً فى معسكرات عربية فى أفغانستان أثناء فترة الجهاد ضد السوفييت . ولمزيد من السخرية فإن معظم أسلحة التدريب كانت صينية الصنع ، بحكم أنها الأسلحة الأكثر إنتشاراً فى أيدى المجاهدين آنذاك.

وعندما وصلت حركة طالبان إلى سدة الحكم كان تنظيم (الحركة الإسلامية لتركستان الشرقية) جزء من ميراث المرحلة السابقة من الجهاد ضد السوفييت ثم حكم "ربانى" فى كابول وهو من أعداء حركة طالبان . ومن الميراث الذى ورثته الحركة كان تلك المجموعات الجهادية العربية ، التى أثرت سلبا على مستقبل أفغانستان وحركة طالبان بأكثر مما فعلته حركة تركستان الإسلامية .

مثل تلك المشكلة من غير الممكن أن تتواجد مرة أخرى، فكل تلك المجموعات الجهادية قد غادرت أفغانستان بعد الغزو الأمريكى ، وليس هناك أى مبرر لعودتها مرة أخرى ، فقد أتضح أنها أضرت كثيراً بمصالح أفغانستان وشعبها. كما أن الضرورات التى أملت تواجدها فى السابق لم تعد قائمة.

ـ كان ميل حركة طالبان على الدوام هو إقامة علاقات حسن جوار وتعاون متكافئ مع جميع الجيران ، وتعاون دولى لمصلحة الجميع ، على أساس العدالة والإحترام وعدم التدخل أو أطماع فى سيطرة.

وعند إتمام إنسحاب جيوش الإحتلال الأمريكى الأوروبى ، ستكون إزالة آثار ذلك العدوان فى مقدمة المهام . من تلك الآثار جميع الإتفاقات التى عقدها النظام العميل الذى أقامه الأمريكيون فى كابول . الإتفاقات العسكرية والأمنية سوف يتم إلغاؤها فوراُ بصفتها جزء من آثار الإحتلال ومساعداً له سواء كانت الإتفاقات مع المحتل الأمريكى أو أى دولة منفردة من تلك الدول التى ساندت الإحتلال أو التى دخلت فى صفقات تواطؤ لتسهيل الإحتلال ، وكذلك الإتفاقات بجميع أنواعها التى عقدها المحتل مع حكومة كابول بإعتبار أنها إتفاقات إذعان مثل الإتفاقات الثقافية والإقتصادية.

على ضوء ذلك يمكن عقد إتفاقات جديدة مع الصين ، أو غيرها من الدول من أجل تحقيق أفضل عائد للشعب الأفغانى الذى هو فى أمس الحاجة إلى ثرواته لإعادة بناء وطنه وأجياله القادمة . وبمعنى أوضح فإن الإتفاقات بشأن الثروات الطبيعية لأفغانستان مثل مناجم النحاس والحديد والفحم واليورانيوم ، والنفط والغاز ، إلى غير ذلك ، كلها ستخضع للتدقيق الشديد ، فهى ثروات الشعب كله بجميع فئاته ، وأجياله ، الحالى منها والقادم ، فهى لبناء أفغانستان الخالدة وليس لصالح حفنة من المرتزقة أو المغامرين أو المتأمرين على مصالح شعبهم وأمتهم . وتلك الثروات هى عماد "بيت مال الأمة الأفغانية" بكامل أفرادها ، ولن يأخذها أحد قسراً أو خداعاً أو رشوة سياسية. وبالطبع يجب ألا تحلم بها الشركات متعددة الجنسيات – عدو الإنسانية الأول - مهما فعلت تلك الشركات أو أشعلت من حروب على أفغانستان ، فالشعب الأفغانى هو الذى يحكم هذه المرة ، وهو غير قابل للخداع ولا يخشى المواجهة دفاعا عن حقوقه .

آفاق التعاون مع الصين :

إستطاعت الصين أن تبنى دولتها القوية خلال عشرين عاماً من الحصار والعداء الدولى الذى إشعلته الولايات المتحدة ، وفى ذلك عبرة للشعب الأفغانى الذى قد يضطر إلى خوض تجربة مشابهة ـ ولكن على أسس عقائدية إجتماعية وإقتصادية مختلفة - ويظل هناك العديد من النقاط التى يمكن الإستفادة منها فى التجربة الصينية.

لا تنوى أفغانستان الدخول فى عزلة إختياريه ، وستقاوم محاولات عزلها عن محيطها وعالمها. بل أن رسالة الشعب الأفغانى ودوره الإسلامى لن يتم إلا بالتفاعل الصحى والصحيح مع من حوله من بشر على إمتداد الأرض كلها ، بدون إنحصار فى دائرة بعينها ، رغم أن بعض الدوائر أهم من البعض الآخر من ناحية التأثير والمصالح المشتركة والمتبادلة.

ـ ولكن من مصلحة الإسلام والمسلمين ومصلحة أفغانستان والعالم كله أن تكون الأرض وشعوبها ، ميداناً فسيحاً للدعاة الأفغان والكلمة الأفغانية الطيبة ، وليس السيف الأفغانى الصارم . وهذا صحيح وينطبق على كل مسلم وليس الأفغان فقط .

هذا الكلام يهم جميع جيران أفغانستان بما فيهم الصين ، ويهم العمق الأسيوى كله ، كما يهم الدول الغربية ودول العالم حيث نجحت أمريكا والصهيونية فى تصوير الإسلام كعدو أول للبشرية ، وتهديد للأمن والسلام العالمى.

دول الإقليم حول أفغانستان تعانى من مشكلة مع تيارات إسلامية مسلحة ، تعمل بدوافع مختلفة ، إما بدافع الإستقلال أو بدوافع طائفية . وجميعها – بلا إستثناء – دخلت كمفردات تستخدم فى لعبة الأمم، بما يستحيل أن يحقق أى مصلحة إسلامية . كما أنها تثير الإضطراب فى المنطقة ويجعلها مفتوحة أمام تدخلات أعداء الشعوب وناهبى الثروة القادمون من وراء المحيطات.

وكما أشرنا فإن تحركاً مشتركاً بين أفغانستان وإيران يمكن أن يحل جانباً كبيراً من تلك المشكلة ، على شرط أن تجد الدولتان صيغة للتعاون تكون مثالاً للعمل الإسلامى الذى يتجاوز أنواع الجاهلية والتعصب. فحل معضلة "الخطر الإسلامى" فى تلك المنطقة سيكون فى مصلحة المسلمين أولاً ثم مصلحة جميع دول المنطقة ، بما فيها الصين وروسيا والهند ، وأيضاً باكستان وإيران ، وأفغانستان نفسها. ومشكلة المسلمين فى "سينكيانج" غرب الصين يمكن أن تجد حلاً رحباً من خلال تعاون أفغانى/ صينى والبرامج الإقتصادية والتبادل الثقافى والتنقل السكانى السهل بين مواطنى الدولتين.

واخان... ممر الصداقة :

ممر واخان هو لسان جغرافى يصل بين الدولتين أفغانستان والصين. وهو ممر مقفر تسكنه قبائل "هانزا" البدوية المتنقلة ، لذلك فهو قليل السكان نظراً لمناخه الشتوى القاسى وطبيعته الجبلية الوعرة . لكن التكنولوجيا الحديثة تصنع العجائب والمطلوب هو تعاون أفغانى/ صينى لتحويل ممر وخان إلى ممر للصداقة والتدفق الحضارى وتبادل البضائع وإنتقال الأفراد . ومن محاسن توافقات القدر أن يكون سكان

إقليم سنكيانج وهم عرقية الإيجور المسلمة ، وهم أول من يتم الإتصال بهم فى الأرض الصينية ، وبالتالى أول المستفيدين من ذلك التواصل العظيم فى مجالاته الإقتصادية والثقافية ، فلن يكونوا معزولين عن العالم الإسلامى بعد إفتتاح ممر الصداقة فى واخان.

ـ عبر ذلك الممر يمكن شق طريق للسيارات وآخر لقطارات السكة حديد التى قد تصل فى المستقبل ما بين بحر الصين والخليج الفارسى ، وتربط العواصم " بكين – كابل – طهران" . أى أن أفغانستان يمكن أن تكون حلقة الوصل بين الصين وبين وإيران والخليج الفارسى والعراق وصولاً إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط فى سوريا ولبنان . أنه تقريباً أحد المسارات القديمة لطريق الحرير، ولكنه فى المستقبل القادم وعلى المدى المتوسط سيكون طريق القطارات السريعة وطرق الشاحنات التى تنقل البضائع والأفراد حيث يتعارف الناس من حضارات مختلفه بشكل مباشر بدون واسطة من الإعلام الدولى الذى تسيطر عليه القوى الظالمة من مشعلى الحروب والفتن ومروجى صراع الحضارات ، الذين صوروا المسلمين فى صورة وحوش متعطشة للدماء، وفى حروب متصلة مع من جاورهم من الأمم .

بينما أن معظم الأمم التى دخلها الإسلام / ومنها الصين/ دخلها عن طريق التجار المسلمين ودعاة الصوفية الذين أسروا الشعوب بزهدهم ورقة مشاعرهم ، وهذا ما يسجله التاريخ فى كافة مصادرة.

فى المرحلة القادمة ستدخل أفغانستان مرحلة واسعة من التصنيع والزراعة الحديثة إضافة إلى برامج التعليم التقنى ، وسيكون تعاونها مع الصين مفيداً للغاية ، إضافة إلى إحتياجات أفغانستان من السلاح والتصنيع العسكري ، وعلوم الفضاء والذرة ، وتلك بعض مجالات التعاون المحتملة بين الطرفين .

الصين ونظام أسيوى جديد :

بعد خروج قوات العدوان الأمريكى الأوروبى من أفغانستان سيكون المجال مفتوحاً لإتخاذ خطوات كبيرة لإقامة نظام أسيوى داخلى ينظم المصالح المشتركة بين شعوب القارة بشكل عادل ومتكافئ ، بعيدا عن تدخلال دول الإستعمار التى أضرت بشعوب المنطقة ونهبت ثرواتها . ومن مصلحة الصين العمل بجدية من أجل إنشاء ذلك النظام الأسيوى / الدولى الجديد ، كون تفتيت الصين كدولة ، وكذلك روسيا الإتحادية هى غاية إستراتيجية كبرى للولايات التحدة ودول حلف الناتو . ورغم كل المشاكل الخطيرة التى تواجة الغرب الإستعمارى فإنه من السذاجة توقع أنه سوف يستسلم بسهولة ويتصرف مثل باقى البشر الأسوياء ، فما زالت الأفعى الأوروبية قادرة على اللدغ وقتل الكثيرين .

<u>من الأجهزة المقترحة لذلك التجمع الأسيوى ، مايلى</u> :

ـ **" منظمة دول آسيا "** والهدف منها تكوين نظام أسيوى داخلى يشمل فى البداية ، إلى جانب أفغانستان ، كل من الصين وروسيا والجمهوريات الإسلامية وإيران وباكستان والهند ، وتفتح عضويتها لجميع دول آسيا، وتكون نواة لتأسيس منظمة دولية بديلة عن منظمة الأمم المتحدة فى نيويورك ، التى هى من البقايا البائسة لمرحلة الحرب الباردة ، والتى يمثل مجلس الأمن التابع لها أكبر مؤسسة للإستعمار وشن الحروب الظالمة بدعوى الحفاظ على الأمن . فالولايات المتحدة هى القوة المهيمنة على مجلس الأمن ، ومن خلاله

صبغت بالشرعية العديد من حروبها الإستعمارية وقرارات الحصار الإقتصادى والعقوبات الباغية ضد شعوب العالم الثالث.

ـ ***"منظمة التعاون الإقتصادى"*** ومن أهم خطواتها إقامة ***" بنك أسيوى"*** يقوم بالأعمال البنكية والقروض والإستثمار فى الدول الأعضاء وتمويل المشروعات المشتركة ، على أساس مقايضة السلع وإستخدم سلة من العملات الإقليمية القوية ، والتخلى عن إستخدام الدلار واليورو فى التعاملات المالية داخل القارة. ومكافحة النشاطات الجائرة للإحتكارات الكبرى والشركات متعددة الجنسيات فى دول آسيا والدول المنضمة إلى الميثاق الأسيوى ، واستبدالها بالتعاون المشترك بين دول " منظمة آسيا" .

ـ ***"مجلس تحكيم إقتصادى"*** للبت فى المشاكل الإقتصادية التى تنشب بين دول المنطقة أو التى تواجه الأعضاء . وعدم السماح بفرض عقوبات إقتصادية أمريكية أو أوروبية ضد أى دولة أسيوية مالم يوافق عليها مجلس التحكيم الإقتصادى.

ـ ***"مجلس أمن أقليمى"*** لإتخاذ القرارات الجماعية فى الموضوعات الحساسة بالنسبة لأمن وإستقرار المنطقة ، و***" محكمة عدل أسيوية"*** تضم هيئة قضائية يتفق عليها قادة الدول الأعضاء لفض النزاعات بين دول المنطقة والنظر فى مشاكل الحدود المترسبة منذ عهود الإستعمار الأوروبى ، أو تلك الى ظهرت بعد نهاية الحرب الباردة .

ـ ***" الميثاق الأمنى لآسيا "***وهو إتفاق أمنى بين الدول المشاركة فى النظام الأسيوى الجديد . للتعاون فى مجالات الدفاع والأمن ، ونبذ الحروب أو عسكرة الدول أوتضخيم الجيوش بما يتعدى إطار المتطلبات المعقولة للدفاع . ومن أهم مبادئه الإتفاق على رفض إستقدام قوات لأمريكا أو حلف الناتو أو السماح بإقامة قواعد عسكرية لهم فى المنطقة ، وحظر إنضمام دول ذلك التجمع الأسيوى (والأسيوى أفريقى / أمريكى لاتينى مستقبلا) إلى حلف الناتو أو أى حلف مشابه تقيمه دول الإستعمار الأوربى ، وإخلاء قارة آسيا من كافة القواعد الأجنبية لجميع الدول غير الأسيوية.

مع توسيع مفهوم الأمن الأسيوى الجماعى ليشمل الأمن الغذائى والصحى والتعليمى وحماية البيئة والتعاون المشترك لمواجهة الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وفيضانات ، وتشكيل قوة إنقاذ أسيوية لذلك الغرض ، بحيث يمكن تقديم خدماتها للدول المنكوبة فى أرجاء العالم.

*****

روسيا والهند ، جيران النطاق الثانى **:**

أفغانستان وروسيا عقبات وآفاق التعاون .

روسيا والهند من أهم دول الإقليم ، وتتمتع كلاهما بمركز دولى مرموق . فالهند تأتى فى المرتبة الثالثة من حيث إجمالى الناتج القومى بعد الولايات المتحدة والصين ، وتليها اليابان فى الترتيب الرابع ، ليصبح فى قارة آسيا عشرة إقتصاديات من بين أكبر 20 إقتصاد عالمي .

روسيا تتمتع بأحد الإقتصاديات الكبرى فى العالم ، وهى واحدة من الدول الخمس دائمى العضوية فى مجلس الأمن الدولى ويمتلكون حق النقض (الفيتو) لقرارات المجلس . وعلى الساحة الدولية تعتبر روسيا هى الأنشط بعد الولايات المتحدة ، وتحاول تثبيت مصالحها الإقتصادية الإستراتيجية حول العالم بنشاط ممتزج بالمرونه والقوة ، فى محاولة لإصلاح بعض ما فسد نتيجة إنهيار الإتحاد السوفيتى . وتعى روسيا تماما أن كيانها مهدد بمحاولات تفتيت وتجزئة بواسطة أمريكا وحلف الناتو. لهذا فإن توثيق علاقاتها بالنظام الأسيوى الجديد يعتبر إجراء وقائيا من الدرجة الأولى ، خاصة وأن أمريكا والناتو يحاولان ملء الأماكن التى رحل عنها الإتحاد السوفيتى ، لحصار روسيا والصين وتهديدهما ، تمهيدا لتفكيكهما على المدى الطويل أو حتى المتوسط ، حتى تحقق أوروبا الغربية حلمها الإمبريالى بالسيطرة على المساحة الجغرافية التى تفصلها عن بحر الصين (منطقة أوراسيا) وهذا يضمن لأوروبا السيطرة على العالم كله من جديد. أنه برنامج كونى من المفترض أن يشارك فيه المسلمون "المجاهدون" كجنود مرتزقة أو محاربين بالوكالة ، أو كتيبة "إرهاب إسلامى" تقاتل بالنيابة عن " الغرب الصليبى" ، بجنود مثاليين لايطلبون سوى رصاصات الرحمة بعد تنفيذ المهمة التى لم يفوزوا "بالشهادة" خلالها .

والأزمة الأوكرانية برهنت للقادة الروس خطأ حساباتهم الماضية فى التعاون مع أمريكا والناتو ضد أفغانسان ، وأن ذلك كان ضد مصالح موسكو ، لأن إحتلال أفغانستان بقوات أمريكية أوروبية كان خطوة كبرى نحو حصار مزدوج لكل من موسكو بكين ، ولكن إنتهازية فجة من قيادة البلدين جعلاهما ينظران إلى الجوائزالأمريكية (رشاوى الحرب) ويتناسوا خطر زحف قوات وأمريكا والناتو إلى حدود البلدين والقواعد الأمريكية التى أنتشرت فى عدد من دول آسيا الوسطى بدعوى الحرب على الإرهاب وإسناد قوات العدوان على أفغانستان . والآن ، وفى خطوة كبرى لتنفيذ ذلك المخطط ضد روسيا والصين معا ، زحفت أمريكا والغرب لقضم أوكرانيا وضمها إلى فلك الإتحاد الآوروبى وحلف الناتو ليصبح على الحدود الروسية مباشرة ، فيدير منها مباشرة عمليات تحطيم روسيا بمؤامرات الفتن الداخلية بما فى ذلك تسخير المسلمين فى الحرب ضدها ولمصلحة أوروبا . أى حرب جديدة بالوكالة ، والتى أدمنها المسلمون بتمويل وإفتاء خليجى / سعودى ، ومتطوعون من السلفية الدولية المسلحة.

ـ إن "الورقة الإسلامية " هى أحد الأوراق المرشحة بقوة للإستخدام فى هذا الصدد ، وهذا يجعل من تفاهم إسلامى شامل ، داخل الكتلة إسلامية فى النظام الأسيوى الجديد ، عملا إستراتيجيا للدفاع عن آسيا وعن الأقليات المسلمة فى آسيا والعالم ، من أخطار الإستغلال الأمريكى الأوروبى ، ومنع تحويل الدين الإسلامى إلى مجرد معول فى يد الغرب يهدم به أعدائه من روسيا إلى الصين إلى الدول الإسلامية جميعا ، وفى النهاية القضاء على دور ورسالة الإسلام كدين.

<u>أفغانستان ومعضلتان مع روسيا :</u>

الأولى : الغزو السوفيتى لأفغانستان وآثاره الفظيعة التى مازالت مستمرة حتى اليوم ، سواء من ناحية الدمار المادى أو المعاناة البشرية المستمرة ، وتلوث الأرض الأفغانية بملايين الألغام السوفيتية.

الثانى : العلاقة المتشنجة بين الدولة الروسية والمسلمين فى منطقة القوقاز.

ـ بالنسبه للغزو السوفيتى لأفغانستان فإنه مازال حيا فى ذاكره الأفغان ومعاناتهم منه مستمرة. فقد سقط ما بين 1/5 إلى 2 مليون شهيد فى تلك الحرب ، وتم تدمير القرى وشبكات الرى وتشرد حوالى 6 مليون إنسان لم يتمكن عدة ملايين منهم من العودة إلى حياتهم العادية حتى الآن ، لعدم وجود مساكن تأويهم أو أموال يبدأون بها حياتهم من جديد . وهناك معاقون يقدرون بالملايين أصيبوا خلال ذلك العدوان الذى إستمر حوالى عقد من الزمان إضافة إلى عدوان الحكومات الشيوعية التى دعمتها موسكو بالسلاح والأموال.

وحتى تبدأ العلاقات الأفغانية الروسية فى صباح اليوم التالى للتحرير يلزم بدء حوار ومفاوضات جادة لتصفية آثار مرحلة الغزو . وذلك يستلزم الإتفاق على مقدار تعويضات الحرب التى ينبغى أن تدفعها روسيا الإتحادية لأفغانستان وكيفية دفع تلك التعويضات . لا يمكن الآن حصر خسائر الشعب الأفغانى من العدوان السوفيتى بشكل دقيق . لكن حقوق الشعوب لا تسقط بالتقادم ويحب تأديتها حتى لا تقف حجر عثرة فى طريق تطوير علاقات لها أهمية كبيرة للشعبين والمنطقة . ومما يعرقل تقدير الخسائر التى ترتبت على العدوان السوفيتى ، أن العدوان الأمريكى ما لبث أن أضاف خسائر جديدة وضحايا لا يمكن حتى الآن تقدير عددهم ، ومهاجرين داخل البلد بأعداد لا يجرؤ أحد الآن على حصرهم . وكذلك تأثيرات الذخائر الجديدة المحملة باليورانيوم النشط أو المنضب ، وشبهات بإستخدام أسلحة تدميرية لم يسمع عنها العالم ولم تفصح عنها أمريكا المعتدية التى جعلت من أفغانستان ميدانياً سرياً لتجربة الأسلحة فظيعة الأثرعلى الناس والبيئة.

يمكن الإفتراض مبدئيا أن تعويضات الحرب تعادل تقريباً خمسة أمثال تكلفتها . وحسب مصادر السوفييت فإن حربهم على أفغانستان كلفتهم مئة مليار دولار. وبهذا يكون التقدير المبدئى لخسائر الشعب الأفغانى بملغ 500 مليار دولار. وكيفية دفع تلك التعويضات سيكون لها تأثير على إقناع الشعب الأفغانى بقبول الروس كأصدقاء طبيعيين مثل باقى شعوب المنطقة رغماً عن ماضى العدوان المظلم . فمثلاً يمكن إقتراح أن يدفع الروس جزءاً ملموساً من تلك التعويضات على شكل مشروعات يشعر الأفغان بفائدتها المباشرة ، خاصة فى المناطق التى عانت أكثر من غيرها من العدوان السوفيتى ، فيمكن تمويل برامج بناء البيوت المدمرة وتحسين وتوسيع شبكات الرى والسدود المائية وتوليد الكهرباء وإنشاء مشروعات زراعية ، ومدارس وجامعات ، ومشاريع طبية كبيرة ، ومشاريع صناعية ، خاصة صناعة الأسمدة وتكرير النفط والبتروكيماويات والأسمنت .

تطبيع علاقات آسيا مع المسلمين :

لقد أرسلت روسيا الإتحادية قواتها إلى كابول بعد أن دخلتها قوات الإحتلال الأمريكى /الأوروبى ، وذلك لأول مرة منذ هزيمة الجيش الأحمر وإنسحابه من أفغانستان عام 1989. فتجمعت فى أفغانستان لأول مرة جميع قوات الدول التى خاضت حروباً إستعمارية ضد أفغانستان منذ القرن التاسع عشر وهم بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة إضافة إلى قوات حلف شمال الأطلنطى . أى أوروبا كلها عن بكرة أبيها من أقصى شرقها إلى أقصى غربها . دلالات ذلك التجمهر العدوانى خطيرة جداً على المستقبل أكثر منها على الحاضر، فحالة القهر والإهانة والضعف والتفكك التى تسود العالم الإسلامى يستحيل أن تكون حالة أبدية، وليس من مصلحة أحد أن يكون الإنبعاث الإسلامى إنتقامياً ضد من تسببوا فى آلامه الرهيبة على مدى

قرون . و ليس من مصلحة إحد إشعال حرب حضارات إن لم تنفجر بشكل مؤثر الآن ، فقد تكون غاية الخطورة فى المستقبل . وليس ذلك فى مصلحة أحد ، لا المسلمين ولا من إضطهدوهم وظلموهم وسفكوا دماءهم . وروسيا جار تاريخى للعالم الإسلامى – والتاريخ لم يكن مضيئاً معظم تلك الفترة – وفى يد روسيا تغيير ذلك المسار فجعل الجوار الإسلامى إيجابياً ، حفاظاً على مصالح الطرفين . فأعداء روسيا يسعون إلى تفكيكها إلى دويلات – ويريدون ذلك للصين أيضاً – ومن ضمن أسلحتهم "الورقة الإسلامية" التى إستخدموها مرات كثيرة بنجاح فأسقطوا بها الإتحاد السوفيتى ، ويضربون بها روسيا الإتحادية فى القوقاز، وضربوا بتلك الورقة نفوذ روسيا فى "يوغوسلافيا" الغابرة ، ويضربون بها الصين فى إقليم "سينكيانج" المجاورة لأفغانستان ، ويطردون بها التواجد الروسى من شواطئ البحر الأبيض المتوسط فى سوريا تحديدا. وعندما تعثر مشروعهم قى سوريا وجهوا لروسيا ضربة أخطر فى نطاقها الأكثر حساسية فى أوكرانيا ، وهناك يحاولون إستخدام ورقة مسلمى القرم من التاتار .
أن يتحول المسلمون إلى "ورقة" فى الإستراتيجية الكونية للغرب الإمبريالى لا يصب مطلقاً فى مصلحة المسلمين ، بل يقضى على طموحاتهم وفرصتهم فى التواجد كأمة على سطح الأرض . ويدمر المسلمين ويدمر أعداء الغرب الآخرين فى وقت واحد.

لابد أن تقوم روسيا – وبالمثل الصين والهند ، بالتعاون مع أفغانستان ، وإيران إن أمكن ، للخروج من ذلك المأزق التاريخى ودفع الإمبريالية الغربية إلى خارج حدود أسيا ، وبناء أسيا جديدة وعالم جديد يكون المسلمون أحد مكوناته الحضارية الفاعلة المؤثرة.

ونقول أيضاً أن الغرب الإمبريالى قد إستخدم "الورقة الإسلامية" ضد المسلمين أنفسهم لتفتيت دولهم ونسف مجتمعاتهم من الداخل . وبإستخدم فرق المسلمين بعضهم ضد بعض ، ضاعت الثقه بين المسلمين كما ضاعت ثقة الآخرين فيهم .

أفغانستان والهند :

الهند القوة العالمية الثالثة من حيث حجم الناتج القومى، والأولى من ناحية عدد السكان ، وعلى مر التاريخ قامت الحروب بين الطرفين فوصلت جيوش الأفغان إلى عمق الهند، ومن الهند جاءت أخطر الغزوات البريطانية و الأمريكية (من باكستان التى كانت جزءاً من الهند حتى أواخر أربعينات القرن الماضى). والهند كانت صديقاً للإتحاد السوفيتى ومازالت كذلك مع روسيا الإتحادية ، وتحافظ فى نفس الوقت بعلاقات قوية مع الولايات المتحدة التى تعتمد على الهند كقوة أسيوية كبيرة ونووية تكون تهديداً للصين فى أى حرب كبرى قد تنشب مستقبلاً . وذلك من المكائد العظمى فى لعبة الأمم التى يديرها الشيطان الأمريكى للسيطرة على العالم وضرب الشعوب والحضارات بعضها ببعض ، بدون أن يتورط هو فى حرب مباشرة فى "سياسة نصر بلا حرب " ، أو سياسة "الحروب بالوكالة "، أو "حروب الجيل الرابع" وملخص تلك السياسات جميعا : دع الآخرين يحاربون بعضهم بالنيابة عنك .

كانت الهند فى صف الغزو السوفيتى لأفغانستان وساندت الحكومات الشيوعية المتعاقبة، ويعتقد أنها قدمت دعماً جوياً لقوات الحكومة الشيوعية بعد إنسحاب السوفييت فى فبراير 1989.

أما خلال الغزو الأمريكى لأفغانستان فإنها قدمت دعماً إستخبارياً وأقامت مراكز تجسس فى أفغانستان، وساهمت تلك المراكز فى قتال فعلى ضد المجاهدين وقوات حركة طالبان، وتوسع نفوذها الثقافى خلال تلك الفترة – وتتنافس الهند مع باكستان على أفغانستان ، وتخشى كل منها أن تصبح أفغانستان حليفاً أو تابعاً للطرف الآخر.

موقف الهند المتشدد ضد المسلمين فى الهند نفسها ، وموقفها من قضية كشمير يجعل مواقف أفغانستان- خاصة تحت حكم طالبان – أقرب إلى المواقف الباكستانية رغم أن كمية الأضرار الواصلة من باكستان إلى أفغانستان – خاصة تحت حكم طالبان – أكثر بكثير مما يصلها من الهند. ولا يدرك كثيرون هذه الحقيقة . فليس لأفغانستان حدود مع الهند، ولكن لها مشاكل حدودية خطيرة مع باكستان خاصة ما يتعلق بخط (ديورند) المؤقت ، الذى رسم الحدود لفترة زمنية إنتهت بالفعل . وهناك الكثير من المشاكل مع باكستان ، وقد تم ذكرها سابقا.

ـ شاركت الهند أيضاً إستخبارياً على الأرض الأفغانية ، وقاتلت بعناصرها أحياناً ولكن تأثير نشاطها العدائى كان أقل بكثير من تاثير باكستان . أعداد لا بأس بها من المسئولين فى حكومة كابول الأمريكية هربوا ملايين الدولارات إلى الهند وأشتروا البيوت الفارهة تمهيداً لإقامة دائمة بعد سقوط الإحتلال.

ـ على إمتداد عقود درس الكثير من الطلاب الأفغان فى الهند ، وعادوا إلى بلادهم وبعضهم إستقر هناك. وتعيش فى أفغانستان أقلية من الهندوس الأفغان ، يعمل معظمهم فى التجارة بين البلدين خاصة فى تجارة التوابل . وهم محايدون سياسياً ومطيعون للحكومة الرسمية فى كابول مهما كان نوعها ، فى المقابل هناك تجار أفغان مقيمون فى الهند منذ القدم وعائلات من أصول أفغانية.

فالترابط البشرى والثقافى موجود ويصلح كجسر لعلاقات جديدة لعصر جديد تماماً ، عصر أوجده جهاد الشعب الأفغانى الذى حطم أمبراطوريتين فى أقل من نصف قرن ، وبالتالى تغير النظام الدولى بأكملة مرتين متتابعتين . وهذه المرة لن يترك الفرصة تفلت من يديه قبل أن يأخذ مكانه الطبيعى فى مقدمة العصر القادم ويبنى دولته الإسلامية الحديثة كما ينبغى لها أن تكون.

الهند ستكون من الدول المتقدمة فى النظام الدولى القادم بحكم قوتها الإقتصادية ، وتعاون الهند مع أفغانستان هو أمر هام للطرفين ولإستقرار أسيا والعالم فى العصر القادم.

الأقليات المسلمة فى آسيا :

ليس من مصلحة أفغانسان أن تكون فى محور ضد أى دولة . فمشاكل كل دولة هى شأن داخلى يتكفل بحلها الشعب ونظامه الحاكم . وحسب الخبرة الأفغانية والدولية فإن أى تدخل فى الشأن الداخلى لدولة أخرى يعقد المشاكل ويخلق أزمات جديدة وينتقل بالأوضاع الداخلية من أزمة صغرى إلى أزمة أكبر. ويسرى ذلك على أزمات المسلمين فى البلاد التى يعيشون فيها كأقليات، فعليهم حل مشاكلهم بأنفسهم فى إطار مجتمعاتهم بدون الإعتماد على أى عون خارجى يجعلهم مجرد أدوات فى صراع دولى لا يبالى بهم بل يستخدمهم لخدمة مصالح الاخرين . وهذا يحدث مع مسلمى الهند وكشمير فى حال إعتمادهم على باكستان .

- لا يعنى ذلك تخلى المسلمين عن قضاياهم ولكن عليهم النضال لأجلها فى ظروفها الواقعية وليس الإفتراضية . فاللجوء إلى السلاح يعقد مشاكل الأقليات كثيرا ولا يحلها . وعندها يكون العمل الجهادى عبارة عن (عملية إستشهادية كبرى) للأقلية المسلمة .

فمثلاً لا يمكن لمسلمى الإيجور أن يشنوا حرباً ضد الصين ، ومسلمى الشيشان حرباً على روسيا ومسلمى كشمير حرباً ضد الهند ، لأنها حروب ضد قوى هائلة بينما المسلمون أضعف عدداً وعدة ، وليس وراءهم أى قوة إسناد إسلامية يمكن الإطمئنان إليها أو الإعتماد عليها، سوى دول إسلامية ضعيفة تمدهم بإسناد متهافت يضر أكثر مما ينفع . فكل إسناد الأمة الإسلامية لأى "جهاد" لا يتعدى الأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة والعديد من الإستشهاديين الذين إن أعجزهم الوصول إلى العدو فجروا أنفسهم فى إخوانهم المسلمين من أصحاب الأرض . كما حدث فى العراق وسوريا .

أن الوضع المذرى للدول الإسلامية وضعفها وتبعيتها للمستعمرين ، وإستبداد أنظمتها وفسادها ، يجعل موقف الأقليات المسلمة فى أرجاء العالم ضعيفا ، ويجعلهم عرضة لتجاوزات تبدأ بالإحتقار وقد تصل إلى القتل على الهوية كما حدث كثيراً من الصين والهند وبورما فى أسيا ، إلى بورندى وأفريقيا الوسطى ودول أفريقية أخرى . إن الجسد الإسلامى ضعيف ومتآكل ، وتلك حقيقة يجب أن تستوعبها الأقليات المسلمة ، فحصول الأقليات على حقوقها ينبغى أن يتم داخل الأطر المحلية المتاحة والكفاح المدنى العام من أجل الحريات والحقوق . فليحاول المسلمون إصلاح أحوال دولهم بديلا عن الزج بالأقليات المسلمة فى حروب غير متكافئة تؤدى إلى دمارهم وفقدان القليل الذى يمتلكونه . إن محترفى الحروب بالوكالة ، ومقاولى "الجهاد العالمى " إنما يقدمون خدماتهم المدفوعة أو المجانية لشياطين لعبة الأمم وعلى رأسهم الولايات المتحدة وأدواتها الإقليمية النفطية. وعليهم إدراك خطورة ما يفعلونة ، فالتجارة بالدماء هى أخطر أنواع التجارة لأنها ترتد إلى صدور أصحابها ، أوعلى شكل طلقات رحمة بعد إنجاز المهمة . يحدث ذلك على الدوام منذ الحرب على السوفييت مرورا بالشيشان والبوسنة والعراق وسوريا ..إلخ .

هناك حلولاً أخرى لإدخال تحسينات جزئية ، والإعتصام بالصبر إلى أن يتحسن وضع الأقليات المسلمة فى تلك الدول، ويتحسن وضع المسلمين فى دولهم بحيث يمكنهم ممارسة ضغوط لصالح الأقليات المسلمة وحماية حقوقها.

مجالات مفتوحة مع الهند :

المجالات التجارية بين الهند وأفغانستان كانت قائمة فى كافة الظروف التى مرت بها أفغانستان . ولكن المبادلات كانت تتسع أو تضيق حسب شدة الإضطراب فى أفغانستان . فى المرحلة القادمة (فى صباح اليوم التالى) يمكن للأقلية الهندوسية فى أفغانستان أن تتولى عبر كبار التجار تنشيط وتوسيع نطاق المبادلات التجارية بين البلدين ، بحيث تشمل مجالاً أوسع من السلع الأفغانية خاصة الفاكهة والمنسوجات والحرف اليدوية. والجامعات الهندية يمكن أن تكون مقصداً للطلاب الأفغان فى المجالات العملية والتطبيقية، ويمكن تيسير إنتقال الأفراد بين البلدين وتخفيف الإجراءات الجمركية.

ويمكن تكثيف الإرتباط الجوى بين البلدين، والإرتباط (البحرى/ البرى) عبر باكستان إذا كان المناخ السياسى بين البلدين مناسباً ، وأيضاً عن طريق الموانئ الإيرانية ومنها عن طريق البر أو الطرق الحديدية إلى أفغانستان . ومعلوم أن الهند متطورة فى مجال تصنيع قطارات السكك الحديدية كما أنها تمتلك شبكة واسعة جدا داخل بلادها ، لذا فهى مؤهلة تماما للمشاركة فى مشروع ربط المدن الأفغانية بشكبة طرق حديدية ، وربط تلك الشبكة بشبكات الدول المجاورة ، بهدف مستقبلى كبير هو ربط الإقليم كله بشبكة مواصلات أرضية ستكون مصدر رخاء وتقارب ثقافى وسياسى بين شعوب المنطقة.

ـ من المنطقى أن تتوقف جميع النشاطات التجسسية للهند فى أفغانستان ، وأن تسحب مجموعاتها المنتشرة فى ظل قوات الإحتلال الأمريكى . ومن المنتظر أن تسمح الهند بمزيد من حرية العمل الإقتصادى والتجارى لمسلمى الهند مع أفغانستان بما يوازى الحريات التى يتمتع بها الهندوس الأفغان فى تلك المجالات.

أفغانستان ودول الخليج العربى :

المملكة السعودية والإمارات كانتا أول دول الخليج التى قدمت الدعم للشعب الأفغانى خلال الغزو السوفيتى لأفغانستان فى الثمانينات ، وجاءت قطر فى منزلة بعد المنزلتين.

الإمارات كانت هى السباقة فى فتح باب التعامل المباشر مع "الأحزاب الجهادية " الأفغانية بإستقبالها وفداً برئاسة عبد الرسول سياف رئيس أتحاد أحزاب المجاهدين عام 1980.

كان ذلك الإستقبال عن طريق الخطأ ،ولكنه رسم مساراً حافلاً من العلاقات بين حكومات وشعوب المنطقة وحركة الجهاد فى أفغانستان . فتدفقت ملايين الدولارات ، صوب أحزاب بيشاور. وآلاف المتطوعين، كان معظمهم من المملكة السعودية التى ساهمت بالنصيب الأوفى فى دعم الأحزاب الجهادية – خاصة عبد الرسول سياف رئيس الإتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان الذى كان طول تلك المرحلة رجل السعودية الأول فى "الجهاد الأفغانى" . ومن السعودية أيضاً ومن باقى دول الخليج تدفق آلاف الشباب المتحمس ، وقد إستشهد العديد منهم فى ميادين الجهاد فى أفغانستان وكانوا مثالاً فى البطولة والفدائية وحسن الخلق .

وكان من أبرزهم خلقاً وشجاعة " أبوالشهيد القطرى" الذى إستشهد فى منطقة خوست، وقدم شباب الإمارات شهيداً رائعا فى جلال آباد ترك آثراً لا يمكن أن يمحى فى نفوس المجاهدين وكان ضابطاً فى جيش الإمارات. والشهداء صخرى وشفيق من شباب السعودية وغيرهم كثير . وقدم شباب الكويت أول شهيد عربى فى أفغانستان . ولا يمكن لجيل الجهاد نسيان البطل إبراهيم البحرينى المجاهد الأسطورى الذى إستشهد فى شمال جلال آباد بإنفجار لغم أودى بحياته وكان قبل ذلك قد فقد أحدى قدميه بإنفجار لغم ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقاتل كأفضل المجاهدين.

ـ أعداد المتطوعين العرب خلال الحرب ضد السوفييت غير معلومة بدقة ، وكذلك عدد شهدائهم وجنسياتهم . والأرقام تقديرية وتتفاوت بشدة من مصدر إلى آخر ، ولكن يعتقد أن عدد الشهداء تروح ما بين 300 إلى 500 شهيد، سقط معظمهم فى معركة جلال آباد (1992-1989) وكانت حرب إستنزاف طويلة وعقيمة ، و تركت أثراً سلبيا رهيباً فى تكوين المجاهدين العرب وتفكيرهم وسلوكهم بعد ذلك، وذلك

ما أطلقنا عليه (مدرسة جلال آباد). وفى تقديرى الشخصى أن معظم المتطوعين العرب جاءوا من البلاد التالية على الترتيب : السعوية – اليمن – مصر – المغرب العربى .ومتطوعى السعودية كان لهم تأثيراً مضاعفاً نظراً للقوة المالية التى تمتعوا بها ، والقدرة على جلب الأموال للمساعدة ، والحصول على أحدث الفتاوى من علماء المملكة الذين تمتعوا بنفوذ كبير للغاية بين المتطوعين العرب ، وإن كانت تلك المنزلة تراجعت كثيرا فى سنوات الحرب الأخيرة .

لا حاجة إلى القول إلى أن المفهوم السلفى كان هو الغالب على التنظيمات والأفراد المتطوعين . ونادرون هم من أظهروا مخالفة لذلك النهج .وكان شباب السعودية تحديدا هم الأكثر نشاطاً وحماساً فى الدعوة إلى السلفية الوهابية . جميع التنظيمات الجهادية التى ظهرت أو وفدت إلى ساحة المتطوعين العرب فى مدينة بيشاور الباكستانية كانوا على نفس النهج، ومكنهم ذلك من الحصول على "الدعم الشرعى أو"التزكية" من علماء السعودية كما ضمن لهم عوناً مالياً كانوا فى أمس الحاجة إليه.

المتطوعون المتوجهون من مصر إلى أفغانستان وعند مرورهم بالسعودية كانوا يحصلون على إستضافة وعون مادى وتذاكر سفر مخفضة أو مجانية ، وعند عودتهم إلى بلدهم كانوا يحصلون على عون مماثل ، إضافة إلى إداء العمرة أو الحج . المتطوعون من اليمن والمغرب العربى أو من أى جنسية أخرى كانوا يحصلون على نفس المساعدة.

وذلك جعل تأثير السعودية هو الأعظم على الساحة العربية الجهادية فى أفغانستان ، وأيضاً على باقى المتطوعين من بلاد إسلامية أخرى مثل بنجلادش والصين وأندونيسيا .. إلخ.

ـ وبشكل رسمى ، كان التأثير الحكومى السعودى على الأحزاب الأفغانية كبيراً ومتنافساً مع النفوذ الباكستانى الذى يرعى تلك الأحزاب فى أدق تفاصيلها . وتحت المظلة الأمريكية سار النفوذان الباكستانى والسعودى فى وفاق ظاهر ، وضربات من تحت الحزام ، لأن الرئيس ضياء الحق كان يبتز إلى أقصى حد حاجة أمريكا إليه فى المعركة الأفغانية ضد السوفييت ، التى كانت حاسمة فى صراع الحرب الباردة . كما أن ضياء الحق رفض بتصميم قاطع فتح جبهة قتل ضد إيران دعماً للعراق .

وقد دفع ضياء الحق حياته ثمناً لمعارضته الجزئية لمطالب الإستراتيجية الأمريكية فى المنطقة . فالسعودية أنشأت فى باكستان تنظيم (سيباه صحابه) عام 1986 لضرب الشيعة فى باكستان واغتيال إيرانيين فى باكستان رداً على عدم موافقة ضياء الحق فتح جبهة قتال كاملة ضد ايران . وقد أثر ذلك بعمق على إستقرار باكستان خاصة وأن الشيعة وجهوا ضربات معاكسة . فى نفس الوقت كانت المخابرات السوفيتية والأفغانية تديران (حرب إرهاب) داخل مدن باكستان بالتفجيرات والإغتيالات . وبشكل عملى / ولكن بدون إتفاق سياسى مسبق / كانت السعودية والسوفييت ينخرون فى الجسد الباكستانى بأعمال الإرهاب أو ما يشبه حرب المدن . وقد وجهت الهند أيضا عدة ضربات إرهابية إلى الداخل الباكستانى . فى تلك الفترة كانت تربط نيدلهى وموسكو روابط استراتيجية ، فى علاقة كانت مهددة بالتحالف الأمريكى الباكستانى السعودى المساند للمجاهدين الأفغان الذين وضعوا الجيش الأحمر فى وضع بائس داخل أفغانستان.

ـ تحركت السعودية فى ساحة الأحزاب الأفغانية بواسطة التنظيم الدولى للإخوان المسلمين الذى ينتمى إليه أهم ثلاثه من القادة الأصوليين، وهم عبد الرسول سياف ورئيس حزب الإتحاد الإسلامى ، وجلب الدين حكمتيار رئيس حزب إسلامى ، وبرهان الدين ربانى رئيس حزب الجمعية الإسلامية.

وكان سياف قائداً لحركة الإخوان المسلمين فى أفغانستان، متخطياً برهان الدين ربانى الأقدم والأكبر سناً، ولكن سياف والذى يتقن العربية وتلقى تعليماً أزهرياً لعدة سنوات (وكذلك ربانى أيضا) إستطاع لسبب ما وبطريقه ما أن يكون هو الرهان الأول للمملكة السعودية وبالتالى التنظيم الدولى للإخوان المسلمين.

ـ ومعلوم أن التنظيم الدولى للإخوان المسلمين، تتبنى قيادته بشكل كامل تقريباً المنهج السلفى السعودى أو الوهابية ، إضافة الى المنطلق الجهادى حسب تنظيرات سيد قطب . وكان سياف ببلاغته الخطابية هو خير من يقدم تلك التوجهات التنظيمية والعقائدية من خلال خطاباته ومن خلال مجلاته الناطقة بالعربية والتى أشرفت عليها كوادرعربية من حركة الإخوان وكان أغلبهم مصريون .

ومع ذلك فإن السعودية عملت على إحداث إنشقاق فى حزب سياف لصالح إنشاء تنظيم سلفى غير إخوانى، فظهر تنظيم سلفى جديد محصور فى ولاية كونار الأفغانية الحدودية الوعرة بقيادة مولوى "جميل الرحمن" وافتتحوا له مقرات فى بيشاور ومجلة فاخرة يشرف عليها شباب مصريون وسوريون ومن جنسيات أخرى ، وافتتحوا له مركز تدريب فى كونار ، يعمل تحت إشراف عناصر المخابرات السعودية ، كى يتوجه إليه الشباب السعودى مباشرة رغم أن مستوى التدريب فيه كان أدنى من أى مكان آخر فى ذلك الوقت . ولكن المعسكرات العربية الأخرى كانت تموج بأفكار سلفية مضادة للحكم السعودى بل وتكفره .

ظل سياف هو الخيار السعودى الأول حتى نهاية الحرب ضد السوفييت . فقد تمكنت السعودية بضغوطها المالية والمعنوية وإسناد مشايخ السعودية وشخصيات بارزة من حركة الإخوان المسلمين من تنصيب سياف رئيساً لجميع أحزاب المجاهدين تحت مسمى " الإتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان " . ولكن سياف أدار الأمور بأنانية واستخواذ ، وأصر على حل جميع الاحزاب الأخرى قبل توزيع أموال التبرعات عليهم ، وكان ذلك مستحيلا لأسباب منها التدخل الخارجى المتعدد الأطراف ، إضافة إلى عداوات قديمة وشكوك عميقه بين زعماء المنظمات.

وعندما تهاوى نظام كابول الشيوعى ولم يكن هناك أى هيئة لدى المجاهدين قادرة على أن تتولى السلطة فى كابول ، ومجهودات قيادات الداخل لم تتبلور إلى درجة كافية لأخذ زمام المبادرة والسيطرة على الحكم.

فأرسلت السعودية مدير المخابرات تركى الفيصل ليمارس ضغوطه المالية على المنظمات ودفع مئة مليون دولار لسياف وخمسين مليون لصبغة الله مجددى لتشكيل حكومة يرضى عنها باقى زعماء الأحزاب . فتشكلت الحكومة التى تولت الحكم فى كابول فى أعقاب سقوط النظام الشيوعى . فشهدت البلاد واحداً من أسوأ عصور الرعب وفقدان الأمن وإنتشار العصابات المسلحة حتى بالأسلحة الثقيلة ، من بقايا أتباع الأحزاب "الجهادية" الحاكمة فى كابول.

ـ وخلال فترة الفوضى والرعب التى أدارتها عمداً وعجزا حكومة كابول برئاسة برهان الدين ربانى وسياف ، كانت السعودية بعيدة عن المشهد الأفغانى ، ربما إطمئنانا الى وجود رجلها الأول فى أفغانستان

عبد الرسول سياف الذى هو أيضاً الرجل الأول للتنظيم الدولى للإخوان المسلمين . وهو الزعيم الإخوانى الذى وصفه يوما الشيخ عبدالله عزام / رمز العرب للجهاد فى أفغانستان / بأنه صمام الأمان فى الحكومة المؤقته التى تشكلت فى أعقاب الإنسحاب السوفيتى تحت رعاية باكستان والسعودية فى مدينة روالبندى الباكستانية ، وفيها جاء صبغة الله مجددى رئيساً لتلك الحكومة.وهو أيضاً إخوانى قديم جداً ولكنه كان صوفياً ومحافظاً فى آرائه السياسية ومواليا للغرب بشكل علنى وبلا مواربة . وفى تلك الظروف لم تكن تلك صفات مناسبه للسعودية أو الإخوان المسلمين . وفى عهد الإحتلال الأمريكى ظل سياف يقوم فعلياً بدور رجل الدولة ومستشارها السياسى وواجهتها الدينية والشرعية الجهادية ، التى تقف فى وجه حركة طالبان وتطعن فى شرعية جهادها ضد الأمريكيين . أما مجددى فيشغل منصب رئيس مجلس الشورى مضفياً عليه شرعية دينية مؤيدة للأحتلال الأمريكى .

ـ بشكل رسمى أهملت السعودية أفغانستان كما فعلت أمريكا ودول الغرب ، إلى أن وصل أسامة بن لادن إلى جلال آباد فى طائرة سودانية فى شهر مايوعام 1996 . من يومها توالت الزلازل والبراكين الأمريكية التى إتخذت من الدبلوماسية السعودية رأس رمح ضد حركة طالبان ، فطالبت السعودية حركة طالبان بتسليم أسامة بن لادن ومن معه من العرب.

وقد أحبطت حركة طالبان هجوماً قام بها معارضوها عبر الحدود مع باكستان، وأفاد قادة الهجوم أن باكستان رتبت العملية ومولتها السعودية ، وأن الهدف كان القرية المؤقتة التى أقام فيها بن لادن ومن معه على أطراف جلال آباد بهدف قتل أو أسر من فيها .

ـ السفير السعودى فى باكستان وأفغانستان تخطى حدود اللياقة فى تعامله مع الإمارة فى قندهار فطردته الإمارة وأمرته بعدم دخول أراضيها مرة أخرى . ولكنه عاد برفقة مدير المخابرات السعودية تركى الفيصل الذى جاء بطائرة بوينج طالباً من زعيم حركة طالبان (الملا محمد عمر) أن يسلمه بن لادن والعرب والمقيمين معه فى قرية على أطراف مطار مدينة قندهار . **{ 7 }**

كان اللقاء عاصفا وكاد أن يتعرض فيه الفيصل والسفير المرافق له للضرب من جانب حرس الملا عمر نتيجة سؤ الأخلاق والغطرسة . ولكن الملا عمر تدارك الموقف بصبره غير المحدود ولباقته ، رغم أنه كان يعانى كثيراً من تصرفات بن لادن غير المبالية بالإمارة ومطالبها .

كانت السعودية واحدة من ثلاث دول فى العالم التى إعترفت بنظام (الإمارة الإسلامة) فى أفغانستان ، وهى السعودية والإمارات وباكستان . وكان أعترافاً أفضل منه العداء السافر أو حتى إعلان الحرب ، وهو مافعلته باكستان بالفعل فقد كانت طرفاً أساسياً وفاعلاً ولا غنى عنه لأمريكا فى العدوان على أفغانستان وإحتلالها. وأيضا فعلته الإمارات التى أرسلت قوة عسكرية لمساندة الأمريكيين فى حربهم فى قندهار.
ـــ الإمارات كان لها مكانة خاصة فى نفوس المجاهدين والأفغان عامة كونها أول بلد عربى فتح ذراعيه لهم . ولكن تحولت الإمارات إلى الأعمال العدائية ضد شعب أفغانستان ومساندة الأمريكان . وأقل ما فى ذلك كان تدفق إسخباراى لعملاء عرب جندتهم المخابرات الأمريكية بالتعاون مع "أمير" من أحد العائلات الحاكمة . وقد حصلت قندهارعلى إعترافات وإفادات عديدة وموثقة ، مما أثار الدهشه لهذا التحول ولتلك الأزدواجية فى التعامل.

ولكن الإمارات حسمت موقفها وقت العدوان على أفغانستان وأرسلت قوة من جيشها لمد يد العون للحليف الأمريكى . وتمركزت القوة الإماراتية فى منطقة معروف الحدودية ، وكانت المنفذ الأخير للعائلات العربية التى فرت من قندهار ، وذلك لإصطياد المجاهدين العرب إذا حاولوا إستخدام نفس المنفذ مرة أخرى . ومع ذلك فإن جيش الإمارات الذى قدم واحداً من أنبل شهداء معركة جلال آباد عام 1989 قدم نموذجاً آخر رائعاً فى الحرب ضد الإحتلال الأمريكى الأوروبى لذلك البلد المسلم . فمن أفراد تلك القوة التى أرسلوها لمساندة المحتلين من قدم جهداً أسطوريا جنباً إلى جنب مع مجاهدى الجنوب الأفغانى ، وسوف يأتى الوقت لكشف النقاب عن التاريخ الحقيقى لمسلمى الخليج المرتبطين بالإسلام وليس بأمريكا أو النفط ولعبه الأمم .

ـ السعودية لم تقم بدور ظاهر فى العمل العسكرى ضد أفغانستان أثناء العدون الأمريكى وفترة الإحتلال . فالدور الذى تقوم به القواعد العسكرية هناك غير ظاهر للرأى العام . ومعروف أن الطيران الأمريكى فى جميع أنحاء المنطقة بما فيها أفغانستان يدار من قواعد أمريكية فى السعودية ، حيث قيادة المنطقة المركزية التى تقع أفغانستان وباكستان فى نطاقها.

ما يقال من السعودية فى هذا الصدد يقال بالنسبه لقطر وباقى دول الخليج المزروعة بالقواعد الامريكية العسكرية والتجسسية والتى تعربد فى المنطقة كيفما شاءت ولا يعرف عنها أحد إلا ما يتكرم الأمريكيون بالكشف عن شذرات منه . لهذا يمكن القول أن جميع دول الخليج العربى شاركت فى الحرب على أفغانستان بتلك القواعد العسكرية وعمليات إمدادات القوات المحتله لأفغانستان.

وهنا نذكر أن إيران تفتح أجوائها لطائرات النقل الأمريكية وفق شروط نظرية لا يمكن التحقيق منها . فدعم إيران للأحتلال كما دعم دول الخليج العربى ، هو دعم حيوى ولكن لا يمكن التأكد منه أو رصده بدقة .

ـ ذلك الأمر ، أى تحالف الأمم كلها مسلمها قبل غير مسلمها ضد أفغانستان –ليس أمراً سيئاً كله لأن الأمريكيون حين إحتاجوا إلى وساطة مع حركة طالبان لإقناعها بالتفاوض معهم قبل الرحيل، لم يجدوا أحدا لديه إمكانية ضغط على تلك الحركة . وكان ذلك أحد مآزق الحماقة الأمريكية فى إدارة حربها على أفغانستان ، وجنون القوة التى إنتابها ، إذ حشدت العالم كله معها ، حسب قاعدة جورج بوش " من ليس معنا فهو مع الإرهاب" . وبدلاً من أن تنهار حركة طالبان وعزيمة الأفغان ، إشتد عزمهم فتكاتفوا وإكتفوا بالله لاغير .فكان الخاسر عسكرياً وسياسياً وأخلاقيا هم أمريكا ومن تحالفوا معها خوفاً وطمعاً.

حتى السعودية فقدت قدرتها التقليدية فى على الضغط على قادة المجاهدين ، فلم يعد بينهم سياف ولا ربانى ولا إخوان مسلمون ، وحركة طالبان لم يتسمم بدنها بأموال حكومات النفط ، لذا ظلت متعافية وقوية ورأسها فى السماء. وفشلت قطر عندما حاولت أن تلعب مع حركة طالبان لعبتها الناجحة مع الإسلام السياسى فى دول الربيع العربى . فقد أرادت أن تقايض الحركة بمكتب منحته لهم فى الدوحة ، يطلون منه على مياه الخليج فى مقابل تنازلهم عن أفغانستان لصالح الأمريكين "!!". ولهم بعد ذلك عدة كراسى فى حكومة مسرح العرائس المنصوب فى كابول .

ـ الإمارات حرقت أوراقها القديمة فى أفغانستان ، فمن دواعى أسى المجاهدين أن يقاتلوا إخوانهم جنود الإمارات ، وبالمثل يدمى قلوبهم أن يقاتلوا إخوانهم جنود الأردن فى شمال أفغانستان ، بعد أن قاتل المئات من شباب الأردن وقدموا دماءهم فى أفغانستان . فمازالت مجموعة أبو الحارث الأردنى " وهو جندى سابق فى جيش الأردن" محفورة بحروف من ذهب فى تاريخ أفغانستان وجهادها ضد الجيش السوفيتى .

ـ سوف تزول الأدران الخبيثة من الجسد العربى فى يوم من الأيام ، ولن يكون ذلك اليوم من أيام "الربيع العربى" المسموم ، ولن يكون العلاج على أيدى "حركات إسلامية" برهنت على أنها جزء من المرض العربى والإسلامى ، وأنها من مسبباته ومن دواعى الموت ، وليست علاجاً.

ـ ملخص الوضع الحالى أن معونات شعبية قليله للغاية وصلت لمجاهدى أفغانسان فى جهادهم ضد أمريكا وحلف الناتو . والقليل جدا من الشباب وصلوا إلى هناك . لكن لا تنظيمات من أى نوع ، لذا لا مجال لربيع أفغانى على نمط الربيع العربى ، ولا فرصة لضغوط خليجية رسمية أو شعبية ، وما وصل منهم بالفعل يشكرون عليه ، ولو تم قطعة فلن يؤثر ذلك بشئ على جهاد شعب أفغانستان.

الأهم من ذلك كله ألا مجال لفتنة طائفية بين السنة والشيعة ، أو بين عرقيات الشعب الأفغانى المسلم ، وهو ما دأبت عليه المعونات العربية عامة ، والخليجية خاصة .

مجالات التعاون الأفغانى/الخليجى :

أفضل ما يمكن أن تقدمه المملكة السعودية بشكل خاص، وكذلك الجارة إيران ، لأفغانستان صباح اليوم التالى لرحيل الإحتلال ، هو تسليم المعاهد الدينية التى أنشأتها فى أفغانستان إلى الحكومة الأفغانية الجديدة. فالجامعات الإسلامية والمدارس الدينية التى أقامتها كل منهما فى كابول ـ وحسب التجربة فى أكثر من مكان فى العالم الإسلامى- ستكون تأسيساً لفتن طائفية وتخريج أحزمة ناسفة وسيارات مفخخة ، وليس طلاب شريعة وعلماء دين . وهذا آخر ما تحتاج إليه أفغانستان . التبرعات لبناء مدارس دينية مقبوله فقط إذا سلمت الأموال إلى الحكومة المركزية بدون تدخل فى تحديد المناهج أو إختيار المدرسين . ونفس الشرط بالنسبة لأى مساهمات لقطاع التعليم بشكل عام . فالمشكلة مع التعليم الذى جاء به الإستعمار السوفيتى أو الأمريكى/الأوروبى كانت فى هاتين النقطتين تحديداً ، أى المناهج ونوعية المدرسين . ولن يتكرر الخطأ مرة أخرى خاصة فى مجال التعليم الدينى ، فيتحول الدين إلى إداة تفريق وفتنة ، وليس دعوة وهداية وتجميع للأمة على كلمة سواء.

ملاحظة حول المعونات الخليجية :

المعونات الخارجية بشكل عام يتم الإتفاق بشأنها مع الحكومة المركزية، وهى التى تتسلمها ثم تتولى إنفاقها على الجهات المحددة لها . ويجب الإتعاظ بما حدث فى دول كثيرة حول العالم ، فالمعونات سلاح خطير ذو حدين ، وغالباً ما تكون أضراره أكثر من فوائده ، فتتحول المعونات إلى أداة لإفساد المسئولين الكبار والصغار، و إنتشار الفساد فى أجهزة الدولة . وفى النهاية تتسرب ثروات الدولة إلى الجهات المانحة للمعونة ، ويضيع إستقلال الوطن ، وتقع الدولة فى التبعية .

ـ والدرس البارز فى أفغانستان هو إفساد المنظمات الجهادية فى باكستان وقت الجهاد ضد السوفيت . فعن طريق المعونات الأجنبية التى قدمت لها، تحول الحصول على المعونات والصراع من أجلها هدفاً للأحزاب وسبباً للصراعات السياسية والعسكرية فيما بينها.

والمعونات الخارجية بشكل عام يتبعها قدر من التأثير السياسى وإحتمال ممارسة ضغوط مستقبلية، كما يتبعها قدر من إفساد الموظفين ، لذا فإن قبول القروض والمعونات الخارجية ينبغى أن يكون بحرص كامل وفى إطار الضرورات الشديدة ، وتحت المراقبة الدائمة ومتابعة أوجه الإنفاق . فمن الخبرة الأفغانية والدولية ، غالباً ما كانت المعونات مدخلاً للسيطرة ، أو التدخل غير الحميد فى الشئون الداخلية.

ـ يمكن للمملكة السعودية وباقى دول الخليج المساهمة فى المشروعات الصناعية والزراعية فى أفغانستان مثل صناعات الأسمدة والبتروكيماويات ومشاريع الطرق والسكك الحديدية والمشاريع الزراعية الكبيرة ، والصناعات التحويلية والتصنيع الزراعى .

أفغانستان ودول العمق العربى :

العالم العربى يعتبر عمقاً لأفغانستان ، دينياً وثقافياً ، وأيضا إقتصادياً وإستراتيجياً . وتوثيق ذلك الترابط بشتى السبل يعتبر مطلباً حيوياً لمستقبل أفغانستان ، وللعالم العربى بنفس القدر .

ربما توحى حالة العالم العربى حالياً بعكس ذلك، ولكنها حالة عابرة سوف تتبعها مرحلة عربية مخالفة تماماً ، فما زالت التفاعلات الداخلية هناك متواصلة ، وسوف تصل يوماً الى شاطئ الأمان والطريق الصحيح.

وأفغانستان كدولة داخلية وصغيرة نسبياً تحتاج إلى توسيع ترابطها الإقتصادى والإستراتيجى مع العالم الخارجى، خاصة مناطق حيوية مثل المنطقة العربية.

ـ وتزداد أهمية العلاقات مع إيران كونها المدخل البرى الوحيد بين أفغانستان والعالم العربى، هذا إلى جانب أهميتها كمنفذ لأفغانستان على البحار، أى الخليج الفارسي تحديداً. وهى أهمية تشترك فيها باكستان التى توفر لأفغانستان نفس الفرصة البحرية بالإطلال على بحر عمان والمحيط الهندى.

ـ العراق هى أول جار عربى لإيران - ولأفغانستان بالتالى ـ ومنها يمتد التواصل الأفغانى براً إلى بلاد الشام الكبرى وجزيرة العرب بما فيها عمان واليمن.

العقبة الإسرائيلية فى طريق الإلتحام الإسلامى :

تواصل أفغانستان البرى ممكن مع مصر وبلاد المغرب العربى والسودان لولا العقبة الإسرائيلية ، وهى عقبة مؤقتة فى طريقها إلى الزوال مع التبدل التدريجى فى المناخ الجيوسياسى الدولى ، والمنطقة الإسلامية بالذات . ومع إنحسار الدور الأمريكى والأوروبى عن العالم تدريجيا لصالح الصالح الصعود الأسيوى و الإسلامى / الأسيوى ، الذى تمثل أفغانستان قلبه النابض مع محيطها الإسلامى المجاور والبعيد.

إسرائيل كانت نتاجا لخلل إستراتيجى هائل بين أوروبا والعالم الإسلامى ، وذلك الخلل فى طريقه الآن إلى الإعتدال وعندها سيصبح زوال إسرائيل حتمية ملازمة لذلك التصحيح الإستراتيجى . فسوف تسقط إسرائيل مثلما تسقط الورقة اليابسة من فوق غصن أخضر ، ولن تكون ترسانة أسلحتها ذات جدوى ، وسوف يغادرها معظم مستوطنيها حتى قبل أن يسمعوا أى طلقة .

أفغانستان والعراق :

يمكن التعاون مع العراق فى مجالات النفط ونقل الخبرات الزراعية ، والإتصالات ، والصناعات المدنية والعسكرية . وإمكانيات التبادل الإقتصادي والتجاري مجالاتها مفتوحة على قدر ما تسمع به أوضاع العراق ، التى مازالت تعانى من (تمزقات إرتدادية) ناتجة عن الإحتلال الأمريكى والفتنة الطائفية والعرقية التى أشعالها . العراق فى هذا الصدد خير مدرسة لأخذ الدروس لتجنب الوقوع فى طوفان الفتن ، خاصة إذا علمنا كيف تعمل "هندسة الفتنة" وهوية العاملين على إشعالها. وكما قالوا قديما (العاقل من إتعظ بغيره) وربما كان من الممكن إقامة تعاون أفغانى عراقى لإطفاء نيران الفتن الطائفية وتجنيب بلاد المسلمين نيرانها.

ـ العراق هام من ناحية أنه مفترق طريق برية هامة بالنسبة لأفغانستان فمنها يمكن الوصول إلى شبه جزيرة العرب برياً ، أوالوصول إلى تركيا ومنها إلى القارة الأوروبية أو الوصول منها إلى الشام الكبير ثم مصر والمغرب العربى.

أفغانستان وبلاد الشام الكبير (سوريا- لبنان – الأردن – فلسطين).

بلاد الشام الكبير هى عملياً المنفذ البحرى لأفغانستان مع شاطئ البحر الأبيض المتوسط . ومن الشام كانت بداية العديد من مسالك طريق الحرير القديم الذى ربط أوروبا تجاريا مع الصين والهند فى القرون الغابرة.

طبيعة بلاد الشام تشبه كثيراً طبيعة أفغانستان ، حيث الجبال والأراضى الخصبة والأنهار وعيون الماء ، وحتى الصحارى القاسية ، وطبيعه السكان من حيث الذكاء والنشاط والكرم والشجاعة.

الشام وأفغانستان بلاد باركها الخالق بنعم كبيرة ، وإبتلاءات شديدة لا يتحملها إلا شعب من معدن خاص مجبول على القوة البسالة.

أفاق التجارة مفتوحة مع الشام الكبير والتبادل التعليمى والثقافى والبعثات الدراسية وبعثات التدريب لبناء قوة عسكرية أفغانية رفيعة المستوى ، والتعاون الزراعى والصناعى والنفطى . ومجالات هامة للطرفين مثل العمل المشترك لدعم قضية فلسطين بكافة السبل المتاحة ، إلى أن تتحرر كامل أراضى فلسطين وعودة شعبها بكرامة إلى دياره.

أفغانستان البحرية :

يمكن دراسة مشروع إنشاء أسطول تجارى أفغانى/ عربى مشترك للعمل فى خدمة التبادل التجارى الأفغانى مع دول حوض البحر الأبيض والأحمر والخليج العربى والمحيط الهندى ، خاصة عند الحصول

على إتفاقات بحرية مع باكستان على المحيط الهندى فى كراتشى وبحر عمان فى ميناء جوادر. ومع ايران فى ميناء، مثل تشابهار، أو بندرعباس وموانئ أخرى . ومع دول الشام فى موانئها على البحر الأبيض، ثم مع مصر ودول المغرب العربى . ومن الأفضل بالطبع لو كان الإتفاق مشتركاً بين كل تلك الدول لإنشاء إسطول بحرى مشترك يخدم المصالح الإقتصادية والنقل البحرى للدول المشاركة.

ـ قد يبدو غريباً أن تكون تمتلك دول داخلية مثل أفغانستان لا تطل على البحر أسطولا بحريا ، لكن فى المستقبل مع توثيق العلاقات الأفغانية مع كل تلك الدول ، والسعى الأفغانى لربطها جميعهاً فى إطار تعاونى واحد فى مجال الإقتصاد أولاً ثم مجالات أخرى مستقبلاً سيجعل هذا التفكير منطقياً بل وضرورياً .

ـ يمكن القول أن أفغانستان ستكون فى حاجة إلى إتفاق مماثل مع تركمانستان من أجل نشاط أفغانى على بحر قزوين للإتصال التجارى وتبادل أفواج الزائرين بين أفغانستان وجميع الدول المحيطة بذلك البحر الداخلى ، وجميعها دول هامة ولها وزنها المستقبلى الكبير. مشروع "أفغانستان البحرية" يمكن أن يحقق أختراقا أسرع على البحر الأبيض المتوسط نظرا لعدم وجود مشكلات حدودية أو تاريخية بين أفغانستان والدول العربية المطلة عليه (وتركيا مؤجلة ، ولكن غير مستبعدة تماما ، من المشروع البحرى . لأن تركيا عضو فى حلف الناتو وشاركت بقوة عسكرية كبيرة فى عملية غزو أفغانستان . ومطلوب منها تقديم إعتذار للشعب الأفغانى ، ودفع تعويضات حرب أسوة بباقى دول الحلف) .

*****

أفغانستان ومصر : تاريخ عريق وآفاق غير محدودة .

كان السيد جمال الدين الأفغانى أكبر رابط ثقافى بين أفغانستان ومصر فى العصر الحديث . وهو عالم دين ثائر ، وأحد السادة من سلالة آل البيت الكرام .وكان وثيق الصلة برجالات الثورة العرابية ، ومفكراً دينياً وثورياً من الطراز الأول . أضج "السيد" مضاجع الإحتلال الإنجليزى فى أفغانستان والهند وإيران ومصر ، حتى إستقر به المقام فى تركيا إلى أن أغتيل هناك خوفاً من آرائه الإصلاحية الشجاعة . ومن تلامذته محمد عبدة الذى يعتبر من أعمدة التنوير الدينى فى مصر.

أفغانستان بين الأزهر والإخوان المسلمين :

الأزهر يعتبر رابطاً قوياً بين البلدين وفيه تلقى العلم الكثير من شيوخ أفغانستان وعلمائها ، بعضهم لعب دوراً كبيراً فى تاريخ ذلك البلد . وقد تأثرت الأجيال المتأخرة من الشباب الأفغان بمدارس الإسلام الحركى (الإسلام السياسى لاحقا) خاصة مدرسة الإخوان المسلمين الذين إنتمى إليهم فى الخمسينات صبغة الله مجددى ، ثم جيل لاحق منهم برهان الدين ربانى الذى ترأس حزب الجمعية الإسلامية ، وكان رأساً للإخوان فى أفغانستان قبل أن يقوى مركز سياف /الذى درس أيضا فى الأزهر / وحصوله على تأييد السعودية والتنظيم الدولى الإخوان المسلمين ، فأصبح رئيساً لحركة الأخوان المسلمين إلى جانب كونه رئيس "الإتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان"، وهو التنظيم الأشهر خارج أفغانستان . وجلب الدين حكمتيار (رئيس حزب إسلامى أفغانستان) وهو الآخر من ضمن قيادات حركة الإخوان المسلمين ، والأقرب إلى فرعها الباكستانى المسمى "الجماعة الإسلامية الباكستانية" . ورغم إنتماء الثلاثى "حكمتيار/

رباني/ سياف" إلى تنظيم الإخوان المسلمين فى ذات الوقت ، إلا أن الخلافات بينهم كانت شديدة ، وكان سياف وبرهان الدين فى صدارة المعارضين لوصول حركة طالبان الى السلطة ، ونظموا ضدها بالتحالف مع مجموعات عرقية ومذهبية حرباً داخلية شديدة ، دعمتها إيران وروسيا وطاجيكستان وأوزبكستان وحظيت بدعم الإتحاد الأوروبى والولايات المتحدة.

ـ حركة الإخوان المسلمين ، سواء فى مرحلة الإحتلال السوفييتى أو الإحتلال الأمريكى ، أظهرت الكثير من إنحراف الأداء السياسى والتنظيمى ، ما تسبب فى مشاكل عظمى للشعب الأفغانى . ولو أن ذلك التراث الإخوانى قد تمت دراسته بحياد وموضوعية لكانت مصر تحديداً وباقى الدول العربية التى ينشط بها الإخوان قد تجنبت الكثير جداً من المشاكل ، بل لوفر الإخوان على أنفسهم وعلى شعوبهم الكثير من الويلات . ولتمكنت تلك الحركة من أداء دور أفضل فى خدمة دينها وأوطانها . ولكن أهمال دراسه التجربة الأفغانية فى مراحلها الثلاث {الإحتلال السوفيتى- الإمارة الإسلامية - الإحتلال الأمريكى } قد أضاع دروساً قيمة كان الجهل بها سبباً فى الكثير جداً من الإخفاقات والمآسى التى حاقت بعدد من الدول العربية فى أحداث الربيع العربى .

ـ شارك الآلاف من الشباب المصريين فى جهاد الأفغان ضد السوفييت ، وقد دعم الأزهر الشريف وحركة الإخوان المسلمين ذلك التوجه بكل قوة . كما أرسل الرئيس المصرى أنور السادات أول شحنة سلاح علنية إلى مجاهدى أفغانستان ، ودعى عدد من قادتهم لزيارة مصر ، وكان من بينهم مجددى ويونس خالص وآخرين. لذا فمن أول خطوات إنشاء علاقات أفغانية مصرية على أسس صحيحة ، ينبغى دراسة ذلك الترابط المشترك بين أحداث أفغانستان وجذورها المتشعبة داخل مصر .

آفغانستان والأزهر الشريف :

ستكون أفغانستان بحاجة إلى دعم الأزهر فى برامج تعليم اللغة العربية والفقه الحنفى والفلسفة الإسلامية والعقائد ، بإنتداب مدرسين وعلماء من الأزهر، مع إرسال وفود من الشباب الأفغانى لتلقى العلم فى الأزهر الشريف . مع تحديد برامج تعاون بحثى وعلمى بين المعاهد الدينية فى أفغانستان وبين الأزهر. ويمكن طلب المعونة العلمية والفنية من الأزهر الشريف لبناء جامعة بلخ الدينية.

التعاون الصناعى مع مصر :

الحديد والصلب : فى مصر مجالات صناعية مميزة تحتاج إليها أفغانستان مثل صناعة الحديد والصلب حيث تمتلك أفغانستان واحداً من أكبر مخزونات خام الحديد فى العالم ، وعليها أن تدخل مجال صناعة الحديد والصلب، والخبرات المصرية فى ذلك المجال ستكون موضع تقدير، سواء فى إستخراج الخام أو تصنيعه أوتسويقه عالمياً.

صناعة التعدين : فى أفغانستان ثروات تعدينية تقدر بأكثر من ترليونى دولار ، وفى أنواع لا تحصى من المعادن والأحجار الكريمة والذهب والماس ، إضافة على كميات ضخمة من الحديد والنحاس والفحم الحجرى . وهى مجالات واسعة جدا ، ولابد أن تكون المساهمة المصرية مطلوبة للغاية .

النفط والغاز: ثروات النفط والغاز فى أفغانستان كبيرة جداً ، حتى أن النفط يكتشف داخل البيوت عند حفر آبار المياه ، والبعض يكررونه ويسوقونه فى المدن القريبة ، وذلك فى بعض مناطق شمال أفغانستان.

إستغلال الثروة النفطية ستكون على رأس أولويات الدولة الأفغانية والتعاون الخارجى ضرورى ، طبقاً لمعايير سياسة العلاقات الخارجية . ومصر من الدول التى يمكن التعاون معها فى ذلك المجال على مستوى الشركات الخاصة أو المستوى الحكومى .

ولا ينبغى أن تتوقف الإستفادة من النفط والغاز على الإستخراج والبيع ، بل يجب دخول مجال الصناعات البتروكيماوية والأسمدة ، ويمكن الإستفادة فى ذلك من الخبرات والإمكانات المصرية على مستوى الشركات والخبراء الأداريين والصناعيين والعلماء.

التعاون النووى : فى أفغانستان مناجم هائلة من خام اليورانيوم ، ويمكن التعاون مع مصر فى مجال إستخراجه وتنقيتة وتصديره دوليا . والطلاب الأفغان يمكن أن يتلقوا العلوم النووية فى مصر ويتلقوا التدريب فى منشئاتها .

مصر ومشروعات إعمار أفغانستان : أكبر مجالات العمل فى أفغانستان ستكون مجالات الإعمار بكافة أشكالها وأهمها أعادة بناء القرى المدمرة ، والتوسع فى بناء أحياء جديدة فى عدد من المدن مع مرعاة طابع المعمار الأفغانى وإستخدام خامات البيئة المحلية ، وعدم تغيير الطبع الثقافى أو تغريب المعمار الأفغانى . لهذا فإن مدرسة المهندس "حسن فتحى" ستكون أفضل مدارس الهندسة المعمارية وأنسبها لأفغانستان.

الإتصالات السلكية واللاسلكية : التوسع فى شبكات الإتصال وصيانتها والحفاظ على خصوصياتها ستكون من الأهمية بمكان ، وللشركات المصرية خبرة يمكن الإستفادة منها فى ذلك المجال.

مجال تصنيع الدواء : سيكون تصنيع الدواء على رأس الأولويات فى أفغانسان، للإستفادة من محصول الأفيون وتحويله إلى منتجات طبية نافعة فى إطار مشروع إقليمى ضخم . ولمصر خبرة عريقة فى تصنيع الدواء ، ويمكنها دعم الجانب الأفغانى فى مجال الخبرة العلمية والهندسية .

الزراعة والرى والكهرباء : مصر من أعرق الدول فى مجال الخبرات الزراعية وتصميم شبكات الرى . ومن الطبيعى أن تكون مسألة توفير الغذاء وتحقيق فائض فى إنتاجه ستكون على رأس أولويات الدولة الأفغانية ، والإستفادة من الخبرات المصرية ستكون موضع إهتمام فى مجالات توليد الكهرباء من السدود وتمديد شبكات الكهرباء .

المجال العسكرى : لمصر خبرات عسكرية عريقه يمكن الإستفادة منها فى مجالات تدريب القوات ، والتصنيع العسكرى ، وشراء المعدات العسكرية المصنعة محلياً فى مصر. فالكثير من الأسلحة والذخائر التى إستخدمها الأفغان فى جهادهم ضد الإحتلال السوفيتى كانت من صناعة مصرية ، خاصة صواريخ صقرالتى يمكن الإتفاق على تصنيعها فى أفغانستان وتطوير أجيال متقدمة منها، ومن منظومة الدفاع الجوى المحمول على الكتف.

أهمية مصر بالنسبة لأفغانستان :

نلاحظ فى الفقرة السابقة الإهتمام بمصر من منظور المصالح الأفغانية ، وذلك لأسباب منها:

ـ أهمية موقع مصر الإستراتيجى وأهميتها الجيوسياسية فى المنطقة والعالم.

ـ كون مصر بوابة أساسية لدخول العالم العربى.

ـ كون الأزهر الشريف بوابة أساسية لدخول العالم الإسلامى ومجالات المعرفة الإسلامية.

أفغانستان والسودان :

السودان هى البوابة العربية والإسلامية فى عمق القارة الأفريقية . ويتذكر الشعب الأفغانى بكل ثناء مساهمة الأطباء السودانيين وهيئة الأغاثية السودانية فى تقديم الخدمات المخلصة للمهاجرن الأفغان خلال فترة الغزو السوفيتى. وتلك الخبرات الإغاثية ومشروعات الإعمار والخدمات المتعلقة بها ستكون خبرات مطلوبة لأفغانسان فى (صباح اليوم التالى) وأيضاً الخبرات الطبية فى الأمراض السارية وطب المناطق الحارة ومكافحة الملاريا وأمراض الأطفال. كما أن خبرات السودان الزراعية والتعليمية ، هى من أهم مطالب أفغانستان.

أفغانستان والمغرب العربى :

آلاف من شباب دول المغرب العربى تطوعوا دفاعاً عن أفغانستان خلال فترة الغزو السوفيتى . ودول تلك المنطقة قدمت الإسناد السياسى والمعنوى لأفغانستان فى ذلك الوقت. وتشكل تلك الدول الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض الذى تتقاسمه أوروبا مع العرب ، ولتلك الدول خبرة فى مجالات النفط والغاز وهى مجالات ممكنة للتعاون المشترك مع أفغانستان.

أفغانستان واليمن :

لأهل اليمن سمعة طيبة جداً فى أفغانستان ، فاليمن كنت فى صدارة الدول التى ساهم شبابها إلى الجهاد ضد السوفييت فى أفغانستان ، وأظهروا قدراً كبيراً من البطولة الثبات ، وكذلك الإنضباط والهدؤ بعيداً عن مهاترات كثيرة سادت أوساط العرب فى ذلك الوقت.

وموقع اليمن فريد فى أهميتة بالنسبة لجزيرة العرب وأطلالته على أفريقيا وتحكمه فى مضيق باب المندب على البحر الأحمر. لذا فإن اليمن ستكون على مفصل الإتصالات البحرية لأفغانستان مع شرق وجنوب أفريقا ، ومع مصر وشمال أفريقيا وأوروبا . فمضيق باب المندب وقناة السويس لهما أهمية كبيرة جداً للإتصالات البحرية لأفغانستان ، التى رغم أنها دولة داخلية لا شوطئ لها ، لكن نظرتها الإستراتيجية يجب أن تتخطى ذلك الإنحصار البرى ، وتبحث عن نشاط بحرى وإتصال واسع مع العالم عبر البحار.

بمعنى آخر: أن تكون أفغانستان دولة برية ذات إستراتيجية بحرية.

أفغانستان والعمق الأسيوى:

أفغانستان واقعة فى مركز آسيا ، وهى محرك ذلك الإنقلاب الحضارى الذى رفع آسيا إلى القمة بعد هزيمة الحضارة الغربية فى أفغانستان عبر حملات عسكرية متوالية دمرها الأفغان ، بدءا من حملات بريطانيا العظمى مروراً بالحرب السوفيتية وصولاً إلى الإحتلال الأمريكى/ الأوروبى المندحر.

العمق الأسيوى هو الحقيقة الجغرافية والضرورة الجيوسياسية لأفغانستان . أما دورها المميز فهو السعى لإيجاد ترابط إسلامى يشمل كل مسلمى آسيا بما فيهم الأقليات ، حتى يصبح الإسلام وجهاً حضارياً وإنسانياً لآسيا، زعيمة العالم الجديدة ، وبهذا سيصبح الإسلام هو وجه أسيا المشرق وأهم سماتها الدينية والثقافية والحضارية.

ـ من الطبيعى أن تبدأ أفغانستان بجوارها الإسلامى فى أسيا الوسطى وإيران وباكستان ثم التواصل شرقاً صوب مسلمى الصين ، وجنوبا مع مسلمى الهند ودولة بنجلادش المسلمة ، وغرباً صوب إيران وجزيرة العرب لإستكمال ذلك الترابط ، مع البدء فى جميع الإتجاهات فى نفس الوقت ، طبقاً لأمكانات الحركة المتاحة أمامها ، والإستفادة من كل فرص التفاهم والإلتقاء فى المصالح والأهداف.

أندونيسيا وماليزيا :

أهم الكتل الإسلامية فى الشرق الأسيوى هما أندونسيا وماليزيا، وهما من الدول التى حققت تقدماً إقتصادياً ملموساً فى مجالات عديدة ، نخص منها المجال التعليمى فى ماليزيا، وخبراتها المالية والإقتصادية والتقدم الصناعى والزراعى . وخبرات أندونيسيا فى مجال النفط والغابات والصناعات القائمة حولها . والمهم فى ذلك هو التقارب الثقافى بين افغانستان وهذين البلدين وذلك يسهل تبادل البعثات التعليمية . ولا ننسى أن الكثير من شباب هذه البلاد قد تطوعوا للجهاد إلى جانب إخوانهم الأفغان ضد العدوان السوفيتى .

أفغانستان واليابان :

اليابان هى أكثر دول آسيا والعالم تطوراً فى مجال التكنولوجيا العالية والصناعة ، وكذلك فى أساليب الإدارة الحديثة . واليابان يمكن أن تصبح بوابة لدخول أفغانستان إلى تلك المجالات . والبعثات التعليمة إلى ذلك البلد ستكون ذات أهمية كبيرة للإسراع فى تطوير أفغانستان ونهضتها الحديثة . ومجالات التعاون والإقتصادى مع اليابان كبيراً جداً فى كافة مجالات الإقتصاد والصناعة والتعليم الجامعى.
ومن ناحية سياسية هناك ملاحظات :

الأولى : هى أن اليابان إنسحبت مبكراً من المؤامرة الدولية التى رتبتها الولايات المتحدة للعدوان على أفغانستان ، وكان الدور المنوط باليابان غير ذات قيمة وقد تركته مبكراً.

والثانية: هى أن لليابان مشكلات حدودية وبحرية مع إثنين من أكبر جيران أفغانستان وهما روسيا والصين . ترتفع حدة تلك المشكلات أحياناً رغم ثقة الجميع أن الطرق الدبلوماسية والتفاوض هى السبيل الوحيد لحلها، وأن أى توتر فى قارة أسيا إنما يصب فى مصلحة أعداء شعوبها الذين تسلطوا طويلاً عليها .

وحان الوقت لأن تتحد أسيا لإستبعاد كافة أشكال التدخل الأجنبى . وحان الوقت لأن تثق اليابان فى جيرانها الأسيويين كى تتمكن من التخلص من الإحتلال الأمريكى لقواعد عسكرية فوق أراضيها . فلا بد أن تتحد آسيا للتخلص من آثار الحروب الإستعمارية ، وحل مشاكل الحدود المتنازع عليها عبر التحكيم الأسيوى والمنظمات الأسيوية بعيدا عن المنظمات التى أقامها المنتصرون فى الحرب العالمية من أجل حراسة مستعمراتهم المالية . فقد تغير العالم وإنقشعت تلك الغمة المظلمة من سمائه .

ـ وأحد مبادئ السياسة الخارجية لأفغانستان (فى صباح اليوم التالى) هى رفض سياسة المحاور، وفتح أبواب التعاون والصداقة مع جميع الدول والشعوب لمصلحة الجميع بشكل عادل ومتكافئ.

وإعتماد أسوب الحوار وإستخدام مبدأ الوساطات المحايدة لحل المشكلات بين دول القارة ، خاصة الدول المتجاورة التى ورثت مشاكل حدودية .

ـ على هذا فإن علاقات أفغانية فعالة مع اليابان ستكون فى مصلحة جميع الأطراف ، ووسيلة لإيجاد ساحة تعاون وإلتقاء من أجل النهوض بالمنطقة وحل مشكلاتها الإقتصادية والأمنية.

من الطبيعى أن أفغانستان فى (صباح اليوم التالى) سوف تتبع سياسة فعالة ومستقلة ونابعة من مصالح شعبها ، ولكن مع الأخذ فى الإعتبار مصالح الجيران وعدم الإضرار بهم ، وذلك مبدأ إسلامى أصيل (لا ضرر ولا ضرار) و نتوقع من الآخرين إتباع نفس المبدأ عند التعامل معها.

ـ المجال الهام فى التعاون مع اليابان هو مجال الطاقة المتجددة النظيفة المتولدة من الرياح والطاقة الشمسية ، والدخول فى مجال إنتاج تلك الطاقة والحصول على الإمكانات البحثية والعلمية إلى جانب المنتجات التكنولوجية. اى إمتلاك علوم التكنولوجيا وليس فقط إستيراد أدواتها .

أفغانستان ودول أمريكا الجنوبية والوسطى :

تلك الدول تسعى بشكل متسارع لإحتلال موقع متقدم فى المكانة لدولية.كما أنها منطقة عانت كثيراً جداً من عدوان الحضارة الأوروبية ، خاصة جارها المتغطرس الولايات المتحدة وشركاتها الإحتكارية . لقد تسببت الولايات المتحدة فى مآسى بلا حصر لسكان تلك المنطقة واعتبرتها حديقتها الخلفية طبقا لمبدا الرئيس الأمريكى "مونرو" ، أى مستعمرة حصرية تستنزف مواردها وتفسد حياتها السياسية بفرض أنظمة طاغية مستبدة وعميلة للولايات المتحدة ، فجعلتها منطقة مليئة (بكرزايات) أى حكام عملاء على نمط (كرزاى) الذى أحضرته القوات الأمريكية المحتلة كى يحكم أفغانستان بإسم الولايات المتحدة.

الأنظمة السياسة فى تلك المنطقة متنوعة جداً، وتحظى بدرجات متفاوته من الإستقلال أو التبعية . فى أقصى اليسار تقف كوبا بنظام أقرب إلى الشيوعية ، لذا تعانى من حصار أمريكى مزمن ، ومحاولات متعددة لقلب نظام الحكم ، وصولاً إلى كولومبيا الرازحة تحت الإحتلال الأمريكى فى صورة قوة محدودة ومساعدات عسكرية (كما يخططون لأفغانستان بعد الإنسحاب) ولأسباب شبيهة بأفغانستان أيضاً حيث أن كولومبيا هى أكبر مزرعة للكوكايين فى العالم ، لذا تصر الولايات المتحدة على الإبقاء عليها فى القبضة

الفولاذية لإستخبارتها وقواتها الخاصة. وهناك دولا مثل فنزويلا التى حصلت على درجة كبيرة من الإستقلالية وتسعى لبناء قوة ذاتية ، وهى من أقدم وأكبر مستخرجى النفط فى القارة والعالم.

وهناك البرازيل التى تتمتع بإستقرار سياسى وتقدم اقتصادى يرشحها لدرجة متقدمة فى النظام الدولى القادم.

فى دول أمريكا الجنوبية والوسطى ملايين المهاجرين من المسلمين والعرب والأسيويين من دول عديدة ، وجميعهم يوفر أرضية ثقافية وإقتصادية للتعاون مع تلك البلدان ، ذلك التعاون الذى يمكن أن يشمل كل المجالات تقريباً فى الصناعة والزراعة والتعليم والتجارة ، وبشكل خاص مجالات إستخرج النفط والصناعات البتروكيماوية والأسمدة والغابات .

كما أن هناك إمكانية للتعاون فى مجالات تصنيع السلاح وشراء منتجات عسكرية من دول مثل البرازيل ، ومجالات التعاون الزراعي وتربية الماشية والصناعات المتعلقة بها ، والغابات مع دول مثل الأرجنتين والبرازيل.

أفغانستان وكوبا :

كوبا مازالت متمسكة بنظام ماركسى ، وشعبها عموماً يدين بالمسيحية الكاثوليكية . ولكن الإستفادة ممكنة من التجربة الكوبية الغنية بالدروس المفيدة فى نواحى تهم أفغانستان كثيراً . والتى تصلح كمجال تعاون مع ذلك البلد الصغير (الذى يحوى على سجن جونتانامو الشهير داخل القاعدة الأمريكية التى مازالت تابعة بالإيجار طويل الأمد للولايات المتحدة – وجود ذلك المعتقل النازى وما مورس بداخلة ضد معتقلين أبرياء يعتبر إهانة لكوبا نفسها كما هو إهانة لجيع شعوب العالم والمسلمين منهم بشكل ، وتلك قصة أخرى).
<u>ونواحى الإستفادة والتشابه مع التجربة الكوبية وأفغانستان</u> :

1- إصرار الشعب الكوبى على الإستقلال السياسى عن الولايات المتحدى التى تبعد شواطئها عن كوبا بمسافة قليلة . تلك الإستقلالية من أسباب إختيار الماركسية المناهضة للأيدلوجية الرأسمالية التى تدين بها الولايات المتحدة. وعداء أمريكا هو لمبدأ الإستقلال وليس للماركسية ، وإلا فإن الصين الماركسية هى أكبر شريك تجارى للولايات المتحدة.

الإصرار على الإستقلال كلف كوبا حصاراً إقتصادياً شديداً إستمر لأكثر من نصف قرن . والتشابه مع أفغانستان هنا هو الإصرار على الإستقلال السياسى ، والحرية فى إختيار الأيدلوجية أوالعقيدة ، والدفاع عن ذلك الخيار الذى هو الإسلام فى الحالة الأفغانية.

2- صمود كوبا فى وجه الحصار الإقتصادى طويل المدى ، ومحاولة واحدة للغزو العسكرى المباشر فى عملية خليج الخنازيرالشهيرة ، ومحاولات كثيرة للإنقلاب العسكرى والتخريب والإغتيالات والهجوم الاعلامى والحرب النفسية ، وإستغلال المهاجرين وتجنيدهم ضد بلدهم الأصلى (كوبا)، وتأليب الجيران ضد كوبا وعقد التحالفات معهم ضدها.

كل ذلك يصف حرفيا – تقريباً – الحالة الأفغانية مع خلاف فى التفاصيل . وإن كان التدخل العسكرى فى أفغلستان قد أخذ شكلاً بشعاً ، كما أن الخطوات العدوانية من جيران أفغانستان أخذت أبعاداً أخطر بفعل الضغوط والإغراءات الأمريكية.

ـ وفى كوبا نجد تأصيلاً عسكرياً للترابط الشديد بين القوات النظامية والقوات الشعبية خلال عملية الدفاع الشامل عن بلدهم (جزيرتهم) وتلك خبرة من المفيد بحثها لأن الدفاع عن أفغانستان سيقوم على نفس المبدأ ، مع خصوصيات هامة للوضع القبلى ودورة فى الدفاع ، كما جاء هذا البحث.

3ـ الشعب الفقير فى كوبا تحمل أعباء العدوان الأمريكى عسكرياً وإقتصادياً مع إرهاق نفسى وتهديد ، ولكنه ظل يقدم أكبر دعم ممكن لإنجاح بلاده فى معركة البناء والدفاع عن نظامه الوطنى المستقل .

4ـ توجه النظام الحاكم إلى تقويه قاعدته الشعبية التى يعتمد عليها فى صموده وإستمراريته . فقدم نظام خدمات إجتماعية مشهود لها بالكفاءة ، خاصة فى مجالات التعليم والصحة . وفتح آفاق العمل فى الزراعة والتجارة والصناعات المختلفة . وقد ساعدهم الحصار فى تعزيز سياسة الإعتماد على النفس والإستغناء عن الخارج قدر المستطاع.

لاشك أن المساعدات السوفتيه لعبت دوراً كبيراً فى تقوية صمود كوبا ، لكن شعبها فى جميع المراحل تحمل العبء الأكبر فى مسئوليات الدفاع عن إستقلال وأمن بلاده.

ـ فى كوبا واحد من أفضل أنظمة الخدمة الطبية فى العالم ، وربما الوحيد من حيث جعل الطب فى خدمة الفقراء وليس مجرد تجارة لإستثمار آلام الناس وسلب ما يمتلكون من أموال قليلة .

إختصاراً فإن أهم الدروس التى يمكن تعلمها من كوبا هو آليات العمل والبناء وتقديم أفضل الخدمات للشعب تحت ظروف الحصار والتهديد الدائم . وتلك الحالة التى يمكن أن تتعرض لها أفغانستان لفترة من الزمن . ومن الأرجح أنها لن تطول كثيراً لأن الموقع الجيوستراتيجى لأفغانستان لا يتيح لأحد أن يحاصرها طويلاً، خاصة فى ظل التغيرات الدولية الكبيرة فى أعقاب هزيمة أمريكا وحلف الناتو فى أفغانستان.

أمريكا الجنوبية وأفريقيا واللقاء العظيم فى آسيا :

كوبا هى الأخرى فى حاجة التى توثيق علاقاتها بقارة آسيا الجديدة من أجل الحفاظ على إستقلالها وحريتها. وفى الحقيقة فإن تكاتف أمريكا الجنوبية والوسطى مع آسيا الجديدة ، الناهضة و المستقرة والمحررة هو مطلب إنسانى هام ، خاصة إذا أضيفت إليهما قارة أفريقيا التى تتكالب عليها الدول الصناعية الكبرى والشركات متعددة الجنسيات ، لإدخال أفريقيا فى طور جديد من الإستعمار والإستعباد ، وبهذا الشكل قد تصبح أفريقيا هى المصدر الأساسى لتهديد الأمن فى العالم .

فأفريقيا حتى اليوم لم تبتعد كثيراً عن وضعيتها كمجموعة مستعمرات لأوروبا ، وهو الوضع الذى تغير من ناحية الشكل ، ولكن حقيقتة مستمرة منذ أن وطأت أقدام الرجل الأبيض أراضى القارة السوداء.

إن العلاج يجب أن يبدأ بتشكيل منظمة دولية جديدة ، مقرها آسيا للتخلص من ميراث السيطرة الأوروبية بأشكالها القديمة والحديثة . كما يجب بناء نظام إقتصادى جديد للعالم يراعى مصالح الشعوب وليس الشركات الإحتكارية ، وبناء نظام علاقات دولية جديدة أشبه "بحلف الفضول" فى التاريخ العربى حيث تتعاهد فيه الشعوب على نصرة الحق وإنصاف المظلومين وردع الظالمين وأن تكون الإخلاق والمبائ هى الحاكمة ، وليس توازنات القوى ، التى تجعل من العالم غابة البقاء فيها للأقوى .

*****

الفصل الثالث :

طالبان : البنيان الإجتماعى و الدولة القوية :

فى صباح اليوم التالى " سيكون أمام القيادة الإسلامية لأفغانستان مهمة عظمى لأمتها جميعاً ، بإخراجها من تلك الفتنه الكبرى ، ليس فقط بالوعظ والإرشاد ، ولكن الأهم هو تقديم النموذج العملى للتعايش والتعاون الجماعى لبناء حياة إنسانية كريمة للجميع وفقاً لأحكام الدين ، بلا تزيد متنطع وبلا تسيب مهين . ليس فقط جميع المسلمين فى حاجة إلى هذا النموذج العملى القيادى ولكن الإنسانية جميعاً فى حاجة إليه ، لأن الذى أفلس ليس هو فقط النموذج السياسى الإقتصادى الغربى بل أيضا الجوهر المادى البشع لتلك الحضارة ، الذى دمر روح الإنسان وسفك دماء البشر بلا حساب ، وملأ الأرض جوراً وظلماً وظلاماً ويأساً ، لكل إنسان سوى حفنة من المرابين وأصحاب الكنوز غير القابلة للحصر.

الإنسان هو محور رسالة الإسلام . وبناء الإنسان روحاً وسلوكاً ، وتلبية إحتياجاته المادية بأفضل قدر مستطاع بدون مبالغة فى الإستهلاك الذى يحول الإنسان إلى ماكينة إستهلاكية ، ويجعله عبدا للسلع الذى ينتجها أصحاب الصناعات ، فيضطر إلى بيع حياته لهم ، فيكدح ليل نهار كى يدفع لهم ثمن شراء مالا يلزمه فى حقيقة الأمر.

والأسرة هى أساس المجتمع ، والمهمة الأساسية للدولة هى حماية الأسرة وأمنها الإقتصادى وإتاحة الفرصة لها كى تساهم فى بناء مجتمع متكافل متحاب متعاون مطمئن . ذلك المجتمع الذى الذى يحيا فى ظلال القيم الإسلامية السامية هو أساس الدولة القوية المنيعة ، التى تفتح القلوب والعقول لهذا الدين ، فيدخله الناس أفواجاً عن قناعة بالنموذج وليس بالكلام الأجوف أو بإجتياح الجيوش و رسائل المتفجرات .

فالإيمان يأتى بالقدوة والنموذج وليس بالسيف والإرهاب ، لأن القناعات لا تأتى بالقهر ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه فى الدين. ومعظم الشعوب التى دخلت الإسلام ، وغالبتها العظمى من حيث العدد ومساحة الأرض التى تسكنها ، دخلت الإسلام عن طريق الدعاة الذين كانوا فقهاء أو متصوفة أو تجارا . والحروب التى حدثت كانت ضد إمبراطوريات القهر والظلم . لذا أيدت الشعوب دخول جيوش المسلمين وعاونتهم ضد ظالميها عندما رأت عدلهم ورحمتهم . وكما كان الأمر ينبغى أن يعود .

يعود الإسلام إلى البشرية بنفس الطريقه الأولى ، بالدعوة والحكمة والقدوة الصالحة ونشر العدالة والمساواة بين البشر بإختلاف ألوانهم وألسنتهم ، ورعاية الضعفاء والفقراء وسد إحتياجاتهم . فاحتياجات

الفقير هى نفسها إحتياجات الغنى بلا فرق . تلك هى عقائد الإسلام وليست المفخخات وتفجير المساجد ودور العبادة والأسواق ، والتى حولها البعض إلى "عقيدة صحيحة" ، ولا ندرى لأى دين . فالإسلام لا يعرف " الحروب البحتة " ، أى الحرب لمجرد الحرب ، وإعتبارها الطريق الأقصر لدخول الجنة ، ولو على حساب الإسلام وخراب ديار المسلمين ، أو ضياع البشرية جمعاء بضياع الإسلام فى متاهات العنف الأعمى أو المسالك السياسية الشائنة ، كتلك التى يشهدها "الربيع العربى" الذى ذبلت فيه الحركات الإسلامية بتحول الدعاة إلى سماسرة والدعوة الى (لعبة سياسية) والدين إلى تجارة تستجلب السلطة والمال ، وأسموا ذلك "الإسلام السياسى" ، أى شئ هجين فلا هو إسلام ولا هو سياسة .

ـ نجاح أفغانستان فى تجاربها الجهادية ضد الحضارة الغربيبة التى زحفت عليها من الشمال والجنوب وإنتصاراتها المتوالية على أعتى الإمبراطوريات الإستعمارية من بريطانيين إلى سوفييت إلى أمريكيين، جعلها مؤهلة للقيام بدور حضارى إسلامى يتناسب مع إنجازاتها التى لا تماثلها أى إنجازات لأى شعب آخر. والفرصه الآن متاحة أكثر من أى وقت مضى لإستكمال التجربة الإسلامية الحضارية فى أفغانستان. فقد إكتملت الخبرة الأفغانية ، وتأكد الجميع من فعالية الدواء الأفغانى لكل طاغية مغرور، أو معتد طائش. أو كما تقول الحكمة المأثورة التى تصف الوضع فى أفغانستان منذ ظهور حركة طالبان (إن طالبان يذهب الله بهم وساوس الشيطان). فقد جعل الله فى أيديهم علاج لكل طاغية ، فى الداخل أو فى الخارج ، يتصور أنه قد يجد مجالاً لإنحرافه فى أفغانستان . لقد إنتهى ذلك الوهم مع النهاية المأساوية للعدوان الأمريكى الأوروبى على هذا البلد الصغير الفقير الذى توهموا أنه لقمة سائغة . ولسان حال الشعب الأفغانى وقيادته من حركة طالبان يقول "وإن عدتم عدنا" فالشعب الأفغانى لا يخاف عقباها ، وعلى كل طاغية أن يحذر وساوس الشيطان ، و إلا فهناك طالبان .

ـ مهمة طالبان فى صباح اليوم التالى هى بناء المجتمع المسلم الذى يبنى ويحافظ ويدعم دولته الإسلامية . فالفرد يأتى أولاً ، والمجتمع ما هو إلا مجموعات من الأفراد يشكلون عائلات وقبائل وعليهم تقوم الدولة . فلا ينبغى عكس الآية كما هو شائع فى عالم اليوم . أى الهوس بالدولة ، وبناء الدولة المجنونة المنفلتة ، المعتمدة على قوة أجهزتها الأمنية فى إرعاب الشعب وأجهزتها الإعلامية لتضليله . الدولة ، حيث أمن الدولة يعنى أهدار أمن الفرد وكرامته ، وقوه الدولة على حساب الفرد الضعيف المسحوق والمهمش . وتوسع مثل تلك الدولة القوية يعنى تصدير ظلم الدولة القوية إلى الضعفاء خارج الحدود ، وسرقة أراضيهم وثرواتهم ، أو حتى إبادتهم إذا لزم الأمر من أجل الحصول على أرض بدون سكان ، ليعيش عليها سكان ضاق بهم الحال فى بلاد الدولة المتجبرة . وتاريخ دول أوروبا القوية خير شاهد ، فقد أبادوا شعوب ثلاث قارات ، هم الأمريكيتين واستراليا ، ثم خطفوا ملايين من شباب القارة الرابعة /أفريقيا / ليعملوا عبيداً فى الأرض المنهوبة التى أسموها أرض الحرية !! ، وبالقوة المتجمعة من كل ذلك إستعمروا القارة الخامسة ، التى هى آسيا ، كل هذا ليعيش أقل من نصف القارة الأوروبية فى رفاهية وحضارة تباهى بها الأمم .

وتاريخ المستعمرات حول العالم يشهد بالبطش الدموى للإستعماريين ، وهو الأمر المستمر حتى الآن ولكن بأساليب إقتصادية وسياسية وثقافية أشد هولا وتنكيلاً ، تجعل من العبودية حالة عالمية لكل سكان الأرض ، وبشكل لا فكاك منه إلا بالسقوط الشامل لحضارة "الأمن" بمعنى البطش الرهيب والخداع الشيطانى الممزوجان فى إطار "حضارى !!" يفتك بالبشرية .

ـ سيكون من مهام "طالبان" بناء أجهزة الدولة على أسس جديدة ، فى مقدمتها الولاء للدين وإحترام أعراف المجتمع . وتقديم أصحاب الكفاءات بصرف النظر عن العرقية أو المذهبية ، وتبنى أحدث أساليب الإدارة . معتبرين أن القوة الحقيقية للدولة هى قوة الفرد والمجتمع ، لذا يكون الغاية من بناء أجهزة الدولة هو بناء الفرد مادياً ومعنوياً والحفاظ على صحته وأمنه ، فلا يعقل التضحية بكل ذلك من أجل قوة الدولة أو "هيبتها" فذلك كله هراء يغطى الظلم والإستبداد وسرقة حقوق الضعفاء. فالذى يحفظ أمن وسلامة الدولة هو المجتمع القوى والفرد الصحيح الحر الكريم .

لقد سقط الإتحاد السوفيتى الذى يمتلك أقوى أجهزة الدولة خاصة الإستخبارات والجيش ، وخسر معركتة مع الشعب الأفغانى الذى يتمتع بالقوة العقائدية والترابط الإجتماعى ، وقيم الشرف والحرية التى يلا يمكن التفريط فيها ، وهذا هو سر إنتصاره على جميع أعدائه من أصحاب "الدول القوية" ، فهزم الإمبراطورية الأمريكية وحلف الناتو ، وجميعهم يمتلك أجهزة دولة قوية وحديثه ، ولكن مجتمعاتهم مفككة أخلاقياً وأسرياً منتقصة الحرية ويخضع أفرادها لرقابة دائمة ودقيقة من الدولة . وليس لتلك الشعوب أى مصالح مباشرة تربطها بتلك الحروب الظالمة التى تخوضها بلادهم فى بلاد بعيدة . فهى حروب لصالح الشركات الإحتكارية ومافيا الجريمة المنظمة التى تشارك فيها الدولة والبنوك العظمى . وعلى رأس ذلك تأتى مافيا المخدرات والبنوك التى تستفيد منها بل وتمولها وتخطط لها . تلك الإحتكارات "البنكية الصناعية العسكرية الإستخبارية" هى إمبراطوريات حقيقية تعمل فى الخفاء وتدير سياسات العالم بإقتصاده وحروبه.

ـ إذن بناء الدولة الأفغانية الجديدة قائم على إعتبار أن الفرد القوى هو المدخل إلى الدولة القوية ، وليس العكس فالدولة القوية غالباً ، وفى معظم العصور ، تسببت فى إضعاف الأفراد معنوياً وإقتصادياً وأخلاقياً وسلوكياً. وزماننا خير شاهد ، فقد توحشت الدولة وتضخم بناء " الأمن" الذى هو غلاف أو تبرير لتوحش الدولة وتغولها على الفرد وحقوقه الأساسية فى الحرية والكلام ، وحقوقه الإقتصادية فى موارد بلاده الطبيعية والرعاية الإجتماعية والسلامة الشخصية والكرامة وإحترام الخصوصية.

ـ الولايات المتحدة إمبراطورية منفلته من الأخلاق ، فليس للأخلاق دور فى سياسة الدولة داخلياً أو خارجياً ، وبرامج التجسس العملاقة التى تكشف عنها النقاب فى السنوات الأخيرة توضح أن الدولة أصبحت عملاقاً رهيباً لا خلق له ويستبيح التجسس على جميع البشر ، داخل حدودة وخارجها ، ويتجسس على أصدقائه قبل أعدائه . ويتجسس على الزعماء وقادة الدول ، ويتجسس على الشركات كما يتجسس على الجيوش . ويرفع شعار "الأمن القومى" ليستبيح حرية وكرامة المواطنين ومعارضيه وضحاياه حول العالم. لهذا كانت الولايات المتحدة ، ذلك المسخ المنفلت من الأخلاق ، فى حاجة إلى إفتعال أسطورة "الإرهاب" فتغذيتها وتروجها حول العالم ، حتى تغطى وحشيتها وإفلاسها الأخلاقى وعداءها للإنسان .

تحديات أمام الدور الأقليمى والدولى لأفغانستان : الإرهاب و المخدرات :

قامت الولايات المتحدة بتلغيم الأجواء الدولية والإقليمية ضد أفغانستان بإتهامين أساسين هما : الإرهاب والمخدرات . وكان ذلك ضمن الإعداد لغزو أفغانستان وإحتلالها لثلاثة عشرعاما ، فكانت أطول حرب فى تاريخ الولايات المتحدة الملئ بالحروب والغزوات المطلية بأكاذيب براقة لتخفى الأطماع البشعة.

ومع تواجد تحالف دولى تقوده الولايات المتحدة بتعداد جنود أكثر من 150 الف جندى أجنبى وحوالى ضعفهم من جنود وشرطة محليين وميليشيا ، تضاعف إنتاج المخدرات فى أفغانستان لحوالى أربعين ضعفا. رغم أن زراعة الخشخاش كانت قد توقفت فى أفغانستان بشهادة الأمم المتحدة فى آخر عام لحكم حركة طالبان . ومعلوم أن الإحتلال الأمريكى يقف وراء ذلك التوسع الجنونى فى زراعة الخشخاش وإنتاج الهيروين فى قواعده العسكرية والجوية ، ونقل تلك المواد جواً وبراً وبحراً الى أرجاء العالم.

- الإدعاء بشن الحرب على الإرهاب كان السبب المباشر للعدوان الأمريكى على أفغانستان ، فى حين كان الإستيلاء على حقول الأفيون وتصنيع الهيروين هو السبب الحقيقى . واستنتج كثيرون أن حرب أمريكا على أفغانستان كانت واحدة فى حروب النفط التى حفل بها تاريخ إحتكارات النفط الأمريكية التى اشعلت حروباً ورتبت إنقلابات فى أجل إحتكار تلك السعلة الإستراتيجية التى بها يدور إقتصاد العالم.

بعد إثنى عشر عاماً من الحرب الضروس والإستخدام الموسع لأحدث أدوات القتل والإغتيال والإرهاب العسكرى بطائرات منزوعة الطيار ، إتضح أن الهدف الأساسى لم يكن مكافحة الإرهاب ، بل أهداف آخرى تتعلق بمحاربة عصابات المخدرات المنافسة ، وإستئصال مدارس التعليم الدينى على جانبى الحدود، وإستهداف جماعات بعينها ، هى إرهابية بالتعريف الأمريكى لأنها قاومت الإحتلال الأمريكى لأفغانستان ، ولا ترى فى امريكا "حليفاً إستراتيجياً" فتربصت بالتواجد العسكرى لأمريكا والناتو فى مناطق القبائل البشتونية شمال باكستان (وهى فى الأساس قبائل أفغانية قبل أن يقتطعها الإستعمار البريطانى من موطنها ويضمها إلى الهند) .

حرب الإرهاب :

وكما ألقت أمريكا بثقلها كله وراء التوسع فى إنتاج الأفيون وإنتاج الهيروين . فعلت نفس الشئ مع الإرهاب بالتعاون مع المختصين فى باكستان ومع المافيات الحدودية . فحولت المناطق القبلية إلى أكبر حاضنة فى العالم " للأكاديميات" السلفية الجهادية التى إستقطبت الشباب من أنحاء العالم خاصة من أوروبا وأمريكا إضافة إلى السعودية ودول عربية أخرى .

وقد أوجدت العديد من أجهزة الخدمة السرية العربية والغربية وكلاء لها فى ذلك "البازار السرى" للإرهاب الدولى!! . لم يكن ذلك النشاط سرياً إلا بمعايير الجماعات السلفية الجهادية ، التى ترى فى حفلات السمر على أجهزة الهاتف النقال أو الرسائل الأليكترونية والنقاشات المباشرة على الإنترنت وسائل كافية جداً لحفظ الأسرار.

ظل ذلك النشاط مستغرباً لعدة السنوات إلى أن وقعت أحداث "الربيع العربى" وظهرت بصمات ذلك "البازار" القبلى على شاشة أسهم بورصة الربيع العربى . فظهرت البندقية السلفية الجهادية وسط معمعة "مليونات الجماهير" فأحدثت إضطرابا وفوضى وخلط أوراق . فتراجعت مسيرة الحريات وتصدعت الأوطان، وقويت شوكة الفاشية الوطنية بثوبها الديموقراطى ، وإستحكم فى أرض الوطن أزلام الإمبريالية البنكية وشركاتها متعددة الجنسيات . والمواطن العربى بات أبعد من أى وقت مضى عن نيل حقوقه السياسية أو إستعادة ثروات بلاده . ولا أحد عاد يذكر الإستقلال الوطنى أوالكرامة الوطنية أو حتى الكرامة

الشخصية . وهيستيريا الوطنية المزيفة والحرب على الإرهاب ترافقت مع سياسة قص الألسنة ودفن المعارضين . وفى سوريا حدثت مأساة تحتاج إلى مجلدات لسردها وإستخلاص العبر منها، ولكنها لم تخرج عن إطار المساهمة السلفية الجبلية ، التى كانت تطبيقاً أحدث وأوسع نطاقاً لتجربة إستخدام العرب فى أفغانستان فى سياسة (بغال التحميل) ، التى تؤدى للأعداء أكثر المهام خطورة فتدفع دمها بسخاء ، لتستقبل رصاصات الرحمة فى الرأس بعد الفراغ من المهمة.

ـ إن ما تطلق عليه الولايات المتحدة إسم " الإرهاب الإسلامى" ما هو إلا أحد أكثر أدواتها فعالية فى تطبيق إستراتيجيتها الدولية ، وبناء مكانتها الجيوسياسية فى العالم ، أما " الضربات ضد الإرهاب" إذا ما كانت حقيقية ، فإنما تصيب مجموعات مارقة ضلت السبيل فخرجت عن السيطرة الأمريكية . أو مجموعات لم يعد لها فائدة فى المستجدات الجديدة .

تماماً كما فى مجال "مكافحة المخدرات" حيث تصيب الضربات إما الأفراد المغامرين أو المجموعات المتطفلة التى جاءت فى خارج السياق ولم تنصاع لقوانين اللعبة.

ـ وبعد الحادى عشر من سبتمبر ، فإن جميع عمليات "الإرهاب الإسلامى" داخل الولايات المتحدة كانت واضحة الإفتعال ، وكانت بصمات أجهزة مكافحة الإرهاب أوضح من بصمات الإرهابين المفترضين أو المتورطين.

الإرهاب و المخدرات : حروب متنوعة وإستراتيجية واحدة

الولايات المتحدة دولة إستعمارية نشأت على الحروب وسرقه ثروات وأراضى الشعوب بل وإبادتها ، كما فعلت بالسكان الأصلين (الهنود الحمر) وزنوج أفريقيا الذين خطفتهم من بلادهم وإستعبدتهم فى الأراضى التى فرغتها من سكانها الأصليين بالإبادة الجماعية والحروب غير المتكافئة، ثم تتهم قتلاها بالوحشية والهمجية!!!. وضحاياها فى تلك المجازر الأولى تعد بعشرات بل مئات الملايين ما بين قتيل ومختطف مستعبد.

فهل تغيرت طريقة الدولة الأمريكية منذ ذلك اليوم ؟؟ بالطبع لا... ويكفى للبرهنة نظرة واحدة على حروبها المباشرة ضد المسلمين فى أفغانستان والعراق ، وحروبها غير المباشرة فى فلسطين والدول العربية ذات الربيع البائس خاصة سوريا ومصر وليبيا وتونس واليمن والصومال.

يهمنا كثيراً ملاحظتان سيكون لهما أثر كبير عند تحديد المسار القادم لأفغانستان بعد التحرير:

1- إن الولايات المتحدة جمعت خلفها أكبرعدد من الحلفاء فى غزوها لأفغانستان ثم العراق ، وإستخدمت سبل الترهيب والترغيب الذى أخذ صورة توزيع جزء من غنائم الحرب كجوائز على المشاركين على قدر قيمة المشاركة أو أهمية المشارك.

والمبدأ هو أن الحقراء يقدمون للأسياد خدمات أكبر فى مقابل جوائز أقل أو حتى مجاناً. والمشاركة الميدانية بالقوات – فى حالة حرب أفغانستان – بلغت حوالى 48 دولة أرسلت قوات رمزية أو فعلية.

بعض الجوائز كانت من ثروات أفغانستان ، فأخذت الصين مناجم وعقود إنشاءات.

وبعض الجوائز كان على حساب منح أراضى لبعض الجيران مثل باكستان التى تخطت خط "ديورند". أو منح منطقة نفوذ سياسى وثقافى كما حصلت إيران فى كل من أفغانستان والعراق . أومنح دور أقليمى ومكانه دولية وأمل فى الإلتحاق بأوروبا كما حصلت تركياً من مشاركتها فى أفغانستان . والبعض حصل على مجرد وعد بالإبقاء عليه فى السلطة داخل بلاده ، والبعض كان يكفيه مجرد إبتسامة رضا من موظف أمريكى.. والبعض كان أمله حفنة صغيرة من الدولارات .. وهكذا.

2- عسكرة الإعلام ، هى ظاهرة بارزة وخطيرة فى حروب العراق وأفغانستان وما سبقهما من تمهيد، وما تلا الغزو من عمليات إخضاع بالقوة ومحاولة كسر إرادة المقاومة المسلحة لدى الشعبين ، ثم بناء ثقافة جديدة تتعايش مع الإحتلال وتتبنى مشروعة حتى بدون تواجد عسكرى مباشر، أى بعد رحيل جيش الإحتلال . بمعنى بقاء الإحتلال الثقافى بعد رحيل الإحتلال العسكرى، ويتبقى فى البلد روح الإنهزام والتبعية وجيش من المرتزقة الإعلاميين والمثقفين المزودين بأدوات الإتصال الجماهيرى من صحف ومجلات ومحطات إذاعة وتلفزيون ومواقع إنترنت فتلك هى أدوات الإحتلال الثقافى ، وإحتلال العقول والقلوب، والتى تختصر كثيراً دور الجيوش وتقلل عدد الحروب، وتخفض كثيراً فى النفقات وتجعل سادة العالم/ فى البنوك والشركات العملاقة / متعددة الشرور والجنسيات/ أكثر أمناً وأكثر ثروة وأكثر سعادة ، فيكفيهم توزيع فتات من ملايين الدولارات ، وبعض النياشين والجوائز الدولية ، وكيل المديح والتمجيد لكل ما هو زائف ومخادع، وذليل ساجد لرغباتهم الشيطانية.

- من المعلوم أن الجسم الرئيسى للإعلام الأمريكى الدولى تابع بالملكية المباشرة، أو عبر وسيط ، للرأسمالية المتوحشة التى تتحكم فى العالم بثرواتها البنكية وشركاتها المتسلطة على الكوكب . فهذا الإعلام ليس محايداً ولا موضوعياً ، إلا بمقدار محدود للغاية ، بدافع الخداع وإيهام الضحايا بأن لهم نصير فى ذلك الإعلام الذى لا يقل تدميراً عن أى سلاح فتاك تمتلكه جيوش أمريكا وحلف الناتو . يمكن إعتبار الإعلام الأمريكى سلاح دمار شامل للعقول والقلوب والضمائر. وأكبر مساند للحروب الهمجية التى تخوضها جيوش سادة الأرض . فهو الذى يخلط المفاهيم والأوراق، ويصور الباطل على أنه حق، ويصور الحق على أنه إرهاب وتخلف وخروج عن معايير حضارتهم . وهو سلاح فتاك لهدم جميع ثقافات الأمم والإبقاء على ثقافة وحيدة هى ثقافتة الشركات متعددة الجنسية فقط ، فتمحى بذلك كافة إشكال المقاومة لسيطرتهم وعدوانهم.

كيف يتعاطى العالم مع مشكلة الإرهاب ؟؟ .

لم يتفق العالم على تعريف موحد لمصطلح "الإرهاب" ، ومع ذلك إتفقت جميع الدول على إستخدامه ، كل منها على هواه ، لأنه يحقق مصالح سياسية ضد المنافسين والخصوم ، والإقليات مهضومة الحقوق أو حركات المقاومة فى المستعمرات.
ويمكن القول أنه بعد حادث 11 سبتمر ، أصبح موضوع " الحرب على الإرهاب" ، ميثاقا دوليا ، ومادة سياسية ، ونشاط إستخبارى وعسكرى لا يمكن لحكومة أن تستغنى عنه (إذا كانت هى التى تحدد مفهوم

الإرهاب) وليس هناك حكومة إلا وتشتكى منه (إذا كانت مسيرة ذلك "الإرهاب" تتعارض مع مصالحها الخاصة أو الوطنية أو يعرقل تحالفاتها الدولية).

وحديثاً أصبح "الإرهاب" برنامجا للحكومات التى لا برنامج لها ، أى حققت فشلاً فى كافة برامجها السياسية والإقتصادية ، فلم يتبق أمامها غير قمع شعوبها تحت حجة توفير الأمن ومكافحة الإرهاب . وبتلك الذريعه تكمم الأفواه ، ويحل بناء السجون مكان بناء المصانع والمدارس والمستشفيات . وتحل "الخدمات الأمنية" محل الخدمات الإجتماعية ، ومكافحة الإرهاب ديناً وعقيدة تسبق بل وتطرد عقائد وأديان السماء . فلا صوت يعلو فوق صوت الأمن . وعندما يتحول الوطن الى مقبرة من الصمت والموات فيسمون ذك إستقرارا وأمناً وسلاماً. وبذلك يصبح المواطن الصالح هوالمواطن الميت ، سواء كان يسير فى الشوارع المرهقة أو يرقد فى مقابر الراحة والسكينة .

تلك هى ثقافة الأمن ومكافحة الإرهاب التى عممتها الولايات المتحدة على دول العالم بعد احداث 11 سبتمو، ورحبت بها دول العالم فكانت نظاماً دولياً، جوهره الفاشية المغلفة بالديمقراطية المبهرجة .

ـ أمريكا وحدت أجهزتها المسلحة فى جهاز قمعى كبير – من إتحاد الجيش والإستخبارات – وخاضت بهما معاً الحرب فى أفغانستان – فصار الجيش والأمن يد واحدة – تبطش بالشعب الأفغانى ثم العراق، فأصبحت تلك سمة النظام العالمى كله أى توحيد بنادق الجيش والإستخبارات ، وقيادة الشعوب قيادة فاشية تحت مسمى " مكافحة الأرهاب" . ولفرض الأمن والإستقرار فى العالم جثمت فوق صدره الرأسمالية فى ثوبها الليبرالى الجديد (النيو- ليبرالى). فتقلص دور الدولة فى العالم كله لتكون أولى مهماتها توفير الأمن والإستقرار لعملية الإستنزاف العظمى للثروات على مستوى العالم ، كوحدة واحدة وقرية صغيرة ، وداخل كل وطن على حده بواسطة نخبته الإقتصادية التافهة .

ـ بدون ذلك " الإرهاب" المتوهم والمصنوع فى ماكينات قهر" جيوش وإستخبارات" أنفقت عليها وبنتها الليبرالية الجديدة وشركاتها العظمى وبنوكها العملاقة ، لا يمكن أن تتشكل تلك الصيغة الشيطانية للحكم والسيطرة المعادية للبشر ، بل وتحظى بقبول الشعوب، فتتخلى طواعية عن حرياتها ولقمة عيشها لوقف ذلك الخطر المفتعل والمروج بأيدى الولايات المتحدة ، المدعومة بتحالف دولى واسع النطاق ، لأنه يحقق منافع جمة لعدد لا يحصى من الحكومات الفاشلة التى لا يحميها إلا القمع والإستبداد ، الذى هو فى نفس الوقت ضروى لحماية مصالح الأقلية التى تحكم العالم من كبار مرابى البنوك وأصحاب الشركات السرطانية العظمى . ترويج "الإرهاب" هو إحتياج أساسى لهذه القلة ، وتقوية الجيوش وأجهزة الإسخبارات عالمياً وإقليميا هو جدار حماية أساسى لمصالحها.

الإرهاب بضاعة ، والأمن سلعة .

الولايات المتحدة هى الإستثمار الأكبر، والأداة الأعظم فى يد الأقلية التى تحكم العالم . وبها تسيطرعلى العالم ، إلى جانب أدوات أخرى فى الإعلام والتشريع الدولى لشرعنة نظام دولى ضد العالم لمصلحة أفراد محدودى العدد بحيث يمكن كتابة أسمائهم فى ورقة واحدة . وفى الظاهر هناك عدة دول قوية تطلق على نفسها ـ بعد وقوفها خلف الولايات المتحد ـ بأنهم "الشرعية" و"المجتمع الدولى" . أى أنهم العالم وباقى

الأمم هوام لا وزن لها ولا حقوق إلا ما يتم إعتماده لهم من الصفوة الدولية ، والقوة المطلقة للأقلية الشرسة.

ـ وكما هو واضح ، فإنه بدون خطر متوهم يهدد العالم ، فلا يمكن أن تسير الخطى الشيطانية بثبات . فتم إختيار الهدف بعناية فائقة فكان هو "الإرهاب" ولمزيد من الدقة والتخصيص جعلوا التسمية هى "الإرهاب الإسلامى" . والمسألة هنا تتعلق بالأيدلوجية كما بالإقتصاد . فالأقلية الحاكمة تحركها ايدلوجية وعقيدة ، رغم أنها تقاوم وتحظر ذلك على باقى المخلوقات ، فتجعلهم يكتفون بالاقتصاد وتحديداً المال أى الذهب ، حتى يصبح كل شئ له ثمن وقابل للبيع والشراء بالعملة الصعبة . فتباع الأوطان والأشخاص والمبادئ والأديان . ثم تحول الثمن إلى قيمة فى حد ذاته ، فقيمة كل شئ يحددها ثمنه ، وأى شئ لا يمكن تحويله أو تقييمه بالدولار أو الذهب يعنى أن هذا الشئ لا قيمه له . فحياة "الإنسان" تصبح لا قيمة لها، إذا كانت لشخص معدم .ويكون القتل مبرراً وحتى الإبادة الجماعية تكون مبررة ضد شعوب لا تمارس دوراً فى إنتاج المال ، أى لا تشارك بنشاط فى دوره الإقتصاد الدولى بيعاً وشراء ، إنتاجاً وإستهلاكاً.

فلا عجب فيما نراه من أن الدين تحول إلى سلعة ، حتى من جانب كثير من القائمين عليه من جماعات وعلماء وأحزاب وحركات إصلاحية . لقد طرحوا الدين فى "بازار السياسة" وإنخرطوا به فى "اللعبة السياسية" فيما أسموه بالإسلام السياسى ، الذى هو صرف سلعة قيمتها فقط فى السعر الذى تباع به.

وتلك قضية وتحدى أعظم يواجه المسلمين بشكل خاص . كما يواجه جميع القيم التى يعتنقها الإنسان .

إذاً الإرهاب بشكل عام و"الإرهاب الإسلامى" بشكل خاص ، هو ضرورة حيوية للنظام الدولى بمعناه العميق أى مصالح القلة المالية التى تتحكم فى العالم ومن ثم ضرورة للإستراتيجية الكونية للولايات المتحدة.

لهذا فإن رعايته والحفاظ عليه مادياً أى إبقائه موجوداً وجاهزاً للحركة ـ فى أى وقت وإلى أى إتجاه - و الحفاظ على نوعيته، وإبقائها نقية بلا شوائب قد تحرف مسار العمل الجهادى فى إتجاه مضاد للمصالح الأمريكية ، فيتخذ مساراً شرعياً صحيحاً لخدمة مصالح المسلمين ، طبقاً لشروط دينهم . إذا لا بد من إيجاد "منهج شرعى" منحرف يضمن سلامة التوجه الإستراتيجى لحركة الجهاد ، أو "الإرهاب الإسلامى" بحيث يبقى مطابقا لبوصلة المصالح الأمريكية أى نظام الأقلية المالية الدولية.

- تنقية الحقل الجهادي من الحشائش الضارة ، هو ما تفعله الولايات المتحدة من خلال عمليات الإعتقال والقتل ، بواسطة أجهزتها أو أجهزة الحلفاء والأصدقاء والأتباع التافهون ، وأخيرا بالطائرات منزوعة الطيار. وذلك حتى ينضبط العمل الجهادى طبقا للرؤية الأمريكة. كذلك فإن عمليات التخلص من النوعيات الضارة ـ أو الكميات الزائدة عن الحاجة ـ هى عمليات تنقية مستمرة ، يطلقون عليها " محاربة الإرهاب" وهى فى الحقيقة عمليات ضبط وسيطرة على سلاح إستراتجى ، يحتاج إلى رعاية وصيانة مستمرة لضمان فعاليته فى المعارك ، وتلافى أضرار سؤ الإستخدام . وإيجاد مجالات عمل جديدة وتجهيز معسكرات تدريب فى بيئات مناسبة وتسريب العناصر وتجهيزها معنوياً و"فقهياً" ومالياً مع طرق إتصال ودعاية

وخطوط تحرك محمية وآمنة كما يحدث أمام أعين العالم الأن فى سوريا وليبيا ومصر ومنطقة وزيرستان القبلية فى باكستان.

وبداية من حرب أفغانستان ضد السوفييت لم تنشط حركة "جهادية" فى أى منطقة لا تتوافق مع المصالح الأمريكية ، من أفغانستان إلى الشيشان والبوسنة. أما من حاول الخروج عن السياق فقد وقع فى الشرك الأمريكى، بفعل قلة الخبرة وضعف القدرات السياسية والأمنية . كما حدث مثلاً فى أفغانستان فى حرب القاعدة ضد الولايات المتحدة وهى الحرب التى خدمت أمريكا وأوجدت لها ذريعة لحروب كبيرة كانت تحتاج إليها ولا تجد إليها سبيلاً ، خاصة فى إحتلال أفغانستان ومن بعدها العراق.

بعد كل ذلك عرضت الولايات المتحدة نفسها كشرطى أول للعالم فيما أسمته "الحرب على الإرهاب" ، فتدخلت فى كل مكان وفرضت أجندتها الدولية على الجميع ، وأتقن بوش الإبن مسرحية" الرجل المجنون" التى إخترعتها بلاده لإرعاب العالم . فرفع راية الحرب الصليبية وشعار "من ليس معنا فهو ضدنا" ، فدخلت الدول فى حلف الشيطان أفواجاً خلف أفواج . والأمريكى صانع الإرهاب تحول إلى أكبر متصد له ، ولحسن الحظ أننا نعيش فى عالم لا تختفى الأسرار فيه طويلا .

لقد دفع مئات الألوف أرواحهم ، وإنساحت جيوش أمريكا وحلف الناتو فى أفغانستان ، ثم دمرت العراق، وبشرنا بوش بأن الحرب الصليبية ضد الإرهاب الإسلامى سوف تطال أكثر من ستين بلداً حول العالم.

وبدلاً من أن تتحد شعوب العالم لمواجهة خطر الوحوش المالية التى نزحت ثروات العالم فى خزائنها ، أصبح شعار مكافحة الإرهاب هو عنوان السياسة الدولية مجتعة وسياسية كل دولة منفردة ، بأوامر من الوحوش المالية نفسها المتسلحة بالجبروت العسكرى الأمريكى والأوروبى.

الديمقراطية الأمريكية جنحت بإضطراد صوب الفاشية ذات التغليف الديموقراطى الناعم ، وبالمثل باقى المتحضرين فى أوروبا، ناهيك عن الإستبداد الفج والمتخلف فى العالم الثالث .
- الحرب على الإرهاب كان لها مفعول السحر فى عالمنا العربى، حيث قدمت للحكام والمثقفين المنتفعين عدواً بديلاً وسهلاً ينبغى محاربته "بالتعاون الإستراتيجيى" مع العدو القديم والصديق بل والحليف الحالى: "إسرائيل" . وهو أمر كان من الجنون تصوره قبل ذلك بسنوات قليلة . والمسلمون فى أنحاء العالم صاروا زائدة بشرية ضارة ، من الأفضل إستئصالها عندما تسنح الفرصة ، ولكن ينبغى دوماً تسكينها وتهدئتها بإجراءات إستئنائية لكبح نزعة الشر المتأصلة فيها بفعل "دينها الإرهابى".

ـ هنا تبرز نقطة غاية فى الأهمية وهى أن المادة البشرية "للإرهاب الإسلامى" لم تكن كافية لإستمرار تلك الحملة الأمريكية الصليبية بوتيرة تلبى الطموح الكونى للوحوش المالية وحلفائهم من المحافظين الجدد والمسيحيين الصهاينة فى الولايات المتحدة.

ضعف المادة الأساسية المكونه للإرهاب الإسلامى كان مشكلة خطيرة تهدد إستمرارية البرامج وقوته ، والحل كان أن تقوم الولايات المتحدة بأجهزتها الخاصة والأجهزة المعنية لدى حلفائها وأتباعها برعاية تلك المادة الإرهابية وتنميتها وتنقيتها بالقدر الضرورى لإستمرار اللعبة الدولية.

قد يبدو ذلك غريباً ، ولكن الأغرب منه هو مساهمة قطاعات هامة من العمل الإسلامى نفسه فى تلك المهزلة . ولم يحدث ذلك فى وقت متأخر بل حدث قبل أحداث سبتمبر 2001 بأعوام ليست بالقليلة.

ويمكن القول بأنها عملية متدرجة بدأت بنهاية الحرب العالمية الثانية ، بالتعاون الحميم "الإسلامى الأمريكى" وإدماج المشروع الإسلامى كأحد مفردات الإستراتيجية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية. وهذا هو المعنى الحقيقى لإصطلاح " الإسلام الأمريكى" .

نتكلم هنا عن الجزء الحركى الأساسى من "الإسلام السياسى" حسب الإصطلاح سئ السمعة، كما نتكلم أيضاً عن جامعات ومعاهد الإسلام الحكومى فى الدول العربية بشكل خاص . كما يشمل الحديث الحركات الدعوية الكبرى المرتبطة بحكومات تابعة للولايات المتحدة.

ذلك الطيف المتسع فى الحركة الإسلامية والعمل الإسلامى ، إنخرط بدرجة أو بأخرى وبفعالية متفاوته بين قطاع وآخر فى نهر واحد يصب فى محيط الإستراتيجية الأمريكية فى المنطقة العربية والإسلامية، بل فى العالم كله.

- أحداث الربيع العربى كشفت تلك الحقيقة بشكل مأساوى حين ظهر العمل الأسلامى بكافة أطيافه فى موقف سلبى من حركة الشعوب الغاضبة ، ثم تحوله إلى موقف إنتهازى للقفز فوق الموجة ، ثم المضى قدماً فى عملية (إعادة تغليف) النظام السابق بأغلفة إسلامية براقة وشعارات ظهر إما خواؤها من المعنى أو إستخدامها بعكس الهدف منها . وفى الأخير وقف ضد مصالح الشعب العربى بالتحالف الكامل مع الإستراتيجية الأمريكية/ الإسرائيلية فى المنطقة . فسمحوا لأنفسهم بأن يصبحوا أدوات فعاله فى فتنة الفوضى الخلاقة ، المصممة لتدمير المنطقة العربية وتقسيمها ، وإغراقها فى الفوضى والدماء لمصلحة إسرائيل وسيادتها المطلقة والآمنة للعالم العربى كله من المحيط إلى الخليج.

ولما كانت الفتنه الطائفية هى أحد المكونات الأساسية للفوضى الخلاقة ، فإن العالم الإسلامى كله أصبح مرشحاً لحرب (سنية شيعية) تهيأ لها التيار الإسلامى بكل الحماس المنفلت من أى قيود شرعية أو عقلية أو حتى أخلاقية.

الفتنه الدينية هى مكون جوهرى للفوضى الخلاقة ، لتصبح المنطقة العربية ميداناً للجنون الدموى الذى يعصف بمكوناتها الإجتماعية والتاريخية . وبقدر ما تضعف الدول العربية بالفتنة الدينية بقدر ما تصبح فلسفة إسرائيل فى بناء دولتها الدينية اليهودية أكثر معقولية وتحضراً . وذلك هو المطلوب ، إضافة الى تلاحم العالم المسيحى مع إسرائيل فى مواجهة عرب متهوسون دينياً ودمويون بشكل لا يمكن قبوله.

أفغانستان ومشكلة "الإرهاب الإسلامى!!"

تكن الولايات المتحدة عداءاً مريراً لحركة طالبان لثلاث أسباب رئيسية لها الكثير من التفاصيل ، وهى :

1- تعطيل مشروع خطوط الطاقة القادمة من جمهوريات آسيا الوسطى، ورفض الرشوه المقدمة لحركة طالبان ، وإصرار الحركة على شروط مساوية لما هو معمول به فى الدول الآخرى.

2- إيقاف زراعة الأفيون ، الأمر التى أصاب البنوك الأمريكية والإسرائيلية بطعنة هائلة ، وهى البنوك العاملة فى مجال غسيل أموال المخدرات وإستقبال إيداعات مافيا المخدرات الدولية ، وهى مافيات أمريكية وإسرائلية فى كتلتها العظمى .
3- تطبيق الشريعة الإسلامية فى شئون الدولة بشكل غير مسبوق فى أى محاولة لدولة إسلامية فى العصر الحديث ، والنتائج الإيجابية الفورية لذلك فى ضبط الأمن وإتحاد القوى الإجتماعية .

فحركت أمريكا دول العالم والجوار الأفغانى لإشعال فتنة كان فى طليعتها "تحالف الشمال" الذى قاوم الإمارة الإسلامية بقوة السلاح .

هذه الكراهية دفعت الولايات المتحدة إلى "شيطنة" حركة طالبان وإعتبارها المؤسس لجميع المشاكل داخل وخارج أفغانستان . تلا ذلك التشويه فرض عزلة دولية ، ثم تأسيس تحالفات معادية ، وإشعال فتن داخلية ، ثم العدوان المباشر فى نهاية المطاف .

إدعت الولايات المتحدة أن حركة طالبان تقف وراء زراعة الخشخاش رغم أن تلك الزراعة موجودة فى المنطقة منذ مئات السنين ، وأن بريطانيا هى أول من أسس للزراعة الواسعة فى الهند ولتوزيع واسع النطاق فى الصين بقوة ومدفعية الأسطول البريطانى المدعوم بأساطل أمريكا وأوروبا فى حروب الأفيون الأولى والثانية .

نفس الشئ بالنسبة لتهمة الإرهاب الإسلامى أو إيواء منظمات "إرهابية" بالتصنيف الأمريكى، وتأتى القاعدة على رأس تلك القائمة بسبب إرتباطها بحادثة 11 سبتمبر 2001 ، بينما تواجدت تلك المنظمات على الأرض الأفغانية منذ الحرب السوفيتية ثم حكومات مجددى ثم ربانى التى جاءتا بعده .

ـ فمرحلة الجهاد ضد السوفييت شهدت قدوم الكثير من التنظيمات الإسلامية للمشاركة فى الجهاد، كما تأسست عدة منظمات جهادية على أرض أفغانستان خلال نفس الحقبة كان أهمها تنظيم القاعدة.

ـ مرحلة حكم زعماء المنظمات الجهادية لكابول [1992-1996] شهدت قدوم منظمات إسلامية جديدة إلى أرض أفغانستان من طاجيكستان وأوزبكستان الجارتان الشماليتان لأفغانستان، ثم مجموعة من الشيشان، تلك المجموعات جاءت بتأثير إنهيار الإمبراطورية السوفيتية ورغبه تلك الشعوب فى الحصول على حريتها، أسوة بما حدث فى بلاد أوروبا الشرقية التى إنقشع عنها الظل السوفيتى القاتم. ولكن الغرب تواطأ دولياً لمنع المسلمين من الحصول على نتاج جهادهم فى أفغانستان وأسقاطهم لإمبراطورية الشر السوفيتية.

تحررت جميع أرجاء الإمبراطورية البائدة ، ماعدا المناطق الإسلامية منها ، حيث بقت النخب الشيوعية الحاكمة بعد أن نقلت البندقية من كتف الى كتف، وبدلت لون الأعلام وبقت على إستبدادها وفسادها وإضطهادها للمسلمين وتحدى حقوقهم ، ومقدساتهم . فإنفجرت الشيشان، ثم طاجيكستان وأوزبكستان، وتململ الإيجور فى الصين. كان لسان حال المسلمين يقول: وماذا عنا ؟؟ .. والجواب كان إنتم أرهابيون ودينكم إرهابى ومكانكم خارج المسيرة الدولية بل وخارج نطاق التاريخ .

لم يكن لطالبان ذنباً فى كل ذلك ، بل وجدوا أنفسهم محل طموحات لشعوب إسلامية تنتظر العون ، وليس لدى معظمها أى قيادة أو برنامج أو خطة أو رؤية لما ينبغى أن يكون عليه الحال. كان لدى طالبان ما يكفيهم ويزيد من المشاكل ، وأمامهم تحالف دولى واسع يتربص بهم ، وتمرد داخلى يرفع السلاح ويلاقى التأييد والعون الخارجى الكامل.

لم تكن حركة طالبان مسئولة عن تواجد تلك التنظيمات على الأرض الأفغانية ، وليس فى الإمكان طرد مجاهدين دفنوا العشرات من أخوانهم فى تلك الأرض . وليس فى الإمكان طرد مسلمين إستجاروا بالأفغان، ودولتهم الإسلامية، فلا شهامة الأفغان تسمح بذلك، ولا الإسلام يسمح به . وقالها الملا عمر أمير المؤمنين وبكل وضوح "لن أسلم مسلماً لكافر، ولن أترك ذلك العار يحمله إبنى من بعدى" . قال ذلك عن تسليم بن لادن إلى الولايات المتحدة، الأمر الذى توسط لأجله إتمامه رؤساء دول ووزراء وعلماء دين "مسلمون!!"

ولم تكن طالبان مسئولة عما حدث للمسلمين الذين عاشوا فى ظل الإتحاد السوفيتى ثم تآمر عليهم العالم كله بقيادة أمريكية - حتى يبقى حكم الطغيان والإستبداد وعلى أيدى نفس الحكام السابقين فوق رقاب المسلمين . هذا الظلم الدولى ، لا تسأل عنه حركه طالبان بل تسأل عنه الولايات المتحدة ونظامها الدولى الجائر. ـ ذلك الإحساس بالغبن والمهانة هو سبب رئيسى وراء الجنوح إلى القوة لإعادة الإعتبار والحصول على الحقوق . وستظل تلك مشكلة عالقة وعنصر يغذى عدم الإستقرار إلى حين العثور على مسار جديد للعلاقة بين الغرب والمسلمين بإعادة الحقوق إليهم .

قد يكون الحل هو العثور على أساليب جديدة للعمل للحصول على تلك الحقوق ، فلا يصح أن تكون القوة هى الحل الأوحد والدائم لجميع المشاكل. وأساليب التنظيمات المغلقة والتطرف الفقهى والعزلة عن المجتمعات ، وتجاهل متطلبات الشعوب الحياتية ، ثم مطالبتهم بالمثاليات ، كلها أساليب فشلت فى كل مكان إستخدمت فيه.

شهدت فترة حكم طالبان موجات من المهاجرين والمجاهدين بفعل العواصف التى أعقبت الإنهيار السوفيتى:

- الشيشان ، ولم يستقروا فى أفغانستان بل عبروها بسرعة لأن لهم سيطرة كبيرة على أراضى بلادهم. والطاجيك بقيادة حزب النهضة ، وقد تصالحوا مع حكومة بلادهم وغادروا أفغانستان مبقين على مكتبين إداريين فى كابول وهيرات لخدمة مواطنيهم العابرين ، فيما يشبه "السفارة الشعبية" لتسهيل تعاملاتهم الإدارية فى أفغانستان.

- الإيجور وكان عددهم قليلا عى أى حال، ولكنهم كانوا عقبة فى وجه أى تفاهم مع الصين .

- والكشميريون كان تواجدهم الأساسى فى باكستان التى دعمتهم وسلحتهم وسيطرت على حركتهم العسكرية والسياسية "كما فعلت سابقاً مع الأحزاب الجهادية الإفغانية فى الحقبة السوفيتية" . فتدربوا فى بعض المعسكرات الحدودية فى أفغانستان، ولكنهم لم يشاروكوا فى أى معارك بداخلها، فلم يكن ذلك ضمن برنامجهم .

- كان هناك لاجئون سياسيون من أهل السنه فى أيران ، وقد أحسنت الإمارة الإسلامية إستقبالهم كضيوف ، كما فعلت على كل من لجأ إليها، ولكنهم كانوا بعيدين عن أى عمل عسكرى، ونشاطهم السياسى والدعائى كان غير محسوس أو غير موجود.

القاعدة وحركة طالبان :

لابد أن تذكر هنا أن عدداً من التنظيمات العربية قاتلت إلى جانب حركة طالبان دفاعاً عن العاصمة كابول . أعدادهم كانت صغيرة جداً ، "فالقاعدة" أكبر التنظيمات وقتها لم يزد عددها عن 150 مقاتلاً حتى عمليات 11 سبتمبر 2001 فى أمريكا ، ولكن الدعاية العالمية المبالغ فيها حول القاعدة صورت أن دورها فى أفغانستان كان محورياً ، وهو لم يكن كذلك بالمرة.

ومع ذلك فإن تصرفات القاعدة وزعامتها كانت مخالفة لجميع طلبات الإمارة الإسلامية فيما يتعلق بنشاطها خارج أفغانستان وإستفادتها من الأرض الأفغانية . كانت طلبات الإمارة تنحصر فى توقف بن لادن عن النشاط الإعلامى الخارجى ، وألا يقوم بأى عمل عسكرى خارجى بدون إستشارة الإمارة.

ولكن الرجل لم يلتزم بأى من الطلبين ، رغم تكرار الطلب من الإمارة بكل لطف وإصرار . ولكنه لم يلتزم ، ما أدى فى النهاية إلى غزو الولايات المتحدة لأفغانستان بتأييد من الأمم المتحدة ومعظم حكومات العالم ، وتواطأ الجميع على أفغانستان . وعندما هدد جورج بوش الإبن بأن "من ليس معنا فهو ضدنا " وجد أن الجميع معه ، والبعض زايد واندفع قبله . لقد تسبب بن لادن فى نشوب الحرب الطاحنة ، ووفر للعدوان الأمريكى غطاء أدبياً وقانونياً ، رغم أن ذلك العدوان كان تحت الإعداد منذ سنوات وكان يحتاج فقط الى ذريعة ، وقد وفرها بن لادن .

حادث 11 سبتمر نفسه مطعون فى نسبته إلى بن لادن ، فالولايات المتحدة وإسرائيل تقفان خلفه لأهداف باتت معلومة . وأن دور القاعدة كان الضغط على الزناد لتنفيذ جريمة أعدتها أمريكا ووفرت لها سبل التنفيذ . وذلك ما أقر به كثير من الإختصاصيين الأمريكيين والكثير من الشهود والقرائن التى تم طمسها أو حجبها عن الشعب الأمريكى والعالم . وليس هنا مجال سرد هذا الكم الهائل من الإفادات القوية لشخصيات أمريكية ذات ثقل واعتبار ، أو تلخيص الكثير من المقالات والكتب حول تلك الخديعة الدولية الكبرى ، بل المؤامرة الكبرى على الشعب الأمريكى نفسه وعلى المسلمين جميعاً، والعالم كله .

- وجود عدد كبير نسبياً من التنظيمات الجهادية العربية والإسلامية من الجوار القريب والبعيد، ونشاطاتها الدعائية والتدريبية، ورغم أنها أقل بكثير مما يشاع ، إلا أنها ساعدت الدعاية المضادة لحكم طالبان والإمارة الإسلامية، كما أنها لم تنفع فى كثير أو قليل فى الدفاع عن أفغانستان وقت الحرب الظالمة عليها.

تلك المجموعات لم تفسح أى مجال لتكوين علاقة بين الإمارة الإسلامية و الشعوب العربية ، كون تلك التنظيمات كانت معزولة عن مجتمعاتها ولا تؤثر فى الرأى العام لديها ، بل كانت غالباً موضع شك وخوف من نشاطاتها المسلحة داخل بلادها. لذا إتخذت حكومات تلك البلاد مواقف غاية التشدد من أفغانستان والإمارة الإسلامية ، وشوهت سمعتها داخل بلادها وبين شعوبها . بالطبع كانت تلبي بذلك مطالب أمريكا

أو تسترضيها، ولكن نشاطات الجماعات الجهادية التى لجأت إلى أفغانستان، كانت سببا واقعياً ومبرراً قوياً لذلك العداء.

فشل التنظيمات الجهادية :

هل فشل مبدأ الجهاد ؟؟ أم أن التنظيمات الجهادية هى التى فشلت؟؟ .

فى الواقع إن الذى الذى فشل هو عمليات العزل والإنكماش المتوالية للأفكار العظمى فى الدين على أيدى التنظيمات الجهادية والإسلامية بشكل عام .

ـ لأن الدين جاء للشعوب التى تسكن الأرض ولم يتنزل على تنظيمات مغلقة . فعزل الدين فى "تنظيم" منغلق هو أمر مخالف لطبيعة الدين المنفتح على جميع البشر . و سرية الدعوة ـ هو مبدأ أخذ طابعا محدودا فى ظروف بداية الدعوة الإسلامية . ولم يكن إنعزالا أوتعاليا ، بل عمل المسلمون على الخروج منها بأسرع ما يمكن ومهما كان الثمن . وقد دفعوه وكان غاليا ، على شكل تضحيات لأجل الخروج من العزلة وليس من أجل الدخول فيها .

ـ فصل الجهاد عن إجمالى الدين ، أضر بالترابط بين الجهاد كأحد فرائض الدين وبين الدين نفسه كبنيان متماسك غير قابل للتجزئة. وبشكل متدرج أصبح القتال إختزالا للدين ، فحتى ظن البعض أن القتال هوالدين كله أو جوهره الأساسى (أنا أقاتل إذا أنا مسلم !!). والخطأ الفادح هنا ، هو ذلك الفصل التعسفى بين مكونات الدين غير القابلة للفصل ، لأن لكل منها وظيفتها ، بحيث تؤدى جميعها إلى قيام بنيان واحد هو الدين . فلا يمكن تصور تجزئة الدين وتفرقته إلى مكونات شتى يتخصص فى كل منها جماعة أو تنظيم يعادى غيره وينابذهم عليه ، أوحتى يقاتلهم لأجلها ، "وكل حزب بما لديهم فرحون". فهناك تنظيم للصلاة وآخر للحج وثالث للصوم ورابع للجهاد وخامس ..إلخ . كل ذلك من أساسيات الدين ولكن ليس أيا منها هو كامل الدين . بل أن فصلها ، أو حتى المبالغة فى دورها وكأنها كافية للعمل منفردة ، يحدث خللا جسيما بمفهوم الدين وربما يهدمه من الأساس . وذلك لا ينفى أن للجهاد ميزة خاصة عندما تستدعيه ضرورة شرعية ، لأن كافة العبادات الأخرى تتكيف طبقا لمتطلباته ويأخذ الجهاد ومتطلباته مكانة متقدمة على الفرائض الأخرى ، لكنها لاتزول أو تلغى .

ـ كما أن الجهاد عبادة عامة للأمة كلها للدفاع عن نفسها وحماية معتقداتها ، ولا يمكن أن ينجح الجهاد بمعزل عن مشاركة عموم الأمة . وهذا هوالفرق بين حركة طالبان التى تجاهد بأمتها ضد عدوها ، وبين التنظيمات الجهادية العربية التى تجاهد بأفرادها ضد عدوها ، الذى هو غالبا معظم أمتها ، فتوجه السلاح نحوهم ، وربما نحو باقى التظيمات الجهادية التى تعمل معها على نفس الأرض ، كما يحدث فى سوريا الآن . ـ

لقد أثبتت أحداث الربيع العربى المغدور أن زمان التنظيمات المغلقة قد ولى إلى غير رجعة . وأن قدرة الفعل الحقيقية هى بأيدى جماهير البشر ، سواء فى ثورات شعبية سلمية تماما أو حركات جهاد شعبى مسلح كما فى أفغانستان . وأن السبب الرئيسى فى فشل موجة الربيع العربى هو عدم وجود قيادة لها ، فقادها الغرب وصبيانه المزودين بوسائل الإتصال الحديثة . فكانت الأنظمة أقدر على إحتواء الهياج

الشعبى الأحمق وتسخيره لمصلحتها بعد تحطيم بعض الأصنام القديمة ثم إدخال تعديلات شكلية لتغليف محتوى النظام القديم . لو كانت هناك حركة إسلامية حقيقية لتغير تاريخ العرب والمسلمين . لكن تواجد تجار "إسلام سياسى" تعاقدوا مع الأعداء وباعوا لهم الثورات والشعوب ، ساحبين خلفهم مراهقى الصراخ بالشعارات الإسلامية ، وشذرات من حاملى السلاح بلا بصيرة أو هدف سوى الموت المجرد . لقد إستخدمتهم أمريكا وإسرائيل / فى مهمة جديدة بالوكالة / لحرف مسيرة الشعوب العربية وإهدار طاقتها ودفعها إلى اليأس من التغيير ، بل وكراهية الناس للإسلاميين وإهتزاز ثقتهم فى الإسلام نفسه كسبيل للثورة والتغيير السلمى أو القتالى على السواء ، وقدرته على بناء الدولة الحديثة وإدارتها. فعادت الشعوب إلى حظيرة الأنظمة القديمة بكل إذعان ، بل وبترحاب بالغ أحيانا ، إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

ـ عزلت مجموعات " الجهادية السلفية" نفسها داخل إجتهاد فقهى ، معارض لكل ماعداه من مدارس فقهية أخرى . ثم التشدد الأقصى ، وبدون تمييز بين الجوهرى والفرعى ، وعدم إحترام الآراء الفقهية الأخرى ، بل والتهجم عليها بالقول والفعل ، ومؤخرا بالأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة ، بما يخرجهم عن المعقول وعن السياق العام المتفق عليه بين أغلبية المسلمين .

كل ذلك شدد العزلة عليهم ونفر المسلمين منهم . وجعل تلك التنظيمات فى صراع مع أمتها ، حتى صار أهم من صراعها ضد أعداء الأمة الحقيقيين .

تلك كانت أسوار متتالية من العزلة ، فرضتها التنظيمات الجهادية على نفسها . وهناك الكثير من الأخطاء التى تحتاج إلى تفصيل مستقل .

ما فعلته التنظيمات الجهادية العربية – وغير العربية – فى أفغانستان، ثم ما قامت به فى بلادها أثبت أنها غير قادرة على إتخاذ المسار الصحيح لحركتها ، أو تلبية مطالب واحتياجات شعوبها ، كما أنها سهلة الخداع والإستخدام من جانب أعداء الأمة الإسلامية وعلى رأسهم الولايات المتحدة وشقيقتها إسرائيل . وقد تحملت أفغانستان عواقب وخيمة نتيجة إفتراضها حسن النية فى تلك التنظيمات والظن الحسن بأنها تقدم خدمات للإسلام ولشعوبها.

ـ نعم لقد تميز أفرادها بالشجاعة والتضحية ، ولكن ذلك ليس كل المطلوب. ورغم أن تلك الصفتان موضع إحترام وتقدير من الشعب الأفغانى خصوصاً ، إلا أن الشجاعة الكبيرة بدون حكمة وتدبر تصبح حماقة تضر بصاحبها وبمن حوله. فالرأي يأتى قبل الشجاعة ، خاصة فى الحروب ، فالشجاعة تكون ضارة إذا خلت من الحكمة كما أن الحكمة وحدها لا تجدى بلا قوة وشجاعة.

ـ لقد عانى الشعب الأفغانى كما لم يعان أى شعب آخر من أخطاء تلك التنظيمات ، ومن غياب الحكمة عن قياداتها، ومن تفشى الطيش والتهور بين الكثيرمن أتباعها . وكرم حركة طالبان ولطفها مع ضيوفها لم يشفع لها عند شعبها الذى كان يرغب منها فى معاملة أكثر حزما مع ضيوفها . وقد إستغرق الأمر حوالى العامين حتى يقتنع الشعب مرة أخرى بالإنضواء تحت لواء الحركة لمحاربة الاستعمار الجديد، الأمريكى/ الأوروبى ، ولما وجد منها الحكمة والشجاعة والنجاح فى الجهاد إنضم إلىصفوفها أفواجاً دفاعاً عن دينة وأرضه .

هل تعود التنظيمات الجهادية إلى أفغانستان ؟؟

ولكن هل يمكن أن تتكرر نفس التجربة مرة أخرى؟؟ فتعود تلك التنظيمات إلى أفغانستان بعد التحرير، لتمارس نفس نشاطاتها السابقة . مع العلم أنه بعودتها إلى بلادها لم يظهر منها أى تبديل أو تطور فى الفهم أو السلوك . بل تمادت أكثر فى الإعتماد على البندقية بديلاً عن الدعوة ، والإعتماد على "التنظيم" و "الجماعة" بديلاً عن الشعب والأمة . بل تعاونت كتلتها الرئيسية مع العدو الأكبر (الولايات المتحدة) وحتى إسرائيل"!!" فى سبيل الوصول الى الحكم أو التغلب على منافس محلى ، تماماً كما فعل تحالف الشمال فى أفغانستان (بقيادة ربانى وسياف ـ القادة الجهاديين التاريخيين من الإخوان المسلمين) عندما وضع التحالف نفسه تحت تصرف أعداء بلاده وأعداء الإسلام فى سبيل الحصول على المال والسلاح للوصول إلى السلطة السياسية . صورة تكررت ومهزلة تاريخية فى بلاد لا يكاد يهتم فيها أحد بدروس التاريخ .

- وجدير بتلك الجماعات والتنظيمات أن تبحث جدياً فى أسباب فشلها وعزلتها عن شعوبها وكراهية أغلبيه الناس لها . بينما نجحت حركة طالبان فى كسب ثقة شعبها وعونه فى الجهاد ضد الأعداء والإنتصار عليهم رغم الحصار وتآمر العالم كله عليهم ، مع تشويه صورتهم وتخويف المسلمين والعالم منهم . فكانت كلمات السر للإنتصار لدى الشعب الأفغانى وقيادته فى حركة طالبان هى : الإيمان ـ وحدة الشعب ـ والقيادة الكفؤة.

ـ تلك دروس من تجربة حركة طالبان فى مقاومة وهزيمة الغزوة الصليبية الكبرى التى أطلقها جورج بوش الإبن ، رغم مشاركة أكثر من 45 دولة بالرجال والسلاح . فأثبت طالبان إمكانية الإنتصار مهما كان الفارق فى موازين القوة ، ولكن مع توفر الشروط السابقة . وعلى كل شعب أو حركة مقاومة جهادية للتحرير ، أو ثورة شعبية ، أن تعتمد أولاً على عنصر الإيمان أولاً ثم على الإمكانات الذاتية لشعبها وإستعداده للصبر والضحية ، وهل هو جاهز ومرحب بمواجهة شاملة ، أم أنه يفضل الإصلاح السلمى البطئ طويل المدى .

ـ ذلك بالطبع بالنسبة للمشاكل الداخلية بين الشعب ونظامه الحاكم ، التى يجب على جميع من هم فى الخارج إلتزام الحياد فيها ، أوعلى الأقل عدم الإنغماس الفعلى والميدانى . أما حالات الغزو الأجنبى وعدوان دول إستعمارية على بلاد المسلمين وإحتلالها فإن المقاومة المسلحة تصبح فرضاً على الجميع / فى الداخل والخارج / طبقاً للقواعد التى حددتها الشريعة . ولكن مسئولية الدفاع تقع على جميع المسلمين ولا يعفى منها أحد طبقاً لتلك القواعد . ومن أمثله ذلك الإحتلال الأمريكى الأوربى لأفغانستان والعراق أو الإحتلال اليهودى لفلسطين بدعم من الكتلة الغربية . فتلك أخطار كبرى فوق طاقة أى شعب منفرد ، وتحتاج إلى أن تضع الأمة نفسها تحت السلاح لدحر العدوان وطرد المحتل .

أما مشاكل الشعوب الإسلامية مع حكامها فينبغى أن تظل مشاكل محلية يتصرف فيها كل شعب بشكل منفرد ، طبقاً لظروفه وإمكاناته ، بدون تدخل حتى من باقى المسلمين ، إلا إذا تم إستدعاؤهم للتوسط والبحث عن حل ، أو إذا تعرضت تلك الدولة المضطربة لعدوان أو تدخلات خارجية للتأثير على أوضاعها لصالح الدول الغربية أو الخارجية عموماً.

ـ وعمليا فإن مصلحة أفغانستان وشعبها بعد التحرير هو قبول حالات اللجوء الإنسانى من جانب أى مسلم يرغب فى الإقامة فى ذلك البلد ، وفقاً للشروط التى سوف تنظم تلك العملية مستقبلاً.

ولكن قبول أى تنظيمات خارجية أو جماعات هو أمر مرفوض تماماً ، سواء كان التواجد مسلحاً كما كان من قبل ، أو لمجرد ممارسة عمل دعائى أو سياسى أو نشاط تنظيمى.

ولا يقل خطورة عن الجماعات المسلحة والأحزاب السياسة ، ذلك المجهود الدعائى لمذاهب تحرض على الفتنة والكراهية بين المسلمين ، وتحط من شأن المذاهب الفقهية المعتبرة ، أو تمس بالإحترام الشديد للمذهب الحنفى الذى تتبعه الغالبية العظمى فى الشعب الأفغانى ، كما يحظر تماماً ويجرم أى تحقير لعقائد الشعب الأفغانى المطابقة لمذهبهم وإرشادات علمائهم الأجلاء.

تثقيف الشعب الأفغانى وتعليم شبابه العلوم الإسلامية شئ مطلوب وضرورى ، ولكن دعوتهم لتغيير مذهبهم سوف ترفض بشدة ، كونه من عماد المذاهب المعتبرة والمؤسسة للفقه لدى المسلمين . ويجب إنشاء جامعة إسلامية فى أفغانستان تكون منارة فى أسيا للعلوم الإسلامية ، وتجمعاً لكبار العلماء وبعثات الدارسين من تلك القارة .لأن نشر العلم الدينى هو ضمان من الإنحرافات بأنواعها .

أما إثارة النعرات الطائفية ، وإشعال الفتن المسلحة بين المسلمين بدعوى إصلاح العقائد أو مقاومة البدع فسوف تعتبر إخلالا جنائيا بأمن وسلامة البلد وسوف تجابه بكل شدة . فأبواب التعليم مفتوحة ، والبحوث والحوارات العلمية الجادة موضع ترحيب ، أما الفتن النائمة فملعون من أيقظها ، وسوف تحرس حركة طالبان بلادها من جميع أنواع الفتن طبقا للقاعدة الشهيرة : [طالبان يذهب الله بهم وساوس الشيطان] .

الجهاديون .. ليسوا فوق الشريعة :

لإستكمال الصورة ولإ ثبات الجدية والحزم ، فإن من تسببوا فى إشعال الحرب الأخيرة فى أفغانستان موفرين لها الذريعة ، وعصوا أومر أمير المؤمنين الواضحة والصريحة ، حتى وقعت الكارثة الكبرى التى حلت بأفغانستان ، هؤلاء يجب تقديمهم إلى القضاء الشرعى ، ومحاكمتهم حضوريا أوغيابياً ، وذلك حتى لا يفكر أحد فى أنه أكبر من أحكام الشريعة ، أو خارج صلاحيتها .

فالتسميات الإسلامية لا تصنع لأحد ، أو لتنظيم ، أو لجماعة ، مكانة أعلى من باقى المسلمين ، أو تصنع له قدسية تمنع مساءلته أمام القضاء وإنفاذ الأحكام الشرعية بحقه .

ـ إن تلك المجموعات إرتكبت فظاعات وجرائم وأخطاء كبرى بإسم "الجهاد" فى بلاد عديدة ، فأحدثت ضرورا بالإسلام والمسلمين لا يقل بحال عن الضرر الذى تسبب به الأعداء .وللأسف فإن جانباً كبيراً من المسئولية ألصقت ظلماً بأفغانستان وحركة طالبان . وقد ثارت بعض الشعوب على تلك الحركات الجهادية ، وأدانتها باقى الشعوب . وأهمية المحكمة الشرعية ومحاكمة المذنبين فى جريمة العصيان والتسبب فى كارثة الحرب ، أنها سوف تعيد الإعتبار ليس لأفغانستان وحركة طالبان فقط ، بل ستعيد الثقة والإطمئنان بفريضة الجهاد بشروطها الشرعية المنضبطة . بل ستكون من أسباب إعادة بناء الثقة فى الشريعة والإسلام نفسه كمنهج حياة يحقق العدالة والمساواة ، ويقاوم الإنحراف مهما كان مصدره .

أفغانستان ومشكلة المخدرات :

تفاقمت مشكلة المخدرات فى أفغانستان والعالم نتيجة للإحتلال الأمريكى لذلك البلد. فقد تضاعفت كمية الهيروين المنتج أربعين ضعفاً خلال السنوات الثمان الأولى للإحتلال . كما شهدت صناعة الهيروين تقدماً كبيراً بالإستفادة من القدرات التكنولوجية للجيش الأمريكى ، الذى يتولى نقل الهيروين خارج أفغانستان مستخدماً الطائرات وسفن ميناء "جوادر" . وفى مجال الزراعة طور الأمريكيون بذور الخشخاش لتعطى محصولاً أكبر، وربما يستخدم الآن بذوراً معدلة وراثياً لنفس الغرض .

خلال الإحتلال عدل الأمريكيون خريطة زراعة المخدرات فى أفغانستان ، وأدخلوا عليها تعديلات تتناسب مع المتطلبات العسكرية وسهولة نقل المخدرات وتصنيعها . والأهم حماية حقول الأفيون نفسها حتى لا يتسرب منها شئ خارج الخطة المقررة ، فتذهب إلى عناصر وجهات غير مرغوب فيها.

ـ الخطة الأمريكية والخريطة الجديدة لزراعة المخدرات إقتضت تركيز الزراعة فى ولاية هلمند فى الجنوب لأسباب تتعلق بجودة الأرض ومناسبة المناخ مع وفرة المياه من سد كشاكى الذى بناه الأمريكيون فى العهد الملكى كما بنوا مطار قندهار ، فيما يبدو أنه إعداد مبكر جداً لمسرح المخدرات لنشاط أمريكى واسع . والآن يعمل الأمريكيون بأنفسهم مع مخدرات أفغانستان بدلاً من المافيا الوسيطة ، خاصة المافيا الباكستانية التى تدار من شخصيات على أعلى مستوى من المسئولية فى الدولة هناك.

ساعد ذلك على تركيز القوات الأمريكية فى ولاية هلمند ، برفقة القوات البريطانية التى تخصصت فى العمل فى تلك الولاية ، ولكن إلى جوار مناجم اليورانيوم فى مديرية "سنجين" التى هى أيضاً سوق لتجميع المخدرات بواسطة التجار المحليين . العمل العسكرى المركز أسهل فى الإدارة وأقل فى التكلفة وأكثر قوة ، ويتيح سيطرة أكبر على المناطق الريفية الواسعة . وشمل ذلك المجهود ولاية قندهار المجاورة كونها مركز حركة طالبان وإمتداد سكانى وجغرافى لولاية هلمند ، بحيث يمكن اعتبار الولايتين ولاية واحدة كبيرة.

هلمند أصبحت قلب زراعة الخشخاش وإنتاج الأفيون ، وهى المنطقة الأولى فى الحرب ، ومركز القوات الأمريكية الضاربة . وقد واجه المجاهدون ذلك الوضع بإستراتيجية مضادة أكثر نجاحاً . فولاية هلمند أصبحت أيضاً مركزا للعمل الجهادى المقاوم ، وتجهيز النشاطات الجهادية على أوسع نطاق جغرافى من البلاد عملاً بالمبادئ الأولية لحروب العصابات . فحققوا سيطرة واسعة على الأرياف والجبال كون العدو تركز فى هلمند ، فجعل قوته فى الأطراف أضعف فأصبحت غنيمة سهلة لقوات طالبان.

ـ أخلى الأمريكيون ولايات الشمال فى معظمها من زراعة الأفيون ، واستبدلوها بزراعة القنب الهندى (الحشيش) الذى ظهر أنه أكثر إقتصادية وأسهل فى الإنتاج ويحقق نفس أرباح الأفيون . وظهرت أيضاً إستخدامات طبية وصناعية للحشيش بعد أن كان يعتبر مادة بلا فائدة سوى إتلاف صحة الإنسان . لذا حرمت الإمارة الإسلامية زراعته – كما حرمت تصنيع الهيروين لنفس السبب ولكن الأفيون كانت زراعته مباحة على إعتبار أنه نبتة طبية لاغنى عنها ، وكان تعاطيها ممنوعاً إذا كان لمجرد السكر والغياب عن الوعى .

النتيجة كانت تركيز مناجم الأفيون فى الجنوب ، ومعادلتها بمناجم الحشيش فى الشمال. وذلك وضع سيكون فى إعتبار حركة طالبان عند توليهم لزمام الحكم مجدداً ن وعند علاجهم لمعضله المخدرات .

ـ الواقع الحالى هو أن أفغانستان تنتج أكثر من 90% من أفيون العالم ، وتنتج ولاية هلمند نفس النسبة تقريباً من الإنتاج المحلى. وإقتصاد الريف الأفغانى قائم تقريباً على زراعية الأفيون والحشيش، ويمثل حالياً وفى عهد الإحتلال ورغم مليارات المعونة ، نسبة معتبرة من إجمالى الناتج المحلى للإقتصاد.

بعد التحرير وعودة الحكم الإسلامى سيكون الإقتصاد أحد أهم معضلات الوضع الداخلى والمفتاح الإساسى لحل جميع المعضلات الأخرى . فالمال هو عصب الدول ، ومعلوم أن المقاطعة والحصار والتدخل الخارجى فى الشأن الداخلى هى أقرب الإحتمالات المتوقعة .

وعندما أوقفت الإمارة الإسلامية زراعة الخشخاش بشكل كامل ، تعرض المزارعون لمشاكل لاحصر لها فانهار الكثير منهم . ومحاصيلهم البديلة من قمح وخضروات وفاكهة أوصدت أمامها منافذ التصدير إلى الخارج بفعل العقوبات والحصار الدولى مع سوء حال الطرق . فكانت مأساة كبيرة حلت بالريف والإقصاد بشكل عام.

ـ إذا مقاومة المخدرات ينبغى ألا تأخذ شكل منع الزراعة ، بل منع الإستخدام الخاطئ ، وذلك بالإستفادة الطبية من المخدرات ، وحظر مسارب التهريب ، أو وصول المخدرت إلى الأيدى الخاطئة التى تدمر بها صحة البشر واقتصادهم .

حل معضله المخدرات يحتاج إلى حكومة محلية قوية وموضع ثقه الأفغان ، ويدينون لها طوعاً بالطاعة و الإحترام . وكان ذلك أوضح ما يمكن خلال حكم حركة طالبان . والدليل كان منع زراعة الخشخاش بمجرد أمر من أمير المؤمنين الملا عمر، وبدون إستخدام أى قوة جبرية . وقتها أعربت الأمم المتحدة عن تخوفها من حدوث "قمع" ضد المزارعين الأفغان من جانب الإمارة الإسلامية . لقد كانت تلك أمنيتهم ، لكن المنع تم بكل طيب خاطر ، وكان منعاً شاملاً بإستثناء مناطق تابعة للتحالف الشمالى المسلح .

- **إقامة صناعة دوائية عملاقة** هو الحل الأمثل لتلك المعضلة، وذلك يحاج إلى تعاون إقليمى بين الدول الرئيسية فى المنطقة مثل الصين وروسيا والهند وإيران وباكستان، وحصة الجانب الأفغانى لا تقل عن 60% من المشروع ، فى مقابل المواد الخام والأرض المقام عليها المشروع . والدول المشاركة تساهم بالتمويل والمعدات والخبراء والكوادر الفنية ، على أن يتاح للخبرات الأفغانية أن تحل تدريجياً مكان الخبراء غير الأفغان . تمنح الدول المشاركة فى المشروع الأفضلية فى شراء المنتجات المنتجة من المصنع . إذا لم تكن المساهمات الإقليمية كافية يمكن فتح باب المشاركة لمساهمين آخرين مثل الدول العربية فى الخليج ، ومثل ماليزيا وإندونسيا والبرازيل .

يقوم الجانب الأفغانى بالإشراف على تجميع محصول الأفيون والحشيش فى مستودعات لتوريدها إلى "المصنع الدوائى" المذكور، أو مصنعان أحدهما فى هلمند مثلاً والآخر فى الشمال، حيث تنتشر زراعة الحشيش الذى ستشمله أيضا عملية التصنيع لإستخراج المواد النافعة دوائيا أو صناعيا .

ـ يمكن أن تستلم الإمارة بشكل مسبق إحتياجات شركات الدواء العالمية من محصول العام القادم ، من أجل تحديد مساحات الأرض المزروعة فى كل عام . وبذلك يتم ضبط الإنتاج الزراعى من تلك المواد طبقاً لإحتياجات صناعات الدواء العالمية . وعليه يمكن تحديد مساحات مناسبة لباقى المحاصيل وعلى رأسها القمح لتحقيق الإكتفاء الذاتى بأسعار رخيصة . الدول المساهمة فى المشروع الدوائى ، من الأفضل أن تكون جميعها دولا إقليمية لإعطاء المشروع طابع إقليميا فى علاج مشكلة المخدرات . ويمكن أن تدخل تلك الدول فى مشاريع مشتركة واسعة النطاق فى أفغانستان للنهوض بالزراعة والصناعات الزراعية ومشاريع الرى والطاقة . وكذلك مشاريع الخدمات الطبية على نطاق أفغانستان ، من المستشفيات المتخصصة إلى العيادات الصغيرة فى القرى وإحياء المدن الكبرى .وأيضاً فى النهوض بالتعليم الطبى فى أفغانستان .

بهذا المشروع نتلافى حدوث أزمة فى صناعة الدواء العالمية إذا توقفت زراعة الأفيون فى أفغانستان التى تنتج 90% من المحصول العالمى . كون مادة الأفيون تدخل فى تكوين كافة الأدوية المسكنة للألم.

أمريكا والمشروع الدوائى :

ليس متوقعاً أن ترحب الولايات المتحدة بمشروع دوائى فى أفغانستان تشارك فيه قوى إقليمية وعالمية ، فذلك يحرم تلك الدولة من عائدات تجارة الهيروين التى تقدر بمئات المليارات ، التى تتلهف عليها البنوك ومافيا المخدرات التابعة لها .

ـ قضت أمريكا السنوات الثمان الأخيرة من مدة إحتلالها لأفغانستان فى تمهيد المسرح الدولى لتبعات هزيمتها وفرارها من أفغانستان . وحظى الشرق الأوسط والمنطقة العربية تحديداً بالتركيز الأكبر، وظهر ذلك فى الفوضى العامة (يقال أنها فوضى خلاقة) من أجل إعادة ترتيبها لبقاء طويل الأمد للنفوذ الأمريكى ومصالح امريكا الإقتصادية والإستراتيجية . ولكن التوأم الإسرائيلي تسبب بمشاكل خطيرة همشت الدور الأمريكى لصالح الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة . ومازال الصراع دائرا ولم يحسم نهائياً وتشارك على هامشه الدول الأوروبية ، وروسيا والصين .

ولكن التمهيد الذى لا يقل أهمية هو تجهيز بدائل عن أفيون أفغانستان . فأمريكا تعرف أن حركة طالبان لن تترك بلادها تستغل كمزرعة أفيون لصالح الولايات المتحدة وإسرائيل لتدمير صحة العالم ونهب أمواله.

قد يكون الحل هو أن تتحول بعض البلدان الأخرى إلى مزارع للأفيون وتصنيع الهيروبين . وربما يفاجأ العالم بمثل تلك المزارع فى أمكان تقليدية أو غير تقليدية . من الأمكان التقليدية دول المثلث الذهبى فى شرق أسيا. خاصة بورما (ميانمار) التى تسعى الولايات المتحدة إلى إجتذابها سياسياً بعيداً عن الصين وأقرب إلى الولايات المتحدة. وقد إستدعى الرئيس أوباما رئيس بورما لزيارة البيت الابيض ، رغم أن حكم بورما عسكرى ودموى .وليس ذلك عيباً حقيقياً لدى الولايات المتحدة إذا كان النظام يخدم مصالحها . ورئيس بورما يلبى ثلاث مطالب أساسية للولايات المتحدة فهو: حاكم عسكرى دموى ، ثم أنه يقتل المسلمين بلا رحمة فى مجازر جماعية بأيدى الرهبان البوذيين وجمهورهم المتعصب ، والميزة الثالثة أن بورما هى البلد الأول فى إنتاج الأفيون من بين دول المثلث الذهبى (لاوس / تايلاند / بورما) وهى المنتج الثانى عالميا بعد أفغانستان ، ولكن مع فارق كبير جدا فى حجم الإنتاج .

التقارب الأمريكى الأخير مع رئيس بورما (العسكرى وغير الديموقراطي والذى ينهتك حقوق الإنسان)، مرجعه الأساسى زيادة دور بورما فى المثلث الذهبى، وتنشيط المثلث لسد جزء من الفجوة الحادثة نتيجة غياب أفغانستان المتوقع ، وسداد إحتياجات المافيا الأمريكية للأفيون والهيروين.

ـ من الأماكن التقليدية أيضاً ، المناطق القبلية فى وزيرستان"شمال غرب باكستان" . وهى المناطق التى تشهد معارك يخوضها الجيش الباكستانى ، والطائرات الأمريكية منزوعة الطيار التى تمارس الإغتيال السياسى والقتل الممنهج على مدار الساعة.

ـ كانت وزيرستان منتجاً رئيسياً لمادة الأفيون قبل أن تضغط الولايات المتحدة بشدة على حكومة باكستان لتشديد حملاتها لتقليص زراعة الخشخاش ، وذلك لحسابات سياسة تتعلق بالدولتين باكستان وأفغانستان وتوازنات صناعة الهيروين وترويجه حيث شكلت المافيات الباكستانية حجر الزواية لتلك النشاطات فى كلا البلدين ، وبالتالى حققت مكانه دولية أعلى من المفترض . لذلك خلال فترة إحتلالها لأفغانستان طاردت أمريكا نفوذ المافيا الباكستانية بلا هوادة سواء فى أفغانستان أو فى مناطق وزيرستان نفسها ، وطاردت معامل تصنيع الهيروين التابعة لها والمتواجده على الحزام الحدودى بين البلدين.

الآن وبعد الهزيمة الأمريكية والإنسحاب الوشيك إختلت الموازين واختلفت الحسابات . وربما أعادت الولايات المتحدة الإعتبار لمنطقة وزيرستان فى زراعة الأفيون ، بإتفاق ثنائى مع حكومة إسلام أباد واستبعاد القوى القبلية المناوئة للولايات المتحدة ، والرافضة لإحتلال باكستان لمناطق القبائل ، التى هى قبائل أفغانية تاريخياً وتمتد على جانبى الحدود المصطنعة التى رسمها "ديوراند" .

سد النهضة الأثيوبى، فيضان الهيروين القادم ؟؟.

وعبقرية الـ " جيو- هيروين" للموقع .

قارة أفريقيا مرشحة لظهور مساحات زراعية شاسعة للأفيون . ورغم أن الحشيش يزرع فى الكثير من المناطق هناك (تعتبر المغرب أهم مراكز زراعة الحشيش الذى يصدر إلى أوروبا على نطاق واسع) ولكن مناطق أخرى قد تزدهر على خارطة زراعة الأفيون أيضاً ، وأبرز تلك المناطق المرشحة هى الحبشة التى تشهد حركة غير عادية فى بناء السدود على النيل . تلك السدود وأشهرها سد النهضة لا تهدف فقط إلى إلغاء مصر كدولة وإلى الأبد ، لصالح إسرائيل .

فمناخ الحبشة ملائم ، من حيث الحرارة والرطوبة مع وفرة المياة وخصوبة الأرض ، لزراعة ناجحة وواسعة النطاق للنباتات المخدرة خاصة الأفيون .

وهناك مشاريع زراعية كبرى فى أثيوبيا تمولها دول الخليج العربى وتركيا ، وهناك أفكار عظمى لتسويق مياه النيل دولياً خلال شركة متعددة الجنسيات . ولكن المشروع الأكثر ربحية إقتصادياً قد يكون زراعة حديثة واسعة للأفيون تمولها المافيا الإسرائيلية / الأمريكية ، لسد العجز الناتج عن غياب المزارع الأفغانية التى (كانت) تنتج 90% من إنتاج العالم لتلك المادة.

إن دور سد النهضة يشابه كثيرا دور سد كجاكى "كشاكى" الذى بنته أمريكا فى ولاية هلمند بأفغانستان منذ عقود مضت ، وظهر فيما بعد أنه كان أحد مشاريع البنية التحتية الأساسية لتحويل منطقة هلمند إلى أكبر مزرعة أفيون على سطح الأرض ، فكان إستثمارا هو الأعظم ربحية فى العالم .

والسدود المائية على نهر كابل أتاحت الفرصة لأن تكون المنطقة حول مدينة جلال آباد ثانى أكبر مزارع الأفيون فى أفغانستان (قبل أن تغير أمريكا خريطة الزراعة لإبعاد أيدى المافيا الباكستانية المتمركزة حول ممر تورخم الإستراتيجى فى باكستان ، والقريب من جلال آباد).

هذا الإحتمال بأن يكون سد النهضة هو السر الكبير فى النظام الدولى الوشيك ، يفسر كثيرا ملابسات بناء ذلك السد والحماية السياسية الممنوحة له ، بحيث إنصاعت الدول المتضررة من بناء السد "السودان ومصر" ولم تصعد المشكلة ، حتى فى المحافل الدولية رغم عدم فائدة ذلك ، ولم تقدما على أى تحرك جدى على أى صعيد ، مع أن التحدى وجودى ويهدد بقاءها وحياة سكانهما . وعلى العكس فقد كانتا أكثر ميلا لتمرير المشكلة ببساطة ، فرحب بها السودان علنا ، وانخرط فى التعاون معها ، كما رحب قبلا بتمزيق أراضيه وانفصال جنوبه عن شماله ، والبقية تأتى . وسد النهضة هو من تلك البقية الآتية حالا. وفى المقابل إنفتحت الخزائن الأمريكية البديلة / أموال الخليج العربى / كى تقدم التمويل اللازم نيابة عن المستفيدين من المشروع " إسرائيل والولايات المتحدة " .

ـ إختيار سد كشاكى الجديد ، كما ينبغى أن نطلق على سد النهضة الأثيوبى ، وموقعة الجغرافى يعطى دلالات أخرى حول خريطة نشاط توزيع الهيروبين والأبعاد السياسية والإقتصادية المترتبة عليها ، أو ما يمكن أن نطلق عليه مزايا "جيو/هيروين" عبقرية يوفرها الموقع الجغرافى لسد النهضة فى أثيوبيا . أفريقيا كقارة سوف يتم تخديرها بالكامل لتسهيل عملية إقتطاع ثرواتها بلا ألم أو مقاومة . فهى القارة الوحيدة التى مازالت ساقطة بالكامل أمام موجة الإستعمار الجديد ، للشركات العظمى وجيوشها الأوروبية والأمريكية . فبعد توزيع الإيدز على سكانها بالمجان يجئ وقت المرح والسعادة مع الهيروبين والحشيش ، الذى سيكون متعة الفقراء ، كما هو الإيدز الآن بل ومرافقا له . وسكان وادى النيل فى مصر والسودان سيكون ملء جيوبهم بالهيروين أسهل عليهم من ملء زجاجة ماء من النهر الخالد . أى بمعنى آخر سيشربون المخدرات بديلا من شرب ماء النيل .

ومن المرجح حسب الشواهد أن سد النهضة (كشاكى الجديد) هو سد إسرائيلى فى الأساس ، وأن أمريكا شريك ثانوى فيه . وذلك تماشيا مع تراجع قيمتها ودورها كقوة أولى فى العالم ، والذى نتج عنه صعود إسرائيل كقوة عظمى فى منطقة الشرق الأوسط الكبير، أى العالم العربى من الخليج إلى المحيط . الصومال ستكون من ضحايا مشروع الهيروين العالمى الجديد ، فموانئ الصومال مطلوب إيجاد بديل فيها لميناء جوادر ، ولكن بدلا من تصدير نفط آسيا الوسطى سيتم تصدير مياه النيل فى ناقلات عملاقة ، مثل تلك التى تنزح بترول السعودية لشحن آبار النفط الأمريكية حتى طفحت وأصبحت من المصدرين بعد أن كانت مخزوناتها قد فرغت .

وكما هو ميناء جوادر ، ستستخدم موانئ الصومال كمنفذ أساسى لتصدير الهيروين والحشيش وباقى المشتقات ، إلى أنحاء العالم . ومطارات أثيوبيا ومطارات الصومال ستكون محورا للنشاط الجوى الناقل

للمخدرات بديلا عن مطارات القوة الجوية الأمريكية فى أفغانستان . ولحماية ذلك النشاط الجبار سوف يستخدم الجيش الأثيوبى رخيص الثمن ومضمون الطاعة والولاء (بخلاف الجيش الأفغانى المتمرد والمخترق بحركة مقاومة عنيدة) ، ويكفى عدة مئات من المستشارين العسكريين الإسرائيليين لإدارته وتدريبة . وعند الحاجة هناك الجيوش الأفريقية الشقيقة ، ويمكن إستئجار أى عدد منها بأرخص الأسعار . سيدور هذا النشاط المحموم ، بينما مجاهدو المنطقة منشغلون بقطع أيدى ورؤوس الجوعى والمعدمين فى الصومال ، وتفجيرالأضرحة التى تشكل خطرا أشد من سد النهضة وموانئ" تصديرمياه النيل والهيروبين" الذى لم تتكلم عنه كتب الفقه التى بين أيديهم ، إن كان فى أيديهم شئ غير البندقية والسكين.

ـ يمكننا القول بأن سد النهضة هو من العلامات الكبرى للتراجع الحضارى الأوروبى وإنكماشه إلى أفريقيا قريبا من القارة الأوروبية العجوز . وبدلا من قارة آسيا ستصبح أفريقيا هى قارة الهيروين فى العالم ، وستكون الحبشة ، بديلا عن أفغانستان ، كمزرعة أفيون عظمى لمافيا المخدرات الأمريكيية / الإسرائيلية.

ـ تلك إحتمالات ذات وجاهة حول وظيفة سد النهضة ، أو سد الأفيون الأعظم فى النظام الدولى القادم ، بعد الهزيمة الأمريكية من أفغانستان ، وضياع كنوز الأفيون الأسطورية من أيدى المافيات الأمريكية والإسرائيلية .

ـ لاشك أن الكثير من المفاجآت سوف تنفجر عندما تتكشف المجهودات الأمريكية لإعداد سوق المخدرات الدولية "لكارثة" إنسحابها المخزى من أفغانستان . ومعلوم أن السوق الأمريكية هى الأولى عالمياً فى إستهلاك المخدرات بأنواعها ، ومن المفترض أن الولايات المتحدة قد خزنت كميات هائلة من الأفيون والهيروين الفائض على الإحتياج الدولى خلال فترة إحتلالها لأفغانستان ، حيث تخطى الإنتاج الحاجة الفعلية لمدمنى العالم . ولو أن تلك الكميات طرحت فى الأسواق لأصبحت المخدرات أرخص من الورق . ذلك الإحتياطى قد يكون كافيا للتعويض عن غياب أفيون أفغانستان لفترة من الزمن حتى تدور عجلة مشروعات سد النهضة .

إذا أضفنا إلى ذلك الإضطراب الإجتماعى المتوقع داخل الولايات المتحدة ، والناتج عن هزيمة مخزية فى أفغانستان بعد أطول حرب فى تاريخ ذلك البلد ، ونتيجة للأزمة الإقتصادية والمالية التى لا علاج لها سوى بالمسكنات والأكاذيب ، فإن سياسة تخدير الشعب الأمريكى ستكون مطلوبة لتأخير الثورة الإجتماعية المتوقعة . فالفقر ينتشر وصفوف الفقراء تزداد والأثرياء يزدادون ثروة بشكل غيرعادى . لهذا بدأت سياسة إرخاء القبضة الأمنية عن تعاطى المخدرات . ويتكلمون فى الولايات المتحدة (ومن قبلها الإتحاد الأوروبى) عن مخدر الماريجوانا (الحشيش) وأنها أقل خطراً من تعاطى الكحوليات والخمور.

ويدعم الرئيس أوباما تلك الحملة بتصريحاته فى نفس الموضوع ضارباً المثال بنفسه وأنه تعاطى المخدرات فى صباه . وعلى نفس الطريق فإن ولايتان هما واشنطن وكلورادو قد سمحتا رسمياً بتناول الماريجوانا لأغراض الترفيه! حسب قولهم . ومقاطعة كولومبيا أباحته أيضاً. وقد إستنكر أوباما حبس متعاطى المريجوانا من الأفراد البالغين والأطفال لأن واضعى تلك القوانين ربما تعاطوا تلك المادة أيضاً.

وبدأ الحديث فى الإعلام الأمريكى عن زعماء للولايات المتحدة وشخصيات بارزة معاصرة وتاريخية تناولوا المخدرات بل زرعوها أيضا. وقال البعض أن الدولار الأمريكى ، العملة الأولى فى العالم ، مازال يحمل صور لرؤساء أمريكيين تعاطوا المخدرات!!. على سبيل المثال فإن جورج واشنطن (أبرزمؤسسى الولايات المتحدة) كتب فى مذكراته أنه كان يتناول المريجوانا بإنتظام لتخفيف آلام فى أسنانه ، بل كان يزرع وينتج الماريجوانا. والرئيس الأمريكى توماس جيفرسون زرع الحشيش فى مزرعته وعمل توليفات من الحشيش، وقدمها للأصدقاء كى يدخنوها ، ولم يكتف بذلك بل هرب بذور القنب إلى بلاده وإستخدمها فى مزرعته . ومن المحدثين هناك الرئيس جورج بوش صاحب الحروب الصليبية على أفغانستان والعراق و"الإرهاب الإسلامى!! " . وأيضاً الرئس "بيل كلينتون" . ومن بين الشخصيات التى إعترفت علناً بتعاطى المخدرات وزير الخارجية الحالى جون كيرى ، وغيره كثيرون . وفى مقدمة الأوروبين فى هذا المجال تأتى البارونة "أشتون" الممثل السامى للإتحاد الأوروبى فى مجالات الأمن والسياسة الخارجية.

ـ تلك الإنفراجة الملحوظة والإنفتاح الأمريكى على الإستهلاك القانونى للمخدرات ، هو أحد الإشارات على سياسة أمريكية جديدة فى ذلك الموضوع الحيوى الذى يمثل حجر الزاوية فى النظام الإقتصادى السرى للغاية ولكن الأكثر فعالية من كل العناصر الأخرى . إن تشجيع إستهلاك المخدرات مرتبط بإحباط روح الثورة فى أوساط الشعوب الأمريكية لذا فتحت الحكومة عليه شلالات المخدرات ورفعت عنه الحواجز القانونية.

الكثير من أبعاد "إستراتيجية المخدرات" للولايات المتحدة ، بعد فقدانها كنوز أفغانستان، سوف تتضح أكثر مع مرور الأيام وبعد إتمام إنسحابها من ذلك البلد.

*****

الفصل الرابع :

تحديات الإقتصاد

الإقتصادى هو عماد الدول والأفراد ، وعليه تعتمد حركة الحياة ، ومن أهم وظائف الدولة هو تنمية الإقتصاد لرفع شأن مواطنيها وتسهيل حياتهم، وتقويه أواصر المجتمع والدولة.

وتتميز أفغانستان بوجود ثروات هائلة فى أرضها، ومع ذلك مازالت واحدة من أفقر دول العالم . الخروج من هذه الحالة يستلزم قيادة قوية وشريفة ، تربط أواصر الشعب ببعضها ، وتحركه نحو العمل الجاد المتعاون لإستخراج الثروات وصيانتها وتوزيعها بين الناس بعدالة ، بدون إستئثار فئة على أخرى، أو إحتكارها لصالح أقلية ثرية وحرمان أكثر الناس من حقوقهم فيها ، فتضطرب بذلك الحياة وينتشر الصراع والكراهية والفساد بين الناس.

ـ السبب الأساسى لأضطراب العالم هو غياب العدالة فى توزيع الثروات . فى داخل البلد الواحد هناك أقلية تحتكر لنفسها معظم الثروة وتحرم منها الأكثرية . وعلى مستوى العالم هناك دول عظيمة الثروة على حساب سرقة ثروات الدول الأخرى الأصغر والأضعف.

جلب ذلك على العالم الثورات والحروب بين الدول ، فالجميع يطالب بالثروة أما على سبيل العدوان وسرقة ثروات الآخرين ، أو على سبيل إسترداد الحقوق الضائعة التى أغتصبتها القلة الثرية التى تسيطر على كل مصادر القوة فى الثروة والحكم .

جامعى الثروات لا تتوقف رغبتهم فى الأكتناز عند حد . فزيادة الثروة تعنى لهم زيادة فى القوة والقدرة على السيطرة والتحكم فى الآخرين . وإنتشار هذا الظلم تتبعه سلسلة من المآسى لاحد لها ، مثل سيطرة كبار الأثرياء على الحكم والسياسة وتوجيه المجتمع فى الداخل ، والإنطلاق نحو الخارج لتجميع الثروات بجميع السبل غير المشروعة من خداع وضغط وحرب.

الإقتصاد وفساد البر والبحر :

للحصول على مزيد من المال أنتج الأثرياء فى مصانعهم ما لا حاجة حقيقية إليه من منتجات وشجعوا على الإسراف فى الإستهلاك إلى حد السفه. وإرغموا الشعوب على شراء ما لا يحتاجون إليه من أدوات إستهلاكية أو عسكرية ، وإشتعلوا الحروب كوسيلة لزيادة الإستهلاك ، سواء حروب الأغنياء لسرقة الفقراء ، أو الحروب بين الدول الفقيرة بفعل مكائد وتحريض الدول الغنية بهدف بيع السلاح وأضعاف الفقراء وشغلهم بأنفسهم.

الإسراف فى إنتاج السلع بغير ضرورة سوى زيادة أرباح أصحاب المصانع من الأثرياء ، أدى إلى تناقص المواد الخام على سطح الأرض ، وزيادة الصراع حولها ، خاصة مصادر الطاقة من نفط وغاز .

أيضاً زاد التلوث فى الهواء نتيجة تصاعد أدخنة المصانع والسيارات ، وتلوثت مياه البحار والأنهار نتيجة تزايد سكان المدن والمواد الكيماوية الكثيرة فى الزراعات ، ومشكلة الصرف الصحى وإختلاطه بالمياة النظيفة . كما إرتفعت حرارة كوكب الأرض وأخذت كتل الجليد فى القطبين وفوق الجبال فى الذوبان ، فأخذت مياه البحار فى الزيادة مما هدد شواطئ القارات وتغير المناخ فزادت الأعاصير والزلازل والفيضانات. تلك المشكلات متزايدة وتشكل خطر كبيراً على حياة ملايين البشر على كوكب الأرض. وينبع ذلك كله من إنتشار الظلم وطغيان قلة من المسرفين الذين أعماهم الطمع والجشع ، فاعتدوا على حقوق الأمم بكل الطرق غير المشروعة ، بدءا بالكذب والخداع وصولاً الى الحروب والمجازر الجماعية لملايين البشر.

إقتصاد القلة الثرية الأقوى فى العالم وصل إلى صورة الشركات الإحتكارية متعددة الجنسيات العابرة للحدود والقارات والتى تتحكم فى أعظم ثروة مالية على سطح الأرض تقدر بحوالى 300 ترليون دولار . فهى احتكارات إقتصادية ومالية عظمى وأقوى من الدول . بل أنها تتحكم فى سياسات العالم ، وتدير شئونه من وراء ستار ، وتستخدم لأجل ذلك الدول العظمى نفسها ، التى تحولت الى ألعوبة فى يد تلك الشركات العملاقة فتتحرك وفق مصالح تلك الشركات وليس مصالح شعوبها ، وترتكب أكبر الجرائم فى حقوق البشر ، وتجمع الثروات من الحروب والإضطرابات وتوليه الفاسدين مناصب الحكم فى البلاد الضعيفة . تقوم تلك الشركات على مبدأ السوق المفتوح – أى القضاء على الصناعات المحلية فى الدول الصغيرة وتسخير الإقتصادات المحلية لخدمة مصالح تلك الشركات العظمى . وتقوم أيضا على مبدأ "الخصخصة"

أى تركيز الثروات المحلية فى أيدى قلة فاسدة مرتبطة بتلك الشركات ، ومنع الحكومات من حماية الفقراء أو تأمين حقوقهم فى الثروات المتاحة فى أرضيهم ، وترك الشعوب فرائس فى أيدى الأثرياء والشركات العالمية الكبرى متعددة الجنسيات . يطلقون على ذلك النمط الإقتصادى المتغلب على العالم أسماء وصفات مثل الليبرالية الجديدة ، أو الرأسمالية المنفلتة أو المتوحشة.

ـ الرأسمالية المتوحشة طورتها الحضارة الغربية ودولة الكبرى خاصه الولايات المتحدة وبريطانيا، منذ عام 1979 على أيدى رئيسة وزراء بريطانيا مرجريت تاتشر ورئيس الولايات المتحدة رونالد ريجان، ومن يومها تطور التوحش الرأسمالي إلى حدود لم تخطر على قلب بشر، ولم يفلت من شرورها أحد.

وصف إقتصاديون تلك الرأسمالية المتحكمة فى الدول الكبرى والعالم على أنها : (رأسمالية جامحة ، منفلته وبلا ضوابط ، وتتحرك طبقاً لنزوات شركات إحتكارية ضخمة تمتلكها أقلية من الأثرياء، وصلت بالإقتصاد إلى درجة الإحتكار المالى) . لقد سيطروا على معظم ثروات البشر بوسائل شيطانية ، وحولوا حياة الشعوب إلى جحيم، وحتى كوكب الأرض نفسه تدهورت حالته وأصبح مهدداً بالفشل عن تحمل حياة الناس فوق ظهره ، والأرض على وشك الإنهيار بساكنيها، (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب) - الأنفال سورة 25 - لا تحافظ تلك الرأسمالية المتوحشة على حقوق الأجيال الحالية فى الثروة ولا حق الأجيال القادمة ، فهى تستهلك الموارد التى لا يمكن تعويضها خاصة موارد الطاقة من نفط وغاز . وبالإسراف فى إستخدامها لوثت أجواء الأرض وماءها وأخذت أنواع كثيرة من الكائنات والنباتات فى الإنقراض .

تقوم الرأسمالية الموحشة المنفتلة (أو النيوليبرالية) على ثلاث مبادئ :

1- حرية مطلقة لرجال الأعمال للممارسة كافة المغامرات بلا قيد أو شروط.

2 ـ فتح السوق على مصراعيها للمنتجات الخارجية ، وخصخصة الإقتصاد، بمعنى جعل الأغنياء هم المسيطرون على الثروة ، واستبعاد دور الدولة فى ضبط الأمور أوحماية الفقراء والضعفاء، أوالسهر على المصالح العامة للمجتمع .

3ـ تنشيط الجمعيات الأهلية – أو مؤسسات المجتمع المدنى – للقيام بمهام كانت منوطة بالدولة فى السابق فى مجال الخدمات العامة والإجتماعية . وبدلاً عن "واجبات الدولة" حلت مكانها " تبرعات الجمعيات الأهلية" . والفرق شاسع ما بين الواجب الذى تؤديه الدولة كإلتزام تجاه مواطنيها ، وبين التبرع الذى تؤدية جمعيات ، يمكنها فعله كما يمكنها التوقف عنه متى شاءت.

عانت شعوب الدول الغنية من مغامرات الرأسمالية المنفلتة ، ولكن بدرجة أقل من معاناة شعوب الدول الفقيرة . لقد زاد عدد الفقراء فى الدول الكبرى . فعدد الفقراء فى الولايات المتحدة بلغ 50 مليون شخص (إحصاءات عام 2013) أى بنسبة 16 % من إجمالى تعداد الشعب الأمريكى . وعدد المشردين فى مدينة نيويورك بلغ 64 ألف شخص من بينهم 22 ألف طفل.

دول العالم الفقيرة عانت أكثر من غيرها . وفى أزمة واحدة تسببت فيها الرأسمالية المتوحشة فى عام (2008-2009) عاد 10% من سكان العالم إلى الفقر أضافة إلى من كانوا فقراء بالفعل قبل الأزمة.

ورغم عن تبعيتها للدول العظمى فإن الأمم المتحدة ومعهدها البحثى للتنمية الإجتماعية أقر ببعض الحقائق السابقة . وفى فقرات من أحد تقاريره يقول ما يلى:

{ فالإجراءات الكاسحة لجعل السوق ليبرالية الملامح، والتقليل الكبير فى الإنفاق الحكومى على التأمينات الإجتماعية مثلاً ، قد تبدو مبررة لتحقيق الفعالية الإقتصادية على المدى القصير ، إلا أنها كانت مكلفة للغاية ، لا فى مجال معاناة الفرد وتعسره فقط ، بل أيضاً فى آثرها غير المباشر على قضايا الصحة والمخدرات والجريمة، وتشغيل الأطفال والدعارة . ولايمكن للسلطات المسئولة أن تغفل عن الصلة بين البؤس وعدم الأمان من جهة وبين الصراع الإجتماعى وتزايد الحركات المتطرفة من جهة أخرى!! } .

ويشير نفس التقرير إلى العلاقة الوثيقة بين نمط الإقتصاد الذى يتم تبنيه وبين المجتمع الذى يتم تشكيله ، وتلك نقطة هامة جداً عند التخطيط لإقتصاد أفغانستان بعد التحرير.

إقتصاد أفغانستان الإسلامية :

لا يمكن أن تستقيم إسلامية أفغانستان مع تسليم ثرواتها للشركات الإحتكارية متعددة الجنسيات وعملائها فى الداخل ، الساعين إلى نهب الثروات ، والعمل كمخالب للشركات الدولية . مثل نموذج كرزاى مستشار شركات النفط فى الولايات المتحدة ، الذى جاء على ظهر مروحيات الإحتلال كى يمدد لهم خطوط نقل الطاقة من آسيا الوسطى ، وأن يعمل وكيلا لدى مافيا المخدرات الأمريكية فى تحويل بلاده إلى كنز من الهيروبين يصب مئات المليارات فى خزائن بنوك أمريكا وإسرائيل .

مجتمع إسلامى حقيقى ، لابد أن يقوم على أسس إقتصادية تضمن العدالة ، وفيه تسهر الدولة على مصالح المجتمع كله ، ورعاية الفقراء وإحتياجاتهم ، وعدم ترك الثروات فى أيدى الأقوياء يستأثرون بها ويهضمون حقوق الضعفاء ، فتقع الدولة فى نهاية المطاف فى أيدى الأثرياء الجشعين الذين يبررون ظلمهم بالدين ، فيكفر الذين يعتقدون جهلا أو يأسا بأن الدين يرضى بالظلم ، ويفرضه على الناس ، بينما الحقيقة تنطق فى نصوص القرآن الكريم : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ن يعظكم لعلكم تذكرون) - سورة النحل الآية [90] -

وقال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه لولاته على الأقاليم (ولا تظلموا الناس فتكفروهم) . ذلك أن الناس يبغضون الظلم ، فإذا كان الحاكم المسلم يظلم ، فإن ذلك يؤدى إلى ردة الناس عن الدين .

ـ إن إقتصاد أفغانستان الإسلامية سوف يقوم على مبدأ العدالة الإجتماعية، وحقوق الجميع فى ثروة بلادهم وإطلاق حرية العمل والربح الحلال ، مع إحترام حقوق المجتمع وعقائده وثقافته ومصالحه العليا.

لابد من التأكيد على أنه من المستحيل إقامة نظام إسلامى صحيح بدون نظام إقتصادى قائم على المبادئ الإسلامية فى العدالة والمساواة ورعاية حقوق الفقراء والأيتام وكبار السن والمرضى والمعاقين خاصة من أصيبوا فى الحروب أو نتيجة لها ، مثل ضحايا الألغام . وعدم تحويل البلاد إلى غابة يفترس فيها الأقوى

والأغنى من هم أقل غنى وقوة . فليس بمؤمن من نام شبعاناً وجاره جائع (حسب قول رسولنا الكريم) فما بالنا إذا كانت فئة محدودة تتمتع بكل شئ وتأكل حقوق الأضعف الجائع والمريض والأرملة واليتيم.

خاصة وأن المجتمع الأفغانى خاض حروبا طويلة ضد جيوش الغرب الذى غزاها ملحداً أو غزاها صليبياً. وجاهد الشعب المسلم وضحى بملايين الشهداء والمعاقين والأرامل والأيتام . فلا يمكن بعد ذلك أن تترك الدولة الإسلامية هؤلاء فريسة للرأسمالية المتوحشة القادمة من داخل أفغانستان أو من خارجها . إن فى ذلك خيانة كبرى لدماء الشهداء وحقوق المعاقين والأيتام والأرامل ، وأجيال سوف تنشأ فى ظل الحرمان والفقر.

ـ ذلك الظلم الإجتماعى والإقتصادى هو ظلم لا يقره الدين ولا يمكن الإدعاء أن القبول به يستقيم مع إعلان إسلامية الدولة. بل أن العديد من الحدود والعقوبات الشرعية لا يمكن تطبيقها فى ظل شيوع الفقر والظلم وضياع الحقوق . لأن الفقر هو الأب الأكبر لجميع الآثام والموبقات . فالجائع يسرق ويقتل ويرتشى ويتجسس على وطنه . ويبيع الفقراء أطفالهم أوأعضاءهم ليقتاتوا بثمنها، وتنتشر المخدرات بيعاً ً وتعاطياً، وتقطع الطرقات ويختل الأمن . حتى قال الصحابى أبو ذر رضى الله عنه (عجبت لرجل لا يملك قوت يومه ثم لا يخرج على الناس شاهراً سيفه) . فهذا رجل جائع يطالب بحقه فى الحياة ويصطدم مع مجتمع ظالم منعه حقوقه وأبسط إحتياجات الحياة وهو القوت.. مجرد القوت . وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال (لو إستقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ورددتها إلى الفقراء) أى يبقى للغنى حاجته فقط ثم يأخذ الباقى ليعطيه للفقراء المعوزين. وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعظ إبنه (يا بنى إستعذ بالله من الفقر فإنه منقصة لدين الرجل). وقال أيضاً (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) . وجاء فى الأثر (يكاد الفقر أن يكون كفرا) . تلك هى المعركة الأساسية للنظام الإسلامى القادم فى أفغانستان ، أى محاربة الفقر بلا هوادة ، وبأكثر من جهاد جيوش الكفر الغازية . وذلك لإقامة نظام سياسى إسلامى مرتكزا على نظام إقتصادى أساسه العدلة والمساواه بين الناس .

ـ فالحدود الإسلامية مهمتها حماية مجتمع إسلامى صحيح قائم على العدل الذى هو أساس الملك . فالحدود لا يجب تطبيقها على وضع مختل إقتصادياً وإجتماعياً ، إما بفعل كوارث طبيعية مثل المجاعة أو الوباء أو الحرب . أو بفعل نظام إقتصادى غير عادل تضيع فيه الحقوق وتتجبر فيه أقلية لا تراعى حقوق الناس . فالجائع لا تقطع يده إذا سرق ، بل تقطع يد من منعه حقه فى الحصول على الطعام الذى يكفيه . وذلك مثبت فى سيرة الفارق عمر بن الخطاب الذى جاءه ثرى طالبا إقامة الحد على عبد كان قد سرق طعاماً . فلما تبين للخليفة أن العبد سرق لأنه كان جائعاً ، طلب من الثرى أن يطعمه ، ثم أنذره بأنه فى المرة التالية سوف يقطع يده هو لا يد العبد . الفاروق رضى الله عنه إعتبر الغنى قد سرق حق العبد فى تناول حاجته من الطعام ، ولهذا أنذره بقطع يده إن هو كرر فعلته .

ـ إن الكانز البخيل ، مختلس حقوق الناس أو محتكر أرزاقهم ، هو الأولى بإقامة حد السرقة عليه ، فهو بعمله هذا قد أجبر الكثيرين على مخالفة أوامر الدين ، فيسرقون ويزنون ويقتلون . فهو قد إرتكب جريمة جماعية كبرى فى حق المجتمع كله وأخل بأمنه ، وتلك جريمة مغلظة ، أكبر من جريمة كل هؤلاء الذين فتنهم عن دينهم وأجبرهم على الخطيئة .

ـ تلك هى العدالة الحقيقة للإسلام ، وليست العدالة الشكلية ، حيث يقام فيها الحد على الفقراء ويعفى منه الأغنياء ، فيكون فى ذلك هلاك للأمة كما أنذر رسولنا الكريم حين قال ما معناه أن من أسباب هلاك الأمم السابقة كان إقامة الحد على الفقير، وعدم إقامته على الغنى . إن سخط الله يقع على دولة تدعى تطبيق حدود الله ، بينما هى تطبقها على الفقراء فقط وتعفى منها الأغنياء. فالغنى محتكر الثروة ، سارق يستحق الحد ، والذى يكسب مالاً بطريقه غير مشروعة أو يهضم حقوق الآخرين ، هو سارق يستحق الحد . فالعدالة وإقرارها عملياً شرط أساسى يسبق تطبيق الحدود، أما تطبيقها على قاعدة من الظلم وهضم الحقوق ، والفقر المدقع والحاجة المذلة ، فذلك إهانة للشريعة واستهتار بالدين . إن الصنم الأكبر الذى ينبغى تهديمة بلا تأخير هو الفقر. الفقر هو عدو الدين الأول، وهو ومحطم الشرائع ، لأنه يحطم روح الإنسان ويذل ذلك المخلوق الذى كرمه الله على جميع مخلوقاته .

دولة الإسلام : عدل وكفاية وأمن .

ـ لذلك تجب محاربة الفقر أينما كان على سطح الأرض ، لأنه يسلب الإنسان إرادته الحرة التى على أساسها يقرر موقفه من الدين ، فالذين يفرضون الفقر على الناس بالقهر أو الخديعة هم أعداء الدين الحقيقيون ، الذين ينبغى إزاحتهم ولو بالقوة ، حتى تتحرر إرادة الإنسان ، فيقرر مصيره بحرية منحها له خالقه بقوله تعالى { وقل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر، إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ... الآية 29 / سورة الكهف} . وحتى تتحق تلك المشيئة الحرة للإنسان لابد من التخلص من الفقر والخوف معا وفى حزمة واحدة . فالذين يفرضون الفقر على الناس يفرضون معه الخوف ، بالقوة والجهل ، أو التجهيل الذى هو التضليل الفكرى . وإزاحة تلك العوائق جميعا هى الطريق الصحيح والعملى لتبليغ دعوة الإسلام إلى الناس ، وتلك مهمة الدولة ، وذلك طريق "الجهاد" فى سبيل الله ، وطريق الدعاة الربانيين. وتلك هى رسالة الإسلام على مستوى الأرض كلها ، ولجميع البشر ، وبدون إشتراط إيمانهم قبل تأدية تلك الرسالة ، لأنها ليست بتكليف من أحد ، بل هى تكليف من الخالق ، وبالتالى هى من حق جميع البشر على المسلمين . وهو الواجب الذى تخلى المسلمون عنه فانحسرت حقيقة الدين حتى عن بلادهم نفسها ، ولم يتبق منه غير ظلال خافته وأشكال خاوية . حتى ظن بعضهم أن الهستيريا والتعصب والصراخ هى حقيقة الدين ، وأن رسالتهم تنحصرفى شئ واحد هى قتل الناس وليس هدايتهم . هدايتهم ليس فقط بالمواعظ والكلمة الطيبة والقدوة الحسنة ، بل أيضا ، وعند القدرة ، رفع العوائق التى تمنعهم من الإيمان ، بقتل الفقر والخوف ومسبباتهما . فلا يمكن أبدا أن يكون مفهوم الدين الصحيح هو : (أنا أقتل ، إذا أنا مسلم). ولكن مفهوم الإسلام الصحيح هو (لأن يهدى بك الله رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم) ـ الحديث ـ { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ... } ـ سورة الأنبياء الآية 107 ـ

ـ لذلك وعلى المستوى الدولى والسياسة الخارجية ، لا يمكن أن تكون الدولة الإسلامية دولة إستعمارية أو إستيطانية كما فى النموذج الغربى ، فهى لا تسرق أقوات الآخرين ، بل واجبها توفير الطعام والأمن لهم إذا كانوا تحت رعايتها . وتلك أساسيات الحياة البشرية كما فى الآية الكريمة (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ـ سورة قريش ـ فلا يمكن عرض رسالة الدين على الناس فى غير ظروف الحياة الإنسانية الطبيعية ، فالجوع والخوف يمنعان الإنسان من التفكير الصحيح لأخذ قرار مصيري مثل قبول الإيمان بالدين الإسلامى أو الكفر به ، وبكامل حريته التى كفلها الخالق وتركها للإنسان فقط من بين

كل مخلوقاته فى جميع الأكوان . مع ملاحظة أن الطعام والأمن هى حقوق فطرية للإنسان وليس إحتكارا للمؤمنين فقط ، كما أنهما ليسا منحة يحق لأحد منعها عن أحد . فقد أتاحهما الله للجميع ، حتى لقريش التى قاتلت الإسلام بعناد وتجبر فرعونى يسجله القران عليهم . وتلك الحقوق الفطرية من طعام وأمن تكفلهما الدولة الإسلامية لجميع من يعيش تحت سلطاتها بلا تمييز ، إحتراما لمخلوق كرمه الله مهما كان موقفة من الإيمان برسالة الخالق . فالدولة الإسلامية لاتكون سببا فى إفقار أحد ، أو إرعاب أحد من رعاياها ، بدون وجه حق تقره الشريعة ، كأن يكون مرتكبا جرما كبيرا . وأغلظ الجرائم هى الظلم والعدوان على حقوق الناس ، كل الناس ، من آمن منهم ، ومن لم يؤمن بعد . فمن يدرى لعل الذى تأخر إيمانه يهتدى ويكون أفضل ممن آمن مبكرا ، فالعبرة بمن صدق ، لا بمن سبق .

الحقوق التى يلتزم بها الحاكم المسلم تتخطى الإنسان لتصل إلى باقى المخلوقات . فهذا هو الفاروق عمر رضى الله عنه يرى أن الله سيسأله إذا تعثرت بغلة على شاطئ الفرات ، لماذا لم يمهد لها الطريق ؟؟ . لهذا فتمهيد الطرق هى من واجبات دولة الإسلام . ليس فقط من أجل تسهيل سبل العيش وإكتساب الرزق للإنسان ، بل للحفاظ حتى على الحيوان كونة من المخلوقات التى يجب رعايتها والحفاظ عليها .

ـ فقتال الفقر وأسبابه ، والخوف وأسبابه ، هو الجهاد الأكبر وأهم واجبات الدولة الإسلامية . كما أن إقامة العدل شرط لازم لنجاح وفعالية إجراءات الحرب على الفقر والخوف . وفى ذلك خير حماية للمجتمع من جميع الأخطار ، الداخلية والخارجية على حد سواء . بهذا تصبح الدولة إسلامية .

ـ فلا تصبح الدولة إسلامية بمجرد أن يتولى الحكم فيها رجال يتسمون بأسماء المسلمين ، أو ينتمون لجماعات لها أسماء إسلامية . ولا تصبح الدولة إسلامية بمجرد أن يكتب إسم الدولة مقترنا بصفة الإسلام . ولاتصبح الدولة إسلامية بمجرد وضع شعارا إسلاميا على علمها . ولا تصبح الدولة إسلامية بمجرد أن يستخدم مسئولوها فى كلامهم آيات من القرآن والإحاديث النبوية . بل تصبح الدولة إسلامية فقط عندما تقيم العدل بين رعاياها ، وتوفر لهم حقوقهم من طعام وأمن ، ثم على تلك الأرضية المتينة من { والعدل والكفاية والأمن} تطبق الحدود الشرعية لحماية بنيان إسلامى قائم فعليا وصحيح .

<u>ملاحظة قبل ختام تلك الفقرة</u> :

كلمة أمن المستخدمة هنا تحمل معناها القرآنى واللغوى ، والذى يعنى الإطمئنان والأمان . ولا تحمل مطلقا المعنى المنافق الشائع حاليا فى الأدبيات الرسمية للدول والسياسيين والإعلاميين ، والذى يعنى عكس المعنى اللغوى والقرآنى ، إذ يعنى تسلط الأجهزة السرية والدولة البوليسية ومراقبة الناس وإحصاء أنفاسهم والتجسس عليهم فى جميع الأحوال والأوقات ، والتنكيل بهم وتلفيق الإتهامات عندما يتطلب الموقف السياسى ذلك أو عندما يقرر أحد الكبار أن ذلك التنكيل قد يدفع الملل والرتابة عنه وعن النظام الذى يمثله / كما كان يستمتع أباطرة الرومان بصراع الوحوش مع العبيد/ واعتبار تلك السادية تحقيقا "لهيبة الدولة" و "سيادة القانون" وقوة النظام .

التفريط فى الثروة للوصول إلى السلطة !!

ما ذكرناه كان عن إختلال العدل فى داخل الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم . فماذا لو جاء الخلل من عدوان قادم من الخارج على ثروات المسلمين ؟؟ . وتم ذلك بمساعدة فئة من المسلمين ساعدت المعتدى على سرقة تلك الثروات فى مقابل الحصول منه على رشوة مالية ، أو فى مقابل أن يساعدهم فى الوصول إلى حكم البلاد والتحكم فى رقاب المسلمين ؟؟.ليس ذلك إفتراضاً نظرياً بل هو واقع الحال فى الكثير من الدول "الإسلامية" !!

حيث تعطى ثروات الأمة لتلك الشركات العملاقة متعددة الجنسيات المحتكرة لثروات الأرض وناهبة خيرات الأمم . لقد رأينا فى أحداث "الربيع" الذى عصف بدول عربية أن "الإسلام السياسى" المتحالف مع تيار مسلح يدعى "الجهاد!!قد تحالفا معاً فى أجل إبقاء الأوضاع الإقتصادية المجحفة ، وسيطرة المحتكرين المحليين و خدمهم السياسيين على مقدرات الأمة وحقوق أغلبيتها الفقيرة المضطهدة سياسياً والمحرومة إقتصادياً. بل ومشاركة المنحرفين فى إنحرافهم أو مزاحمتهم فى الإنحراف الإقتصادى والسياسى . فكيف يتماشى ذلك مع الإسلام ؟؟ وهل نستغرب بعد ذلك من موجات العداء والكراهية الشعبية التى توجهت صوب هؤلاء المتواطئين ، حتى تكاد الكراهية أن تصل إلى الإسلام نفسه ؟؟ .

إن ترك تلك الشركات الإحتكارية الكبرى ، متعددة الجنسيات ، والهيئات الدولية العاملة تحت إمرتها مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، أو البنوك الربوية الكبرى ، تركها تعمل بحرية لتعيث فى الأرض فساداً، فإن ذلك سيؤدى عاجلاً وليس آجلاً إلى تقويض العدل الإجتماعى وتولى المجرمين واللصوص زمام الأمور السياسية والإقتصادية ومفاصل الدولة جميعاً ، وعندها لا يمكن الحديث عن نظام إسلامى أو أى صفة أخرى غير الوحشية والجشع والظلم والفادح . فتقطيع الأيدى والإطاحة بالرؤوس بدعوى تطبيق الحدود فى ذلك الليل المظلم ، ليس تطبيقا للحدود ، بل هو محاربة لله ورسوله وعامة المسلمين .

ـ إن مصالح تلك الشركات الإحتكارية متعددة الجنسيات هى السبب الحقيقى وراء الغزو الأمريكى الأوروبي لأفغانستان ، فقد رفضت حركة طالبان عرضاً برشوة مستترة مقدارها 15 مليون دولار مقابل التوقيع على إتفاق تمديد خطوط النفط والغاز من آسيا الوسطى عبر أفغانستان ، ولما يئس الأمريكيون من المفاوضات والإغراء والتهديد ، قرروا أن الحرب هى وسيلتهم الوحيدة.

وبالمثل فى سوريا ، فتحويل المطالب الشعبية السياسية والإقتصادية والحقوقية إلى حرب أهلية طائفية شاملة ، وتدخل مسلح واسع النطاق ، لم يكن بهدف جلب نسائم أى ربيع إلى ذلك البلد ، بل هى حرب أنابيب الطاقة وصراع القوى الكبرى حولها ، وتجئ مراعاة أمن إسرائيل ومصالحها قبل كل شئ ، فذلك قدس الأقداس فى العالم العربى .

فكل حرب ، على الإطلاق فى عالم اليوم ، وراءها مصالح إقتصادية كبرى تشعلها وتمضى بها قدما نحو مصالحها فقط . وعلى صاحب حق أن ينتبه إلى خريطة المصالح التى سوف تتشابك فورا مع حركته ، إذا بدأ الحركة العنيفة مطالبا بحقوق شعبه ، حتى لا يجد نفسه فى وقت ما ، يخدم مصالح الآخرين ويقاتل لأجلهم وليس لأجل مصالح شعبة ، وتلك هى الحرب بالوكالة ، التى تحول فيها آلاف المخلصين إلى مجرد

بغال تحميل . نقول ذلك منذ حربنا ضد السوفييت فى أفغانستان ، إلى حروب الفوضى الخلاقة التى زكتها أعاصير الربيع العربى المزيف ، فلا كان ربيعا ولا كان عربيا .

الشركات العظمى : أعداء البشر الحقيقيون .

تلك الشركات هم الأعداء الحقيقيون لشعب أفغانستان ، ولشعوب المسلمين بل والعالم كله . ونظره واحدة على الواقع الإقتصادى العالمى يثبت ذلك . ويتضح ما ترتب على سيطرة تلك الشركات من تردى الأوضاع السياسية والإجتماعية وذبول القيم الأخلاقية والدينية.

ـ إن مقاومة طاغوت الشركات المتعددة الجنسيات هى أرضية مشتركة تجمع كل المسلمين للدفاع عن دينهم وثروتهم وكرامتهم وإستقلال بلادهم . وهى أرضية مشتركة بين المسلمين وكافة أمم الأرض حتى شعوب الدول الكبرى المتجبرة . إنها قاعدة بشرية عامة للدفاع عن كرامة الإنسان وحريته التى منحها الله لكل البشر، حتى جاء الجبابرة وإستعبدوهم . وتلك الشركات هى أبشع صور الطاغوت المتجبر. وأفضل رسالة للمسلمين هو توحيد البشرية ضد هؤلاء الظلمة الذين نشروا الحروب والخراب والفقر والفساد ، وألبوا الناس على بعضهم ، وقسموهم إلى أحزاب متناحرة ، حتى قسموا الأسرة الواحدة بين إمرأة ورجل وطفل لكل منهم له مشكلة هى موضوع صراع مع الآخر، بل مزقوا الفرد الواحد وجعلوه فى صراع مع نفسه ما بين قيمة الفطرية السليمة ، وبين الإنحرافات الفكرية والسلوكية التى يفرضها إعلام دولى تمتلكه تلك الشركات لمحاربة كافة القيم النبيلة والأديان ونشر الرذائل وقيم المادة والإستهلاك والأنانية والتفاهة .

تلك الشركات الشيطانية وعملاؤها السياسيين والإعلاميين والإقتصاديين قلبوا الآية ، فجعلوا من الإسلام عدوا للبشر، مع أنه هداية ورحمة للعالمين ، وإختلقوا أكذوبة "الإرهاب الإسلامى" وصنعوها بأيديهم وعلى أعينهم وفرقوا بها بين المسلمين وباقى البشر، بل فرقوا بها بين المسلمين أنفسهم وإشعلوا بينهم حروباً طائفية وعرقية وحدودية.

إن المجال مفتوح – أمام النظام الإسلامى القادم فى أفغانستان بعد التحرير – لإقامة تحالف إسلامي للتحرر الإقتصادى والإستقلال السياسى عن الشركات عابرة القارات ، ومفتوح لتحالف دولى ـ وحلف فضول- لمكافحة ذلك الوباء وتخليص البشرية منه بإيجاد نظام بديل للتعاون بين البشر على ما فيه خير الجميع، والدفاع عن حقوق الضعفاء والمظلومين، وتحقيق العدالة والمساواه ومنع الظلم والبغى سواء فى صورة حملات إستعمارية كالتى شهدها العالم من جيوش أوروبا طوال أربعة قرون ، أو على شكل حصار إقتصادى وعقوبات تكسر ظهر الشعوب التى تطالب بأبسط حقوقها فى ثرواتها وحكم نفسها بنفسها.

هنا يأتى الدور القيادى للإسلام ، فى فعل الخيرات وتحرير البشر وإحلال التفاهم والسلام وتلبية حاجات كل إنسان إلى : العدل ـ والغذاء ـ والأمن . ليس الأمن البوليسى الطاغوتى بل الأمن بمعناه الشامل أى الأمن من كل خوف أو إحتياج قاهر. وبعدها يشاءون ما شاء الله لهم من هداية أو ضلال.

إن الدعوة إلى الإسلام بالقدوة ، وتقدم الصفوف لقهر الظلم والطغيان هو السبيل "السلفى" للدعوة ، وتحقيق دور الإسلام كدين رحمة للعالمين ، وقوة تحرق الظلم وليس الأبرياء، وليس لإرغام أحد على إعتناق

الإسلام " قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" - الكهف/29 - "إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين " - القصص / 56 - .

الإقتصاد الأفغانى القادم :

يهدف الإقتصاد إلى تلبية الإحتياجات الأساسية للمواطن الأفغانى بحيث لا يبقى فى البلاد فقير ولا محتاج . وأن يعاد بناؤها بالإمكانات الإقتصادية المحلية بدون الإحتياج للإقتراض الربوى أو المعونات المشروطة. وبحيث يمكن بناء نظام خدمات إجتماعية مجانية لجميع المواطنين خاصة فى التعليم من بدايته حتى نهايته الجامعية ، مجاناً وللجميع وللجنسين ، وإن تكون الخدمات الصحية مجانية وعلى أعلى مستوى وللجميع. يحتاج الشعب الأفغانى إلى إقتصاد حقيقى قائم على الإنتاج الصناعى والزراعى ، والصناعات التعدينية والنفطية . وبحيث تأتى تلبية إحتياجات السوق المحلى فى المقدمة ، وكذلك توفير فرص العمل لكل قادر فلا يحتاج المواطن الأفغانى للسفر إلى خارج بلاده طلباً للزرق ، بل تكون أفغانستان جاذبة للعمال من الخارج . والمقيمون فيها يحصلون على نفس الرعاية والخدمات المجانية لهم ولأسرهم .

ـ عندما تقف الجامعات على أقدامها ستتولى مشارع البحث والتطوير فى مجالات تخصصها . فى الإقتصاد بمجالاته المختلفه ، وعالم التكنولوجيا المتطورة وصناعاتها من الكمبيوتر إلى الفضاء الخارجى والمجالات التطبيقية لعلوم الذرة فى الطب والزراعة . إن القضاء على الفقر هو المهمة العاجلة لإقتصاد أفغانستان الإسلامية ، فالفقر هو الكفر بعينة ، والجهاد ضده هو إعلى صور الجهاد فى سبيل الله داخل المجتمع المسلم ، ومن يحاول الإبقاء على الفقر متواجدا بل متفاقما داخل المجتمع المسلم ينبغى مجاهدته حتى بالسيف . لأن فرض الفقر عنوة على الناس هم المعادل لإدخالهم عنوة فى الكفر. والجهاد ضد الفقر له الأولوية المطلقة فى مرحلة البناء عملاً بما جاء فى الأثر(يكاد الفقر أن يكون كفرا) . والقضاء على الفقر هو الأرضية الحقيقية لتطبيق شرائع الإسلام بشكل كامل ، وتحقيق أهداف الشريعة فى المجتمع ، ويتيح لدولة الإسلام القيام بدورها فى رعاية الإنسان والدين ، وتمهيد دنيا الناس لتكون خير مزرعة لآخرة سعيدة . فالإقتصاد الجيد لا يبنى فقط دنيا جيدة للمسلم ، بل هو أرضية ضرورية لبناء آخرته ، بعيداً عن كفر الفقر والعياذ بالله منه. فهذا هو الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه ينصح إبنه قائلا : يابنى إستعذ بالله من الفقر فإنه منقصة لدين الرجل) .

ـ الأشد كراهية من أكل لحم الخنزير ، هو التعامل مع البنك الدولى أو صندوق النقد الدولى . فهما من أدوات الشركات متعددة الجنسية ، أى من أدوات الخراب الدولى وإفقار الشعوب . نفس الكراهية التحريمية تسرى على القروض الربوية من البنوك أو الحكومات الخارجية ، أو قبول المعونات الخارجية المشروطة بأى أشتراطات كانت حتى ولو فى تحديد وجهات صرف الأموال . فالدولة الإسلامية ، هى التى تقرر وليس صاحب المنحة أو القرض غير الربوى .

زراعة القمح كبديل عن زراعة الحرب :

أفغانستان مازالت دولة زراعية فى الأساس ، ثم يأتى الرعى و الصناعة بعد ذلك . أول الخدمات العامة للزراعة والرعى تكون بتطهير تلك المناطق من الألغام ، ومطالبة روسيا وأمريكا بتزويد أفغانستان

بخرائط توزيع حقول الألغام التى زرعوها أثناء عدوانهم على ذلك البلد . وأيضا الكشف عن المناطق التى لوثتها الولايات المتحدة بـأسلحتها الكيماوية والإشعاعية والجرثومية ، وسوف نحتاج هنا إلى معونة دولية أو من دول الإقليم . ومصاريف تطهير المناطق الملوثة تضاف إلى تعويضات الحرب التى يجب أن تدفعها الولايات المتحدة قبل إغلاق ملف تلك الحرب الظالمة .

- الألغام هى مشكلة خطيرة بالفعل ، حتى الآن ، حيث بث الجيش الأحمر عشرات الملايين من الألغام من أنحاء أفغانستان ، والأمريكيون ضاعفوا المشكلة إلى درجة خطيرة غير معلوم مداها حتى الآن.
- إصلاح قنوات الرى والطرق الريفية ، وتوفير الوقود والآلات الزراعية هى خدمات تحتية للعمل الزراعى .
- من الأهداف الكبرى للزراعة هى الإكتفاء الذاتى فى المنتجات الزراعية التى يعتمد عليها أكثر السكان وعلى رأسها القمح ، ومن المتوقع أن تصبح أفغانستان أحد مصدرية الكبار. وسوف يتحقق يوما الحلم بأن يصبح الخبز الجيد مجانيا لجميع مواطنى هذا البلدن إضافة إلى التعليم والخدمات الصحية . المشاريع الزراعية المشتركة مع دول الشمال والغرب يمكن أن تجعل المشروعات الكبرى بديلا عن المشكلات المزمنة ، والتى يمكن أن تشكل خطورة ، فتمنع التقدم والإزدهار وتفتح أبواب التدخلات الخارجية الضارة .

من خلال مشروعات زراعية متاحة مع دول الجوار ، مثل :

1- زراعة واسعة للقمح فى شمال أفغانستان إعتماداً على مياه نهر جيحون ، والعمل المشترك مع الجارات الثلاث الشمالية طاجيكستان – أوزبكستان – تركمانستان. والإتفاق على حصص توزيع المياه أو الدخول فى مشاركة زراعية للقمح والخضروات والفاكهة ، وطرق تسويقها فى تلك الدول أو خارجها. نفس الشئ فى محافظات الجنوب خاصة محافظة هلمند وعلى إمتداد نهر هلمند وصولاً إلى حدود إيران ، حيث هناك تنازع على تقسيم حصص المياه ، ويمكن تحويل الخلاف إلى إتفاقية عمل ومشروعات زراعية كبرى للقمح والفاكهة وغيرها ، والإتفاق على برامج توزيع المنتجات وعائدات التسويق.

2- مشروعات التصنيع الزراعى مثل التعليب والتجميد والتغليف ، تمهيداً للتصدير إلى الخارج، أو للإستهلاك المحلى فى المناطق البعيدة ، و بعد مواسم المحاصيل .

3- مشروع الصناعات الدوائية ، ويندرج تحت مسمى التصنيع الزراعى، وهو وسيلة لتلافى التأثيرات الضارة لزراعة المخدرات على أفغانستان والعالم ، وقد تحدثنا عنه فى موضع سابق.

4- تشكيل هيئة خاصة للعناية بالغابات والحياة البرية ، لمنع تهريب الأخشاب والصيد الجائر للحيوانات والطيور، وإعتبار ذلك جزء من المال العام (بيت المال) وتنظيم إستغلال ثروات الغابات فى صناعات الأخشاب والأثاث بإشراف مجالس مشتركة بين الحكومة والقبائل ، وإقسام زراعة الغابات فى الجامعات.

5- تشكيل هيئة للمراعى والثروة الحيوانية للإهتمام بنشاط الرعى الذى يحترفه عدد كبير من الأفغان ، بلغ حوالى ربع السكان فى وقت ما. ويجب توفير خدمات بيطرية للقطعان . وتقديم خدمات طبية وتعليمية لمجتمع الرعاة المتنقل فى مراكز تجمعهم المؤقتة . وتشجيع الرعاة على إبقاء ثروتهم الحيوانية داخل حدود أفغنستان ومساعدتهم فى الحصول على أسعار جيدة للماشية ، وتزويدهم بخدمات غزل الصوف ودبغ الجلود ومنتجات ألبان والصناعات الجلدية وجعلهم مستفيدين منها بشكل مناسب ومشجع . وإمداد أطفالهم بخدمات تعليمية وصحية ، وتدريب مجتمعات الرعاة على حرف مناسبة وفتح أسواق جديدة لمنتجاتهم.

مجالات الثورة الصناعية الكاملة :

تتميز أفغانستان بوفرة المعادن والمواد الخام ومصادر الطاقة فى أراضيها ، ولا ينبغى أن يتوقف الأمر على تصدير المواد الخام ، بل ينبغى العمل على إجراء أكبر قدر من الخطوات التصنيعية عليها قبل تصديرها ، وذلك يرفع كثيراً الأرباح المتحصلة ، كما أنه يوفر فرص عمل أكثر. وأهم أهداف العمل الإقتصادى كله هو القضاء على البطالة ، وتوفير فرص عمل لكل قادر ، ورفع مستوى معيشة المواطنين.

ـ من المهام العاجلة ، إعادة النظر فى الإمتيازات التى منحتها سلطات الإحتلال وحكومة كابول التابعة لها، فى مجالات التعدين من نحاس وحديد وفحم وبترول بما فى ذلك خط أنابيب النفط والغاز من أسيا الوسطى ، وتصحيح أوضاعها أو إلغائها طبقاً لمقتضيات مصالح أفغانستان.

ـ تنظيم تجارة الأحجار الكريمة والماس، ونقلها فوراً إلى الملكية العامة (أو بيت المال) مع تعويض أصحابها ، أو إعطاء مالكيها إمتيازات فى الوظائف. ولابد من العمل الجدى والسريع لبناء صناعة صقل الماس قبل بيعه ، فذلك يوفر أموالا طائلة ، على أن يصرف جزء من عائدات تلك الصناعة فى مناطق الإستخراج . كما ينبغى محاربة مافيا تهريب الماس والتى تعمل بشكل وثيق مع تجار ماس إسرائيليين متمركزين فى باكستان منذ عقود . ومعلوم أن إسرائيل من أهم مراكز صقل الماس فى العالم ، وتجنى من جراء ذلك حوالى ستة مليارات دولار سنويا ، حسب إحصاءات قديمة نسبيا .

ـ إقامة مجمع صناعى للحديد والصلب وإتخاذه ركيزة للتصنيع المحلى . وفتح منافذ لتصدير منتجات الصلب إلى خارج البلاد حيث تمتلك أفغانستان واحدا من إحتياطات الحديد الأكبر فى العالم . كما تمتلك أفغانستان واحدا من أكبر مخزونات الفحم الحجرى فى العالم ، وهى قريبة جدا من مناجم الحديد والنحاس ، وذلك يؤهل أفغانستان لإمتلاك واحدا من أعظم المجمعات الصناعية فى العالم لإنتاج الصلب والنحاس . خاصة مع تركيز المناجم كلها فى مناطق متقاربة جدا ، وقريبة من سدود مائية على نهر كابل يمكنها تزويد المجمع الصناعى بطاقة رخيصة . لذا يجب تطوير تلك السدود ، وتبنى برامج طموحة لتوليد الطاقة اللازمة للصناعة الواسعة . كل ذلك النشاط يتمحور جغرافيا حول كابول العاصمة ، التى ستتحول إلى عاصمة صناعية صاخبة . ويجب مراعاة ذلك فى تخطيط مستقبلى واسع الأفق للعاصمة لتطويرها . أو بناء عاصمة صناعية فى المساحات الصحراوية القريبة فى ولايات منبسطة وشاسعة إلى الغرب من العاصمة مثل ولاية وغزنى . وترك كابل كعاصمة سياسية وإدارية ، فموقعها يتيح أكبر قدر من السيطرة والإشراف على نشاط صناعى وتجارى ، سيكون هو الأكثر نموا وإزدهارا فى الإقليم الأسيوى . بل سيضع أفغانستان فى صدارة النشاط الصناعى والتجارى المزدهر فى آسيا .

ـ يجب تصنيع النحاس المنتج فى أفغانستان قبل تصديرة ، فذلك يضاعف العائدات المالية ويوفر المزيد من الوظائف. ومعلوم أن إحتياطات النحاس فى ولاية لوجار هى الثانية فى العالم من حيث الضخامة .

ـ إقامة مصنع لتكرير النفط فى شمال البلاد حيث حقول النفط والغاز. وكذلك وصناعات بتروكيماوية وهى صناعات توفر فرص عمل للسكان وترفع مستوى معيشتهم ، ومعروف إنتشار الفقر فى تلك المناطق.

ـ البدء فى التصنيع العسكرى ، بدءا من ورش الصيانه بأنواعها، ثم الأسلحة الخفيفة والتدرج طبقاً لإتفاقات تعاون مع الدول الخارجية حسب تطور العلاقات معها. وإعطاء القطاع الخاص فرصة فى ذلك المجهود وسوف يكون هو الأسرع فى البدء .

النظرة الأساسة فى الإقتصاد تعتبر الدولة الإسلامية وكيلاً عن المجتمع فى الحفاظ على الثروة وتنميتها وتسخيرها لخدمة الناس ، ومنع الإحتكار ومحاربتة وعقاب مرتكبيه ، فالمحتكر ملعون حسب الأحاديث الشريفة . ويجب على الدولة إتاحة فرص العمل وإكتساب الرزق ، وجمع الثروة بالطرق المشروعة ، ومقاومة مظاهر الإسراف والسفة فى الإنفاق الإستهلاكى ، ومنع تركيزالثروة العامة فى أيدى قلة على حساب حرمان الأكثرية وإفقارها.

أفغانستان مركز تجارة الترانزيت فى أسيا :

- موقع أفغانستان المتوسط بين التجمعات البشرية والإقتصادية الكبرى فى قارة آسيا . وموقعها المتوسط بين عدد من أهم مراكز القوة الإقتصادية والسياسية فى النظام العالمى القادم ، يهئ لأفغانستان فرصاً إقتصادية وسياسية نادرة ، وموضعية قوية فى النظام الأسيوى الجديد.

فى الإقتصاد يمكن أن تلعبأفغانستان دوراً بارزاً فى تجارة الترانزيت بين شمال وجنوب القارة وتحديداً بين شبه القاره الهندية (الهند وباكستنان وبنجلادش) وصولا إلى جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا. يتعلق بهذا الدور تقوية شبكة الطرق البرية داخل أفغانستان، وذلك يوثق العلاقة بين الولايات الأفغانية ، وبين المجموعات العرقية وبعضها وينهى عزلتها .

ويتطلب تعزيز ذلك الدور فى تجارة الترانزيت بناء شبكة للطرق الحديدية تربط المحافظات ببعضها، وتربط أفغانستان مع دول الجوار، خاصة باكستان وإيران وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان، ومستقبلاً يمكن ربط شبكات الطرق الحديدية فى تلك البلدان مع بعضها وهذا أمر ضرورى لنهوض إقتصادى كبير فى المنطقة، والتصدى للإرهاب الإقتصادى التى يمارسها الغرب على دول العالم بفرض العقوبات الإقتصادية على الدول التى لا تنصاع لأوامره . ومستقبلا يمكن بناء سوق أسيوى كبير وكتلة إقتصادية متعاونة . من المستهدف ربط آسيا ببعضها فى شتى المجالات ، ومنها ربط شبكات الطرق البرية والسكك الحديدية وكذلك شبكات الطاقة الكهربائية .

النشاط الحرفى :

يجب إعطاء إهتمام كبير للمشروعات الإقتصادية الخاصة ، وإنشاء فرع من البنك المركزى لتمويل تلك المشروعات بشروط ميسرة ، سواء كانت المشاريع زراعية ، أو حرف صناعية ، وتيسير إستيراد المعدات وقطع الغيار لتلك المشروعات بدون ضرائب ، وتشجيع عمليات تصدير منتجاتها إلى خارج البلاد وتوزيعها داخلياً.

ـ النظام التعليمي يجب أن يرتبط بالنشاط الإقتصادى والتجارى فى البلد ، لتخريج مؤهلين فى كافة مجالات العمل الإنتاجى ، فى الصناعة والزراعة والبنوك وتوليد الطاقة والأعمال الحرفية بأنواعها.

وتوزيع المدارس والمعاهد والكليات بالقرب من أماكن تخصصها ، مثل أن تكون كلية النفط فى الشمال ، وكليات الإقتصاد والهندسة والتعدين فى العاصمة ، وكليات الزراعة فى مناطق الزراعة الرئيسية ، حتى يرتبط النشاط التعليمى بالنشاط الإقتصادى ويقترب من إحتياجاته ويقترب منه جغرافيا لتوفير التدريب والتعاون البحثى العلمى بين الجامعات والمراكز الإقتصادية.

ـ لخدمة النهضة الإقتصادية يلزم بناء جامعة حديثة للعلوم والتكنولوجيا ، والإهتمام بالتخصصات اللازمة لأفغانستان ، مثل التعدين والنفط ، والمجال النووى وعلوم الإتصالات الحديثة، والكمبيوتر وعلوم الطاقة النظيفة والمستمرة من الشمس والرياح.

ـ حتى المجال الصحى يجب أن يراعى إجتياجات القطاع الصناعي، لرعاية صحة العاملين وأسرهم، ونشر العيادات الطبية والمستشفيات بالقرب من التجمعات الصناعية والزراعية.

توليد الطاقة :

النشاط الإقتصادى كله قائم على توافر الطاقة من السدود المائية والنفط والغاز، أوطاقة الشمس والرياح . والنمو الإقتصادى يستلزم التوسع فى إنتاج الطاقة ، أى إقامة المزيد من محطات لتوليد الكهرباء بمولدات الديزل أو البخار، ومن مساقط المياه المتاحة وتطويرها وصيانتها ، وبحث إنشاء إنشاء سدود جديدة إن أمكن ذلك ، وهناك إمكانات كبيرة لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية والرياح .

ـ بعد جلاء قوات الإحتلال الأمريكى ستتم مراجعة إتفاق تمديد خطوط الطاقة القادمة من جمهوريات آسيا الوسطى وصولاً إلى باكستان لبحث مراعاتها للشروط الدولية فى الحالات المماثلة ومتماشية مع مصالح أفغانستان وأمنها القومى . وفى حال التوصل أى إتفاق حول ذلك الموضوع ـ وهو الشئ الذى لا يمكن القطع به - فإن شروطاً إضافية ينبغى إضافتها إلى أى إتفاق جديد ، منها توفير إحتياجات أفغانستان من الغاز مقابل سعر تفضيلى يعادل ربع قيمة الغاز فى السوق الدولية على الأكثر . وأن يقوم مالكو تلك الخطوط بتمديد خط للغاز لتزويد المراكز الصناعية المقترحة فى خطة التنمية الأفغانية ، والمدن على طول الحدود مع إيران ، والمدن الكبرى الأخرى ، ومدن جلال آباد وخوست وهما من مراكز العمل الإقتصادى الأساسية. ولا تكون أفغانستان ملزمة يدفع أى نفقات نظير إستهلاك الغاز أو تمديد خطوطه إلا بعد تجهيز الغاز الأفغانى للتصدير، فيتم تسديد الديون بكميات مساوية من الغاز.

تستخدم الخطوط التى أقيمت لضخ الغاز من مناطق إنتاجه فى الشمال ، وتوسع كى تصل إلى كل الولايات والمناطق الإقتصادية الجديدة .

ـ والهدف من الإتفاقية مع مالكى خطوط طاقة آسيا الوسطى هو التعجيل فى برنامج التنمية. فإذا تعذر الإتفاق فإن التعجيل فى إستخدام النفط والغاز محلياً سيكون موضع أهمية قصوى لأفغانستان، وسيتم النظر فى العروض المقدمة مع إعطاء أولوية للدول الأسيوية التى تسارع بإقام علاقة صداقة مع أفغانستان على أسس التكافؤ والمصالح المشتركة.

الإقتصاد يتخطى مشاكل الحدود :

العمل الإقتصادى المنفتح ممكن أن يتخطى الكثير من المشاكل الخطيرة والمزمنة بين أفغانستان وجيرانها ، وتحويل مشاكل مثل توزيع حصص المياه من الأنهار المشتركة ، أو ترسيم الحدود الذى تأثر بعهود استعمارية غابرة وحروب مدمرة إجتاحت أفغانستان وتأثرت بها المنطقة سلباً على أكثر من صعيد . تحويل تلك المشكلات إلى مشاريع مشتركة فى مجال الزراعة والتجارة والتصنيع هى خير مدخل لحل إيجابى يبنى الرخاء والسلام للجميع بدلاً عن الحروب وتدخل الدول الخارجية الذى يأتى بالخراب. ذلك التعاون الإقتصادى يخلق أجواء التفاهم ويبنى جسور الثقة وينمى المصالح المشتركة ، وكل ذلك يخلق مناخا إيجابيا يساعد على إقرار حلول دائمة لمشاكل الحدود .

مشاكل المياه موجودة أساساً مع إيران فى الغرب، وربما تظهر مستقبلاً مشكلة فى توزيع مياه نهر جيحون فى الشمال مع طاجيكستان وأوزبكستان . ومشاكل الحدود تظهر فى المقام الأول مع باكستان . بالعمل الإقتصادي يمكن تحويل مناطق الإحتكاك إلى ميادين تعاون وإزدهار لمصلحة لجميع وبدلاً من حشد الجيوش ، فلتحتشد المصانع والمتاجر والمزارع والمدارس والمستشفيات ولتمتد طرق المواصلات وخطوط السكك الحديد والمطارات ، والمعاهد العلمية والجامعات .

المناطق المرشحة لذلك المجهود الإقتصادي التعاونى مع دول الجورا هى معظم المدن الحدودية والمنافذ البرية الرئيسية ، وبعض المنافذ الفرعية التى بها أمكان يمكن الإستفادة منها، وسوف يستفيد من ذلك التوجه كافة الولايات الحدودية من أفغانستان .

ـ خوست تعتبر مثالاً نموذجياً لذلك التوجيه ، لما تمتلكه من ميزات الموقع وطرق الإتصال المتعددة مع الجوار الباكستانى ، بما يجعلها عاصمة مؤهلة لقيادة خط ديوند الإستعمارى . ونتيجه للحرب التى شنها الجيش الباكستانى براً وجواً على قبائل وزيرستان ، والحرب التى خاضتها أمريكا بطائراتها منزوعة الطيار ، تأثر كثيراً النشاط الإقتصادى من تلك المناطق سواء فى التجارة أو الصناعة ، خاصة مصانع الأسلحة الأهلية . ومنذ تحرير خوست من الحكم الشيوعى عام 1991 طلب العديد من التجار والصناعيين فى وزيرستان نقل نشاطهم إلى خوست ، وتعهدوا بعمليات تعمير كبيرة فى المدينة كى تستوعب نشاطاتهم التى أرهقها سؤ إدارة ذلك الأقليم وفساد المسئولين الحكوميين وإبتزازهم ومقاسمتهم الأرباح مع العاملين . لم تتح الفرصة آنذاك لبدء مثل ذلك النشاط الطموح ، والأن زادت الحاجه إليه بعد الدمار والتضييق الناتج عن الحرب الطويلة التى تعرض لها إقليم وزيرستان بشكل تاريخى غير مسبوق .

فى خوست يتوفر المناخ المناسب معظم العام ، وتتوافر المياه والأراضى الواسعة فى مناطق يسهل الوصول إليها وتجهيزها للنشاط الاقتصادى بأنواعه . ويمكن توفير الطاقة اللازمة بواسطة مولودات الديزل الكبيرة، ويمكن بحث إقامة سدود مائية على نهر "شمل" ونهر "جانى خيل" لتوليد الطاقة الكهربائية وتوسيع رقعة الزراعة .

ـ القطاع الخاص وحده فى البداية قادرعلى جعل خوست مركزاً صناعياً هاماً ، ومصانع السلاح والذخيرة التى سيقيمها الصناعيون من وزيرستان يمكن أن تصبح بداية للتصنيع العسكرى ، بل يمكن أن يكون

القطاع الخاص مساهماً أساسياً فى الصناعة العسكرية لأفغانستان الجديدة . ويجب أن تكون منطقة خوست حرة فى الإنتاج والتنقل والتبادل التجارى ويتحول مطار المدينة إلى مطار دولى . مع تزويد المدينة بشبكة إتصال حديثة وطرق جيدة تربطها مع مناطق وزيرستان ومناطق أفغانستان الأخرى . أفغانستان ستعتمد فى البداية على الناتج التسليحى لمصانع خوست وأسواقها الحرة لبيع الأسلحة المنتجة محليا ، أو المستوردة من الخارج بواسطة تجار القبائل البارعين فى الحصول على أى شئ من أى مكان على سطح المعمورة . وذلك مصدر هام وسهل لتجهيز قوات أفغانستان الجديدة بشكل جزئى ، ونوع من التشجيع لتلك المصانع ، مع إلتزامها بمقاييس الجودة التى تحددها الدولة .

ـ وحيث أن قبائل وزيرستان بل كل قبائل الحدود مع باكستان هى قبائل واحدة ممتدة فى الدولتين ، باكستان وأفغانستان ، فيمكن بحث السماح لهم بحمل الجنسية المزدوجه للدولتين ، وإعطائهم نفس حقوق المواطن الأفغانى فى العمل والتملك والإقامة . أى بشكل آخر إعادة توحيد المناطق التى إقتطعها الإستعمار البريطانى ، بالعمل الإقتصادى المدنى ، وليس بالحروب والنزاعات العقيمة.

ويمكن البحث مستقبلاً فى إعطاء تسهيلات خاصة لسكان مناطق الحدود المجاورة لأفغانستان فى الإتجاهات الأربع ، وبحث إعتماد بطاقات الهوية الوطنية للعبور، وإعطاء صلاحية إشراكهم فى نشاط إقتصادى داخل الحدود الأفغانية مع مواطنين أفغان أو بشكل مستقل. ويمكن القيام بتلك الإجراءات من جانب واحد بدون إنتظار أن تقوم الدول المجاورة بإجراءات مماثلة. كما يمكن مستقبلا تقديم الخدمات الصحية بأسعار رمزية لسكان الجانب الآخر من الحدود .

إن الإتصال المباشر بالشعوب خاصة مع دول الجوار، هو وسيلة لتفادى الحصار والنزاعات الإقليمية وللخروج من العزلة وعرض النموذج الأفغانى فى التطبيق الإسلامى مباشرة على الشعوب ، لإحباط تأثير الدعايات المضادة التى يحركها الغرب ضد أفغانستان والتطبيق الإسلامى فى نظام الدولة .

من المناطق المرشحة للإنفتاح على باكستان بمشروعات إقتصادية متنوعة وهامة هى منطقة "تورخم" وهو مدخل الطريق البرى الرئيسى الذى يربط البلدين، وهو طريق إستراتيجى هام ، والإمتداد السكانى على الجانبين مترابط للغاية سكانياً وإقتصادياً مع أفغانستان . ذلك الإتصال يقع فى محافظة ننجرهار وعاصمتها الشهيرة جلال آباد ، وهى أحد أهم المدن الأفغانية وتحصل على الطاقة الكهربائية من سد "دورنتا" على نهر كابل الذى تعترضه عدة سدود تغذى أيضاً العاصمة كابول بالكهرباء. توافر الطاقة الرخيصة تعنى إمكانية كبيرة للتوسع الصناعى . والزراعة مزدهرة بالفعل فى تلك المنطقة وقابلة للمزيد من التوسع والتطور.

- وهناك مدخل "سبين بولدك" فى قندهار على الحدود الباكستانية ، وهو معبر إستراتيجى هام وعلية تعتمد معظم تجارة ولايات الجنوب الأفغاني مع باكستان. وتلك النقطة الحدودية مرشحة لدخول خط السكة الحديد من باكستان وصولا إلى هيرات ثم تورغندى على حدود تركمانستان . ومن هناك إلى باقى مناطق آسيا الوسطى والدول المطلة على بحر قزوين .

- فى الغرب هناك مدينة هيرات وإتصالاتها الحدودية مع إيران . وهى مدينة تجارية هامة وصلاتها التجارية مع إيران قوية ، وقابله كثيراً لمزيد من التطوير، خاصة عند المنفذ الحدودى بين البلدين الذى يمكن تحويله إلى منطقة تجارية حرة ، وهيرات مرشحة للإتصال بإيران بخط للسكة الحديد .
- هناك مدينة (تورغندى) على الحدود مع تركمانستان، وهى من المناطق التى ينبغي التركيز عليها نظراً لطبيعة العلاقات السياسية الطيبة مع ذلك البلد الذى يمثل حلقة إتصال مع دول أسيا الوسطى عبر بحر قزوين ، الذى تطل عليه روسيا وإيران إضافة إلى أوزبكستان وكازاخستان.

مدينة " تورغندى" فى خطط التنمية ، من المفتروض أن يصلها خط سكة حديد ، سيصل أفغانستان مستقبلاً مع كل من إيران وباكستان ، وبمعنى آخر يربط ميناء جوادر فى باكستان (أو ميناء تشابهار فى إيران) مع بحر قزوين .

والأمثله كثيرة عن النقاط الحدودية مع مختلف دول الجوار ، ونخص منها فى النهاية ممر واخان الذى يجب تحويله إلى واحة لقاء مع الصين الشعبية ، الجار الضخم الذى يجب التخطيط بعناية وأهمية للعلاقات معه على كافة الأصعدة ، والنظر دوماً إلى مصالح المسلمين الإيجور المجاورين للحدود الأفغانية.

العملة والبنوك :

العملة المتداولة فى أفغانسان هى عملة طبعتها سلطات الإحتلال الأمريكي ، وهذا يعطيها سيطرة ونفوذ على الإقتصاد الأفغانى ، ويمكنها من الإضرار به ضرراً شديداً متى شاءت بإسقاط قيمه تلك العملة بوسائل مختلفة. فيجب السعى بأسرع ما يمكن من أجل طباعة العملة داخل أفغانسان . وإلى أن تتوفر المعدات اللازمة يمكن الإتفاق مع أحد الدول الصديقة للقيام بذلك مؤقتاً **{ 8 }** . البنك المركزى الأفغانى هو الذى سيتولى الإشراف على طباعة العملة إلى جانب أعمالة الأخرى فى دعم النشاط الإقتصادى فى البلد على أسس غير ربوية . للبنك فروع متخصصة لدعم النشاط الزراعى وأخرى للنشاط الصناعى والثالث للنشاط التجارى الداخلى والدولى . ويمنع تصدير السلع الإستراتيجية إلى الخارج إلا بأحد العملات الصعبة ، ولا يتم التصدير إلا بمعرفة أجهزة الدولة المختصة وهى التى تحدد أسعار البيع طبقا للأسعار الدولية. ذلك لأن بعض الأفراد والقبائل ينتجون تلك المواد ويتعرضون لظلم وخداع كبير من المستوردين والتجار والسماسرة .

القروض والإستثمار :

سيكون محظوراً التعامل مع البنك الدولى أو صندوق النقد الدولى ، وكذلك لن يتم الإقتراض من أى بنك دولي ، وعند الحاجة يمكن الإقتراض من دول إسلامية صديقة بالشروط الإسلامية المعروفة. والإقتراض المحلى ممكن على شكل سندات حكومية تتيح المشاركة فى أرباح مشاريع معينة لفترات محدودة . ويقبل عمل المستثمرين الأجانب فى البلد طبقاً للخطة الإقتصادية الموضوعة ، وليس بشكل عشوائى يخلق الفوضى والأضطراب الإجتماعى والإقتصادى ، كما حدث فى العديد من الدول التى تركت الباب مفتوحاً للمال الأجنبى بلا قيد أوشرط وبلا أى خطة تضعها الدولة ويلتزم بها العمل الإقتصادى . كما يمنع تملك

غير الأفغان للأرض أو مناجم المعادن والثروات الطبيعية جميعاً أو أى مشروع ذو صبغة إستراتيجية . ولكن المشاركة فى المشروعات ممكنة ، وفقاً لشروط تحددها الدولة الأفغانية بما يحقق مصالح مواطنيها.

تأشيرات السفر والإقامة :

إلى حين تنظيم العمل الدبلوماسى والسفارات ، تمنح التأشيرات فى منافذ الدخول لقاء رسوم معينة ، مع السماح بفترات زيارة أطول لمواطنى الدول الإسلامية ، ويمنحون إمتيازالإقامة لمدة عام ، قابلة للتجديد ، بعد تقديم طلب بذلك لإدارة الجوازت أو فروعها.

رجال الأعمال والمستثمرين يمنحون فترات زيارة لمدة ثلاث أشهر تجدد بنفس الطريقة السابقة . ويمنحون بطاقة خضراء للتردد الحر فى أى وقت إذا بلغت إستثماراتهم حدا تقرره الحكومة الأفغانية. وتمنح نفس البطاقة لطلاب العلوم الدينية الذين يدرسون فى أفغانستان.

مشروعات أخرى للإقتصاد الإستراتيجى :

هناك مشروعات ذات صبغة إستراتيجية تدعم الإقتصاد بشكل عام وتجارة الترانزيت بشكل خاص.

ـ ميناء جوادر الباكستاني أحد تلك المرتكزات الإقتصادية، لمد خط سكة حديد من الميناء إلى المنفذ الحدودى مع تركستان عند مدينة"تورغندى" الحدودية . ويمكن الدخول فى صيغة إقليمية موسعة حول ميناء جوادر ، لجعله ومرتكزا إقتصادياً لتجارة آسيا الوسطى مع العالم الخارجى ، حيث أنها دول داخلية لا منافذ بحرية لها .ممكن إتخاذ أحد موانئ إيران مرتكزاً لنفس المبدأ ، على أن يدخل إلى الأراضى الأفغانية فى مسافة مبكرة من الجنوب (مدينة زارانج الحدودية مثلا) حتى تشمل التنمية تلك المناطق الصحراوية الفقيرة. ـ فى إيران تبدو مدينة (تشبهار) الساحلية مناسبه لمثل ذلك المشروع ، وهى واقعة على خليج عمان ، ويمكن تجهيزها لتكون منفذاً بحرياً لآسيا الوسطى على البحار المفتوحة للمحيط الهندى. يسير خط السكة الحديد بالتوازى مع ذلك الطريق البرى التجارى الدولى المقترح ، ويتوجه الإثنان شمالاً وصولاً الى مدينه "تورغندى" الأفغانية على حدود تركمانستان ، ومن هناك يتوجهان إلى بحر قزوين . ـ ومستقبلا تترابط شبكات الطرق البرية والحديدية وحتى خطوط شبكة الكهرباء فى آسيا المركزية مع قلبها الأفغانى .

ـ ويمكن الإتفاق مع الحاويات التجارية فى موانئ الهند وبنجلادش لإستخدام ميناء " شبهار" أو ميناء "جوادر" ، واستخدام شكبة الإتصال البرية والحديدية المذكورة حتى بحر قزوين . والتى سوف تصل فى مرحلة لاحقة حتى أعماق آسيا الوسطى وروسيا الإتحادية وغرب الصين الشعبية . نفس الشبكة ، التى نقطة بدايتها موانئ جوادر و تشبهار ، ستكون مدخلا هاماً للتجارة بين دول الجزيرة العربية واليمن مع أفغانستان ودول آسيا الوسطى .

ـ وفى ميناء عدن يمكن أن تدخل الهيئة المشرفة على ذلك المشروع فى إتفاقات مع الحكومة اليمنية من أجل تسهيلات بحرية وتجارية مشتركة .

ـ ومن عدن يمكن الإرتكاز فى إتصالات بحرية تجارية مع شرق وجنوب أفريقيا ، و مع أوروبا عبر قناة السويس التى يمكن مستقبلاً التفاوض للحصول على مرتكزان تجاريان بحريان فى السويس و بورسعيد .

ـ بعد الإتفاق مع الصين على تحويل ممر واخان إلى واحة إلتقاء إقتصادى وثقافى ، يمكن الإتفاق معها على تمديد طريق برى دولى وخط سكة حديد يعبران واخان ليصلا عبر مدن الشمال الأفغانية إلى مدينة هيرات ومنها إلى تورغندى شمالا على حدود تركمانستان ، وجنوبا وصولا إلى مدينة" زارانج" الحدودية مع إيران والواقعة على عقدة مواصلات برية عبارة عن طريق برى دولى وخط سكة حديد . متصلان بالبحر عند ميناء "جوادر" أو ميناء " شبهار" .

لا شك أن الطبيعة الجغرافية القاسية لممر واخان تقف تحديا كبيرا ، لكن التكنولوجيا الحديثة يمكن أن تتخطى ذلك التحدى وتروض ممر واخان ليصبح حلقة إتصال قوية تربط الصين بأفغانستان ، ثم ببحر العرب عبر باكستان أو إيران .

شبكات الإتصال :

الإتصالات السلكية واللاسلكية وخدمات التلفون المحمولة والثابتة ، من الخدمات الضرورية للحركة التجارية والإقتصاد وجه عام ، وهى مرتبطة أيضاً بالأمن القومى ، لذا يجب الحرص عند إتخاذ القرارات بشأنها والإتفاق مع مقاولى الشركات الخارجية . وسيطرة الدولة الأفغانية وإشرافها القريب على كل ما يتعلق بالإتصالات هى أمر ضرورى على أن لا يتسبب ذلك فى تجميد ذلك القطاع أو شل فعاليته.

الفحم كمصدر للطاقة الرخيصة :

يعتمد معظم سكان أفغانستان على الخشب كمصدر للطاقة المنزلية والتدفئة . ومن المهم تغيير ذلك الإسلوب لإعطاء فرصة لإعادة تنمية الغابات والمحافظة عليها من الإنقراض بوقف نزيف الأخشاب المتمثل فى إستخدام أشجارها للتدفئة ، أو قطع الأخشاب بشكل جائر بواسطة "مافيا الأخشاب" الذين أبادوا مساحات واسعة من الغابات لتصديرها الى الخارج بأسعار زهيدة بالنسبة للأسعار الدولية . وهذا ما يحدث لجميع المواد الخام تقريباً، بما يستدعى تدخل الدولة لفرض أسعار بيع عادلة وتنظيم عمليات الإستخراج والتصدير.

ـ وحيث أن أفغانستان تمتلك مخزونا هائلاً من الفحم الحجرى ، فيمكن تلبيه مطالب الناس للتدفئة والإستخدامات المنزلية بأسعار رخيصة لا يمكن أن تنافسها الأخشاب . فيعطى للإستهلاك المنزلى الأولوية فى توزيع الفحم بأسعار رمزية للتخفيف على المواطنين ، مع الحفاظ على ثروة الاخشاب. وقد يحتاج الأمر إلى إيقاف قطع الأشجار لعدة سنوات لإعادة إزدهار الغابات .

ـ ويمكن بحث التوسع فى بناء محطات توليد الطاقة الكهربائية المعتمدة على المراجل البخارية التى تعمل بالفحم ، بدلا من مولدات الديزل . فذلك إقتصاديا أكثر نظرا لتوفر الفحم بكميات هائلة .

ونفس الشئ بالنسبة للقطارات ، فتبحث العودة إلى القطارات التى تعمل بالبخار ، ولو بشكل جزئى ، وذلك لأسباب إقتصادية أيضا بما يجعل التنقل بالقطارات وسيلة شعبية للفقراء .

قد تثور هنا إعتراضات خاصة بالبيئة والتلوث ، وكذلك التخلف التكنولوجى للمعدات البخارية ، ولكن تظل هناك نقاط قوة تعمل لصالح خيار الفحم الحجرى لتوليد طاقة رخيصة . فوقود الديزل سيظل يستورد من خارج لمدة طويلة ، وبأسعار عالية ومتزايدة وغير مضمونة الإنتظام ، إلى أن تقام صناعة تكرير محلية للنفط . أما الفحم الحجرى فهو متوافر الآن وإلى الأبد تقريبا ، نظرا لضخامة المخزون ، وأنه فى الغالب لن يكون للتصدير الخارجى على عكس النفط والغاز .

*****

الفصل الخامس :

تحديات الدفاع والأمن

دافعت أفغانستان عن نفسها بشكل تلقائى ضد الغزو الخارجى المدعوم بعناصر محلية تحالفت معه ، ولم تكن المقاومة مدعومة بحكومة البلاد. خاصة فى حالات الغزو السوفيتى ثم الأمريكي، حيث بدأت حركة المقاومة ضد الإحتلال ومعه حكومة محلية عينها بنفسه.

بعد التحرير ستظل المخاطر قائمة لوقت طويل ، وحتى عندما تقل حدتها لابد من الإحتفاظ بقوة دفاعية قوية جاهزة على الدوام . مسلحة ومدربة وجاهزة لإشتباكات خاطفة (ضد متسللين أو قوات خاصة معادية) أو حرب طويلة الأمد إذا أقضى الأمر . والتصدى لأخطار جديدة ناتجة من إستراتيجية العدوان الأمريكى وتوجهها إلى إستخدام موسع للقوات الخاصة والطائرات بدون طيار ، ومجموعات التخريب المكونة من عناصر أمريكية أو عناصر من جيوش "إسلامية" حليفة لها .

خاضت أفغانستان منذ قرون حروباً دفاعية ، وسيظل الأمر كذلك فى المستقبل ، أى أن حروبها دفاعية وفوق أراضيها . وأقرب التحديات بعد الإنسحاب الأمريكى الأوروبى هو محاولة الإحتلال الأمريكى أن يحتفظ بقواعد عسكرية حصينة فوق التراب الأفغانى يصل تعدادها إلى تسع قواعد حسب الإعلام الروسى . ويتشكك المسئولون الروس فى أن الإنسحاب الأمريكى شكلى ، وإنه بداية لتواجد يأخذ صور أخرى . أى أن الأمريكيين غيروا إستراتيجية الحرب لتناسب أوضاعهم الإقتصادية والدولية المتدهورة، وفى نفس الوقت يحاولون الحفاظ على مكاسب الحرب من (هيروين ونفط) و يوفرون دماء جنودهم وجنود أوروبا مستفيدين من دماء الجيش الأفغانى وأجهزة الشرطة والمخابرات التى كلفتهم مئات المليارات تدريباً وتسليحاً . الإستراتيجية الجديدة – أن صح أن الأمريكون أغبياء أو بائسون لتلك الدرجة ـ سوف تعتمد كثيراً على طائراتهم منزوعة الطيار كسلاح استراتيجى فى تلك الحرب.

القواعد الكبرى ستكون معزولة و يسهل على الأمريكيين مراقبتها ، والدفاع عنها ، ويصعب على المجاهدين إقتحامها والسيطرة عليها تماماً. وإن كانت تجربة سنوات الحرب الأخيرة أثبتت قدرة حركة طلبان ومجموعاتهم الخاصة أن تظهر فجأة وسط تلك القواعد ، أو أن تقتحم أبوابها وتندفع داخلها مثل

العاصفة المدمرة . حدث ذلك مرارا فى قوعد هامة مثل مطار جلال آباد ، وباجرام شمال كابول ، وباستون فى هلمند.

إذن الترتيب سيكون هكذا : قواعد محصنة جيداً تحميها مظلة جوية قوية وجيش أفغانى يدافع عنها فى العمق ويدافع عن المراكز المدنية والإقتصادية التى تهم الإحتلال مثل العاصمة حتى يظل شكل الدولة سلمياً من ناحية المظهر ، ثم حماية خطوط الطاقة العابرة للأرض الأفغانية من تركمانستان حتى باكستان . ثم تأمين وصول محصول الأفيون الخام إلى القواعد العسكرية الأمريكية .

القوات الأمريكية من قواعدها الحصينه تقدم دعماً فنياً وإستخبارياً وإرشادياً عند الضرورة ومشاركة محدودة للمستشاريين . ولكن الدعم الجوى هو الأهم فى تلك المنظومة ، وكذلك المعلومات التى تلتقطها الأقمار الصناعية.

- تبدو أمريكا أسيرة تجربتها فى كولومبيا حيث تخوض حرباً لا نهاية لها للإستيلاء على كنوز الكوكايين ، والسيطرة على المافيات الداخلية ، وتكبيل الشعب الكولومبى ومنعه من تولى أموره بنفسه فى حكم بلاده ، أوتقرير مصيره بعيدا عن حتمية الكوكايين التى فرضتها عليهم جارتهم الكبرى فى الشمال.
- كما تبدو أمريكا أسيرة للتجربة السوفيتيه فى أفغانستان . فقد أتم الجيش الأحمر إنسحابه من أفغانستان فى شهر فبراير عام 1989 ولكنه فى الحقيقة ظل يقاتل فى أفغانستان بأساليب أخرى ، بعيداً عن الظهور المباشر فى خطوط القتال . وإستمر كذلك حتى قرب سقوط النظام الشيوعى فى كابل فى إبريل 1992 . خلال تلك السنوات من العمل العسكرى السوفيتى البعيد عن الأضواء ، أدار الخبراء السوفييت صواريخ سكود الثقيلة من كابول وقدموا دعماً صاروخيا قوياً للجيش الأفغانى المقاتل فى جلال آباد وخوست وجرديز التى شهدت أشد المعارك خلال تلك الفترة . وقاتل الطيارون السوفييت بطائرات مقاتلة وقاذفة من الأجيال الجديدة التى كانت فى طور التجربة . وقد ذكروا فى معارض تسويق السلاح أنهم جربوا تلك الطائرات "بنجاح" فى أفغانستان . ولا أحد يدرى ما هو النجاح فى قصف مناطق وقرى وجبال ليس عليها أى مقاومة جوية ، فى حرب توجوها بخسارتهم المدوية وفضيحتهم التاريخية . ولكنها تجارة السلاح التى تقتضى دوماً وجود حروب ضد "الأشرار" حتى يستطيع "الأخيار" تسويق أسلحتهم .

ومع ذلك صمدت قلة من المجاهدين ، تمسكوا بإيمانهم ورفضوا عروض المشاركة فى سلطة سياسية، تجمعهم مع من خدم المستعمر وسفك دماء شعبه لأجل المال.

ونفس القصه سوف تتكرر من جديد ، مع فارق أن حركة طالبان تمكنت من ضبط الساحة الجهادية بشكل كبير، وأصبح الشعب موحداً خلفها كما لم يحدث قبلا مع أى حركة جهادية فى أفغانستان ، أو حتى خارجها. لهذا فإن فرص الأمريكيين ستكون أقل بكثير من السوفييت ، فهم يقابلون جبهة موحدة ذات عزيمة صلبة وقيادة مقتدرة .

كما أن إستراتيجية الحرب التى إبتدعتها حركة طالبان تختلف كلياً عن تلك التى أتبعها المجاهدون فى الحقبة السوفيتية .وقد حققت تلك الإستراتيجية نجاحاً ساحقاً كما هو واضح بشكل لم يتوقعه أحد . ويكفى أن أقوى جيوش العالم وأوسع تحالف عدوانى فى التاريخ قد فشل فى إخضاع شعب أفغانستان، حتى

إضطروا إلى الفرار بدون أى غطاء سياسى من المجاهدين . وإتفاقات المحتلين السياسية يعقدونها فقط مع حكومة كابول التى عينها المستعمر بنفسه . فهم يعقدون إتفاقاً مع أنفسهم ، ولا يعنى ذلك بشئ حركة المقاومة الجهادية التى تقودها حركة طالبان .

والجيش الأفغانى ، وباقى الأجهزة الأمنية ، هى أعجز من أن تحمى الأمريكيين الذين سيجدون أنفسهم سريعاً واقعين فى حصار شعبى لقواعدهم . وسيكون عملاؤهم تحت المطاردة والتصفية أينما وجدوا، حتى داخل وزارة الدفاع والأمن ، كما حدث كثيراً قبل ذلك وسيتكرر بشكل أكثر قوة فى المرحلة الجديدة. وحتى رجال الشرطة والجيش والأمن والعاملين مع حكومة كابل ، سوف يكونوا عاجزين عن الوصول إلى بيوتهم أو الإتصال بعائلاتهم ، ولن يستطيعوا حتى الحفاظ على أمنهم الشخصى لا فى العاصمة كابل ، أو حتى فى مقار عملهم الرسمى .

إختصاراً ، إذا قررت الولايات المتحدة إبقاء قواتها فى أفغانستان بهذا الشكل ، فإنها تكون إرتكبت خطأ إضافياً ليس فى مصلحة قواتها ولا مصلحتها كدولة متراجعة على كل الجبهات . وأن جنودها الذين ستتركهم خلفها فى أفغانستان هم بحكم الإبادة أو الأسر ، فقد تكسب حركة طالبان عدة آلاف من الأسرى الأمريكيين الذين سيدخلون كأوراق تفاوض بعد الإنسحاب . والجيش الأفغانى لن يحمى القواعد الأمريكية ، بل سيبادر إلى تسليم رقاب الأمريكيين إلى حركة طالبان ، وذلك لعدة أسباب : الأول أن حركة طالبان موجودة بالفعل داخل هذا الجيش وعلى مختلف الرتب . والثانى أن قادة الجيش والضباط والجنود سيقدمون فروض الطاعة والولاء للحركة المنتصرة ، ولإثبات ولائهم سيقدمون لها رقاب الجنود الأمريكيين . وكما بدأت الحرب على مشهد جنود أمريكا يمشون متغطرسين فى شوارع المدن الأفغانية ، سوف يسدل ستار الحرب على مشهد مجاهدى طالبان وهم يطاردون جنود أمريكا الفارين فى الصحارى هربا من القتل أو الأسر .

وقد يتحول موقف أمريكا إلى تدهور سريع وإنهيار ، فى حالة المكابرة وعدم إستيعاب الواقع والتعامل معه . ذلك الواقع يقول أن حركة طالبان قد إنتصرت منذ عام 2006 وإن ذلك الإنتصار يتأكد مع الوقت ، والخسائر الأمريكية تتفاقم على الساحة الأفغانية والدولية وساحة الشرق الاوسط والمنطقة العربية . والوضع الداخلى فى الولايات هو الخطر الأكبر ، والمؤجل إلى ساعة حساب لاريب فيها . فهذه الدولة إلى تفكك لأن نظامها القاسى والمراوغ قد إستنفذ فرص البقاء الذى أتيحت له . والشعوب الأمريكية مقبلة على عصر جديد يلزمها التكيف معه بعد التخلص من نظام الأقلية الجشعة التى تتحكم بها.

ـ تجربة حركة طالبان فى جهادها ضد الحملة الإستعمارية العظمى التى تعرضت لها أفغانستان على أيدى الأمريكيين والأوروبيين ، إضافة إلى عمقها القريب من تجربة الجهاد ضد الإحتلال السوفيتى ، هى المرتكزات للأساسية لرسم سياسة دفاعية وأمنية فى القريب العاجل ، على إثر الإنسحاب الجسم الرئيسى لقوت الغزو . فالمساحات الواسعة من البلاد ستكون تحت تصرف الحركة القائدة ، والشعب جاهز لتلبية رؤيتها للمستقبل ، والسير معها لبناء مستقبل جديد لشعب عظيم.

ـ الوضع الدفاعى والأمنى مثل باقى جميع نشاطات الدولة القادمة ، يعتمد فى نجاحه على نفس أسباب النجاح فى فترة الجهاد ضد الإحتلال ، وهى : الإيمان والشعب المتحد والقيادة الكفؤة .

تلك العناصر ستدخل فى صلب التخطيط لسياسة الدفاع والأمن . وبشكل مخطط ستكون العناصر الإجتماعية داخلة فى صلب خطة الدفاع ، جنباً إلى جنب مع قوات الجيش النظامى الجديد .

عقيدة دفاعية :

واضح منذ زمن طويل أن العقيدة الدفاعية هى التى تسيطر على العمل العسكرى الشعبى فى أفغانستان . فالجهاد هو الراية الجماعية للدفاع عن المقدسات الدينية والوطنية ، وسيظل الوضع كذلك بعد التحرير، أى بقاء العقيدة الدفاعية داخل الحدود الأفغانية ضد أى معتد قادم من الخارج .

ـ ومن الأفضل أن يقوم الجيش على نظام التطوع التعاقدى لمدة لا تقل عن خمس سنوات للجنود ، وعشر سنوات للضباط الذين يتهيأون منذ الصف الدراسى العاشر لدخول المدارس العسكرية الثانوية ، ثم الأكاديمية العسكرية ، أو أكاديمية الشرطة . قيادات وكوادر أجهزة الإستخبارات فى معظمها تكون فى خريجى تلك الأكاديميات ، إضافة إلى خريجى كليات مدنية متنوعة .

أولاً : جيش الدفاع الجهادى

(أنظر الشكل رقم 4)

الجيش النظامى المحترف هو العمود الفقرى لعملية الدفاع ، ويمكن إطلاق تسمية تدل على وظيفتة وعقيدته القتالية ، مثل "جيش الدفاع الجهادى" على أساس أنه جيش عقائدى مهمته الدفاع عن دينه ووطئه. يتكون ذلك الجيش من : قوه أرضية & قوة طيران & دفاع الجوى .

القوات النظامية صغيرة العدد فى حدود 80 ألف مقاتل مدربين على أساليب حرب العصابات، وحرب العصابات الممتزجة بأساليب الحرب التقليدية . التدريب يكون على مستوى القوات الخاصة . وفى وقت العمليات ستدعم قوات الجيش بالمكونات الدفاعية الأخرى ، وهى :

1ـ قوات المرابطين القبلية . 2- قوات الجهاد فى المدن .

وقت العمليات سيكون جيش الدفاع الجهادى هو العمود الفقرى للعمليات الدفاعية :

مدعوماً بالخبرات المتراكمة من الحروب الجهادية السابقة ـ والتدريب المتفوق ـ وأسلحة الدعم النظامية من مدفعية ودبابات ـ والمعدات المتطورة ـ وأجهزة الإتصال الحديثة .

أسلحة الدعم فى جيش الدفاع الجهادى تشمل :

المدفعية بأنواعها ـ صواريخ أرض أرض قصيرة ومتوسطة المدى ـ الدبابات الخفيفة والمصفحات ـ صواريخ الكتف المضادة للطائرات ـ الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ـ طائرات هيلكوبتر للنقل والدعم النيرانى .

تزود تلك القوة بأجهزة إتصالات متطورة، وأجهزة رؤية ليلية ، وسيارات وشاحنات عسكرية رباعية الدفع، مع توفير قدرات التحرك بالخيل والجمال فى المناطق الوعرة والجبال.

ـ قوة الطيران المساند للجيش تتكون من طائرات نقل عسكرية ، وقاذفات قنابل ومقاتلات . لن تحتاج أفغانستان فى الوقت الراهن إلى أجيال متقدمة من الطائرات . وذلك إلى حين تطور التكنولوجيا التى بحوزتها إلى مستوى ملائم ، وتخريج أعداد ملائمة من المهندسين والفنيين من الجامعات الوطنية.

ـ الدفاع الجوى : ويحتوى على رادرات ومدفعية مضادة للطائرات من عيارات مختلفة ، ومنظومات صواريخ مضادة للطائرات على إرتفاعت متدرجة.

ثانيا ـ قوات المرابطين القبلية :

تتمتع أفغانستن بحدود طويله جداً مع دول الجوار، وقد تعرضت للغزو مرات عديدة من الشمال والجنوب ، ناهيك عن عمليات تسلل كثيرة جداً برية وجوية.

طوال تاريخها تصدت القبائل الأفغانية بكل شجاعة للجيوش الغازية فى حروب طويلة وضارية ، لذا لايمكن وضع خطة دفاع عن أفغانستان بدون إعتبار دور القبائل بشكل أساسى .

فالقبيلة فى أفغانستان وحدة إجتماعية وقتالية ، تتكفل بأفرادها وتساندهم، كما أنها تقاتل كقبيلة واحدة فى ساعات الخطر. لذا عمد الأعداء والحكومات الفاسدة إلى إضعاف دور القبيلة ، إما لصالح الأحزاب المفتعلة أو لصالح الحكومة المركزيةالضعيفة ، التى لم تكن يوماً أهلاً لتحمل المسئوليات الخطيرة التى تتحملها القبيلة على المستويات الإجتماعية أو الأمنية . فدائماً جهاز الدولة المركزية كان متدنى الكفاءة ، وغير كاف ، وغالباً ما يضربه الفساد.

المنطقى والأكثر ملاءمة لظروف أفغانستان هو تعزيز القبيلة ودورها الإجتماعى والدفاعى ، بالتعاون والتنسيق مع الحكومة المركزية التى تتولى التخطيط والتمويل والمعدات والتدريب والخبراء. ذلك صحيح فى مواضيع الدفاع والأمن ، كما فى المشاريع الصحية والتعليم ، ومشروعات البيئة والتنمية الإقتصادية.

لأغراض الدفاع يصرح للقبائل بحيازة مقادير أكبر من الأسلحة الخفيفة والذخائر، مع أنواع مناسبة من الأسلحة الثقيلة ، ومضادات الطيران والدبابات ، حسب تقديرات جيش الدفاع الجهادى . وتقام على نطاق كل قبيلة قوة مدربة ومجهزة بشكل جيد ، ومرتبطة تنظيمياً مع "الجيش الجهادى" للدولة ، ويعمل أفرادها بنظام التطوع لفترات متفق عليها يعملون خلالها كمتفرغين لوظائف الدفاع ، ويتلقون رواتبهم من الجيش وكذلك التدريب والمعدات.

يجرى " جيش الدفاع الجهادى" مناورات مع قوات المرابطين على مستوى الولاية - أى مجموعة قبائل – ثم على مستوى القطاعات الكاملة التى تضم عدة ولايات، مثل قطاع الشرق وقطاع الجنوب.. وهكذا. ويكون التدريب على إستراتيجيات الدفاع ، وصد الهجوم وتدمير الغزاة بهجمات كثيفة لقوات حرب العصابات الموسعة ، والتى هى عقيدة الجيش القتالية كما هى تخصص قبلى منذ قرون . تهدف المناورات إلى إستيعاب المعدات المستخدمة ، والتكتيكات المناسبة لها. والتدريب على خوض القتال على جبهة واسعة لفترة طويلة ، وبتنسيق بين قوات نظامية وقبلية وأسلحة حديثة ووسائل إتصال آمنة .

ثالثا ـ قوات الجهاد فى المدن .

تعتمد على السكان الدائمين فى المدن – وتدريبهم على مهام الدفاع عن مدنهم ضد قوات معتدية متقدمة ، والتدرب على أساليب المقاومة السرية داخل المدن . وكيفية التنسيق مع القوات القبلية فى أقرب المناطق الجبلية أو الريفية ، والتنسيق مع قوات "جيش الدفاع الجهادى" النظامية .

ـ تدرب القوات على مواجهة عمليات التخريب التى يقوم عملاء العدو ، وإحباط النشاطات المعادية داخل المدن ، ومواجهة الطوارئ والكوارث من حرائق وزلازل وتفجيرات.

ـ يتفرغ عدد محدود من الكوادر بشكل دائم لرعاية هيكل الدفاع فى مدينتهم ، ولكن الجسم الرئيسى من القوة البشرية ينخرط فى أعماله المعتادة ، ويحتفظ أفراده بجزء من التسليح والمعدات فى أماكن سكنهم . ويتم إجراء مناورات لتلك القوات حسب ترتيبات "جيش الدفاع الجهادى" الذى يشرف على تدريب وتجهيز تلك القوات.

جهاز الإستخبارات .

وهو من أخطر أجهزة أى الدولة. ومهمته الأساسية حماية الأمن الداخلى ضد عمليات التجسس الخارجى وعمليات التخريب العنيف أو الإقتصادى أو الثقافى . فى صباح اليوم التالى ، بالنسبة لجاهزية عملية الدفاع ضد التدخل العسكرى المكشوف ، ستكون القوات الجهادية بقيادة حركة طالبان جاهزة للتصدى لها وأحباطها فى أى وقت ، بلا ثغرة زمنية فى الإستعداد ، لكونها جاهزة بالفعل خلال سنوات الجهادة الطويلة.

ولكن الثغرة الكبيرة والأخطر فسوف تكون فى جهاز الإستخبارت ، حيث البلد مفتوح إلى حد كبير لتدخلات أجهزة سرية كثيرة ، من داخل المنطقة وخارجها . ولن تمتلك الدولة جهاز كفؤ للتصدى لذلك الخطر قبل مرور وقت طويل نسبياً. حيث أن ذلك الجهاز يحتاج الى عناصر عالية التعليم ، مع التدريب التقنى المتقدم .

وكما فعلت الدول التى مرت بظروف مشابهة ، فإنه يتم حل جهاز الإستخبارات السابق ، مع إستبقاء عناصر ذات مواصفات معينة ، يمكن الإستفادة من خبراتها فى بناء جهاز أمنى جديد، طبقاً لمقولة "بناء الجديد من أنقاض القديم" ، والمقولة تصلح للتطبيق على كافة أجهزة الدولة العسكرية والمدنية.

قوات الدفاع بترتيباتها الثلاث السابقة ، وهى "قوات الدفاع الجهادية" و"قوات المرابطين القبلية" و "قوات الجهاد فى المدن" يسير بالتوازى معها وفى نفس الوقت تشكيل جهاز الإستخبارات فى مناطق القبائل والقرى والمدن ، بما يوفر شبكة رصد وتجميع معلومات واسعة ، كما يوفر قاعدة بشرية كبيرة ومنتشرة جغرافياً . ويمكن إستخدام قيادات جهادية لإدارة جهاز الإسخبارات الجديد ، كما يمكن الإستفادة من جهاز الإستخبارات العامل حاليا مع المجاهدين من حركة طالبان كبداية لتأسيس جهاز جديد وحديث . والقيادات الجهادية التى تثبت جدارة فى مهام الإستخبارات يمكن إستمرارها فى العمل فى الفرع المناسب

لهم . وجود عناصر إستخبارية محترفة من الأجهزة القديمة المنحلة ، سوف يساعد كثيراً فى تأهيل الجهاز الإستخبارى الجديد.

التحدى الإعلامى :

" يمكن للإعلام أن يرفع دولاً ويسقط أخرى" . هكذا قال جوبلز وزير الدعاية الألمانى فى الحرب العالمية الثانية . ولكن هذا القول لم يكن صحيحاً بهذا القدر الذى تحقق على يد الولايات المتحدة، أكبر ديموقراطية فاشية فى الغرب . أو الإمبراطورية المنفلتة كما وصفها أحد علماء التاريخ .

إكتسب الإعلام قدرة هائلة فى الوصول إلى الناس فى كافة أرجاء الأرض ، خاصة بالإذاعة ومحطات التلفزيون الفضائية ، ثم جاء الإنترنت الذى جعل من الثورات والثورات المضادة أشياء متاحة ، ناهيك عن التأثيرات الثقافية والأخلاقية الفادحة.

ونظراً لتأثيرات الإعلام الهائلة على أفكار وسلوكيات البشر ، وكونه مؤثرعلى كافة المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والأخلاقية ، عمدت القوى الإقتصادية الكبرى إلى بناء الإمبراطوريات الإعلامية وأنفقت عليها المليارات ، ودخلت لأجل ذلك فى منافسات كبرى أحرز اليهود قصب السبق فيها ، فكانوا هم المالك الأكبر للإعلام الدولى الأساسى ، كما كانوا هم أكبر مالك للثروات على ظهر الأرض.

سيطر رأس المال المتوحش على ثروات الأرض وعلى السياسة الإعلام . فتمكن من مسخ الثقافات وإضعاف الأديان والقيم الأخلاقية التى إتفق عليها البشر، فأصبح إكتساب المال هو أعظم قيمة لدى الإنسان المعاصر ، والرغبة فى الإستهلاك بلا حدود هى هدف الوجود .

ظهرت تلك القدرات الهائلة للإعلام ، فجعلته الولايات المتحدة سلاحا قتاليا تستخدمه فى حربها على شعوب الأرض . وكلمة سلاح هى كلمة حقيقية لأن إستخداماته العسكرية هى أوضح التأثيرات الضارة لذلك السلاح / الذى لا يطال أجساد الناس كما تفعل أسلحة القتال العادية / بل يطال عقولهم وقلوبهم وضمائرهم وسلوكياتهم ، وذلك تأثير أبعد مدى من أسلحة القتال .

بمعنى أن الإعلام ممكن أن يقنع الناس بقبول ما كانوا يرفضونه ويقاتلون لمنع حدوثه . فيقبلون بالسيطرة والإستغلال وضياع القيم فى مقابل التمتع الإستهلاكي والشعارات البراقة .

لأجل ذلك سيطر الجيش الأمريكى على الإعلام فى مناطق معاركه ، كما حدث فى أفغانستان والعراق ، حيث كان الجيش وسلطات الإحتلال هما المصدر الوحيد للأخبار عن ما يحدث على أرض التقال ، وقاوموا أى صوت مستقل ، ومنعوا بل وقتلوا من يحاول البحث عن الحقيقة بعيداً عن أكاذيب البنتاجون والإدارة الأمريكية. ومازال هذا هو الوضع فى أفغانستان ، فلا يجرؤ صحفى على كسر طوق الحصار العسكرى المضروب حول الإعلام ، ولا مجال لظهور شئ من الحقيقة تكشف الأكاذيب الإحتلال وصنيعته حكومة كابول العميلة .

وإذا كانت الطائرات والمدافع تستخدم وقت المعركة فقط ، فإن سلاح الإعلام يجهز للمعركة قبل حدوثها بفترة طويلة ، ويستمر القصف الإعلامى بالأكاذيب وتلبيس الحقائق خلال فترة الحرب ، ثم يستمر فى نشاطه التخريبى حتى بعد نهاية الحرب ، سواء كسبتها الجيش الغازية أم خسرتها.

ـ رأينا فى أفغانستان كيف مهد إعلام العدو لشن الحرب الظالمة بترويج الأكاذيب وإخفاء الحقائق ودق طبول الحرب "و شيطنه الخصم" بالأفتراء والإختلاق والمبالغة.

ـ فى بداية العدوان على أفغانستان بدأت الطائرات بضرب المطارات – رغم صعوبة القول بوجود سلاح جوى لدى الإمارة الإسلامية سوى حفنة من الطائرات السوفيتية القديمة . وفى نفس الوقت قام بإخراج "سلاح الإعلام" الأفغانى من المعركة ، رغم صعوبة القول بوجود سلاح إعلامى حقيقى لدى الإمارة فى ذلك الوقت. ولكن طيران العدو أخرج الإذاعة من ميدان المعركة ، كما أخرج موقع الإمارة على الإنترنت من ميدان المعركة الاعلامية بفعل إجراءات التشويش . وحتى يكون الأمر أكثر وضوحا : لقد أعطى العدو المعتدى نفس القيمة لكل من سلاح الطيران وسلاح الإعلام ، وركز على إخراجهما معا من المعركة فى دقائقها الأولى .

ـ الأخبار الكاذبة التى بثها الإعلام الأمريكى نقلا عن إدارة الأكاذيب التى أنشأها البنتاجون ، كان لها أثر كبير فى إشاعة أجواء الهزيمة بينما المعركة على الأرض مازالت دائرة ، بل وفى صالح حركة طالبان حتى ذلك الوقت . فقد كانت الأكاذيب ومازالت أحد أعمدة الإعلام الأمريكي ، ومن خلفه وعلى أثر خطواته تتحرك الكتلة الرئيسية من الإعلام الدولى.

أخطاء إعلامية قبل الحرب :

من أخطاء السياسة الإعلامية لحركة طلبان فى ذلك الوقت – وقت وجودهم فى السلطة – كانت إحتقار دور الإعلام وإعتباره نوعاً من اللغو ، وأن العمل على الأض هو الأساس الحقيقى . وذلك صحيح ، ولكن ليس بشكل مطلق ، فالإنجاز على الأرض هو الأساس ، ولكن إخلاء الساحة الإعلامية للعدو يتيح له إكتساب عقول وقلوب الناس إلى جانبه ، فيضللهم بحيث يتحركون حتى ضد مصالحهم الفعلية ، سعياً وراء أوهام وأطماع تخدم مصالح الأعداء. فالمعركة الفعلية تدور على الأرض ، ولكن هدفها الأساسى كسب عقول الناس وقلوبهم ، وذلك دور الكلمة والصورة وليس البندقية والمدفع . وحروب الأفكار لا تنقطع أبدا ، بينما حروب الحديد والنار مؤقتة . وطبعا لا يستطيع أحد أن ينكر أن معارك الحديد والنار تؤثر كثيرا فى الأفكار والمشاعر . فهى بالفعل أحد الأشكال القوية جدا للإعلام ، ولكنها أبدا لا يمكن أن تحل محل الكلمة الصادقة .

ـ إستفاد إعلام العدو من الأخطاء على الساحة الأفغانية مهما كانت بسيطة ، وحولها إلى جرائم فظيعة ضد حقوق الإنسان والحرية بمفهومها الغربى . وكانت بعض تطبيقات جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – قد شابها بالفعل بعض التجاوزات والتمادى غير المبرر .

وكان هناك خطأ تحويل الفتاوى إلى قوانين واجبه التنفيذ فورا ، بدون مراعاة ظروف البلد الداخلية ، والأخطار الخارجية ، ناهيك أن بعض هذه الفتاوى هو موضع خلاف بين المسلمين، ولا تتعلق بالمسائل الجوهرية.

ـ من أبرز الأخطاء التى أضعفت إعلام الإمارة ، رغم ضعفه التكوينى ، هى فتوى تحريم التصوير، وهو موضوع خلاف بين العلماء المعاصرين . ونتج عن التحريم حرمان الإعلام من أهم عناصر قوته وهو الصورة ، التى تؤثر أفضل من مئة مقال إذا كانت تعبر عن الواقع . فلا يمكن أن يوجد إعلام حقيقى بدون صورة معبرة تنقل المشاهد إلى قلب الحدث أفضل مما قد تفعله أعظم المقالات.

خطأ آخر شاع فى إعلام الإمارة أنذاك ، وهو إعتبار الوعظ والإرشاد هما الهدف الأساسى للإعلام . وفى الحقيقة أنها وظيفة هامة ولكن ليست وحيدة . لأن التوعية السياسية وتبصير الناس بحقائق ما يدور فى بلادهم والعالم ، هى وظيفة وعظ وإرشاد تأخذ التوعية الدينية إلى مجال التطبيق العملى فى الحياة ، وليس فقط المعرفة النظرية.

إعلام ما بعد التحرير :

هناك مجالان يصلحان للعمل الفورى والتقدم الإعلامى السريع ، وهما الإذاعة والصحافة . ومجالان آخران هما موضع خلاف وخطورة ، رغم أنها أعظم تأثيراً وهما التلفزيون والإنترنت.

الإذاعة : وهى الوسيلة الأكثر إنتشاراً فى الجتمع الأفغانى ، لرخص ثمن أجهزة الراديو ، وسهولة نقلها ، وعدم إعتمادها على وجود كهرباء ، وسهولة الإستماع إليها فى أى وقت وأى مكان.

فى وقت الجهاد ضد السوفيت كانت للإذاعات الأوروبية والأمريكية شعبية كبيرة وكانت تحظى بثقة الجمهور الأفغانى الذى أعجبه منها تعاطفها معه ضد الغزاة. ولم يكن يتصور أنها قد تكذب يوما وأن الإعلام يعبرعن مصالح لا عن حقائق أو مبادئ .

من المتوقع أن تكون الإذاعة هى أهم وسيلة إعلامية فى يد حركة طلبان عند عودتها إلى الحكم ، وهى وسيلة مؤثر جداً فى المجتمع الأفغانى ، وتأتى فى صدارة وسائل الإعلام التى تتصل بالناس وتؤثر فيهم .

ـ ولكن يلزم رؤية جديدة لوظيفة الإعلام ، وتحديد خطة إعلامية للرسالة المطلوب إبلاغها للناس ، لتوعيتهم توعية شاملة بأمور الدين والدنيا ، والأحداث الداخلية والخارجية ، شرحا وتحليلا ، والتثقيف بلمعارف العامة التى ترتقى بالإدراك العام بحيث يجارى ما يحدث فى العالم متخطياً عزلته القديمة.

فلا بد من تقوية الإذاعة المركزية ، والتوسع فى إنشاء الإذاعات الأقليمية باللغات الشائعة فى البلد ، وأن يكون مراسلى الإذاعة منتشرين جغرافيا على أوسع نطاق . وأن تخاطب الإذاعة الناس مباشرة ، وتنقل صوتهم وأرائهم عبرالأثير ، فيكونوا مشاركين فيها وليسوا فقط مجرد متلقين لرسائلها.

إذا أهتمت الإذاعة بأمور الناس المباشرة وناقشت معهم قضاياهم ، ونقلت أصواتهم على موجاتها وتكلموا خلالها وتناقشوا فيها ، فإنها تصبح سلاحا فعالا ضد هجمات العدو الإعلامية ، وإداة فعالة فى بناء الشعب وتنويرة وكسب ثقته ، وإثارة حماسه للمشاركته فى بناء دولته الإسلامية الجديدة.

الصحافة :وهى الوسيلة الأقل تأثيراً فى الجمهور الأفغانى ، نتيجه إنتشار الأمية وإبتعاد الصحافة تاريخياً عن قضايا الناس وإهتماماتهم ، لكونها تعكس آراء وإهتمامات القلة المثقفة . وتكاد الصحف الأفغانية أن تكون وسيلة حوار أو تنابذ وصراع بين الأجنحة المثقفة داخل المجتمع . وكانت الصحف وسيلة فى أيدى الأحزاب والقوى الخارجية التى تؤيدها . وتظل الصحف وسيلة التعبير عن أفكارالأجيال الجديدة لتى تلقت التعليم فى المدارس والجامعات الحديثة. وهم يتولون عادة وظائف عالية فى الأجهزة الحكومية . كما أن العالم الخارجى يتابع أوضاع أى بلد من خلال صحافته أولا ، ثم باقى وسائل الإعلام الأخرى.

- وضعان يجب تلافيهما فى صحافة ما بعد التحرير ، الأول : أن تكون الصحافة صوت واحد للحكومة التى فى سدة الحكم . الثانى : أن تكون الصحافة صوتاً لمصادر تمويلها الخارجية . فنجد كل صحيفة تدافع عن مصالح دولة خارجية وتعبر عن وجهات نظرها.

طبيعى أن يكون للحكومة صحيفة أو أكثر لشرح وجهات نظرها . ولكن من الهام جداً وجود صحافة مستقلة عن الحكومة وتقوم بدور الرقيب على أداء الأجهزة الحكومية والتنبيه إلى نواحى التقصير والإنحراف . وتظهر وجهات نظر ذات أهمية لكنها غابت عن السلطات التنفيذية ، فتتعدد وجهات النظر حول أفضل السبل الوصول إلى الغايات العليا للمجتمع ، التى لا خلاف حولها ، مثل تقوية الإسلام وشعائره وأخلاقياته وثقافته ، وأفضل السبل لتطبيق مبادئه فى بناء المجتمع وصيانة الدولة . ومثل نشر قيم العدالة والمساواة ، ومكافحة الفقر والرذائل الناتجة عنه ، وحماية أفغانستان من الطامعين وأيديهم التى قد تحاول التسلل إليها. ومراقبة التطور الإقتصادى وأهدافه فى تحقيق العدالة الإجتماعية وحماية الفقراء والضعفاء ومكافحة الفساد والرشوة والمحسوبية ومنع الإحتكار وإستغلال النفوذ ، وسوء إستخدام السلطة والإنحرافات الأخلاقية والسلوكية. ونقل صورة صادقة عما يحدث على أرض الواقع فى أفغانستان ، وخارجها ، وتقديم شروح محايدة ومعمقة لكل ذلك .

لاشك أن تلك الرسالة الصحفية الملتزمة بأهداف وطنها وأمتها وعقائدها هى خير معين للقيادة الحاكمة لإستكشاف الواقع والعمل على بصيرة تامة ومراقبة مسار الأمور فى الدولة . وذلك يكون ضمن ميثاق مكتوب ومتفق عليه ، لتعمل الصحافة وباقى وسائل الإعلام بمقتضاه .

هيئة الإعلام والإرشاد:

الميثاق الإعلامى ، هو عقد إجتماعى هام بين فئات الشعب ، لأنه مؤثر للغاية فى مسيرة المجتمع والدولة بل ومصير الأجيال التالية . لذا ينبغى أن تشارك في وضعه ، إلى جانب الحكومة ، باقى القوى الإجتماعية والثقافية والدينية والقيادات الفكرية . ومن الأفضل تشكيل "هيئة الإعلام والإرشاد" وتكون مستقلة عن الحكومة ، ولكنها تكون ممثلة فيه كأحد المشاركين الرئيسيين فى المجهود الإعلامى . وطبيعى أن يكون

ذلك المجلس غير خاضع لسلطة الحكومة ، لأن جزء من مهامه هو مراقبة أعمالها ، وتنويرها وتسديد خطاها ، وهو بذلك مرشح للإحتكاك بها ، وبخشونة أحيانا ، من أجل إيضاح الحقائق والأفكار .

ـ فإذا كانت السلطة التنفيذية هى ذراع قيادة الدولة ، فإن الصحافة هى عينها البصيرة ووعيها اليقظ . وبدونها ستنحرف الإدارة التنفيذية وتتحول إلى خطر على مسيرة المجتمع وإسلامية الدولة . فالسلطة بطبيعتها تغرى بالتسلط والإستبداد والفساد ، فلا بد لأجل صيانتها ، من أجهزة رقابية أهمها الصحافة ومجالس الشورى .

تلك الهيئة ، تشرف على وضع ميثاق يضبط العمل فى مجال الإعلام ، ويشرف على موضوع الإلتزام المهنى بالميثاق ، ويشرف على ضبط عمليات تمويل الإعلام المستقل . ومن السلطات الممنوحة للمجلس الإعلامى توقيع عقوبات ، أو منح التراخيص بمزاولة المهنة وإصدار الصحف وغيرها من وسائل الإعلام. وبالمثل حماية العاملين فى الإعلام من أى تجاوزات من جانب السلطة التنفيذية ، وضمان العيش الكريم والعناية الصحية لهم ولأسرهم .

ـ من القضايا الهامة التى ستطرح على الهيئة ، وضع استراتيجية إعلامية ، وتحديد السياسة الأفضل تجاه وسائل إعلامية مثل التلفزيون والإنترنت.

كلية الاعلام :

وتكملة للقوة الإعلامية المستنيرة ، ينبغى إنشاء كلية إعلام لتدريس علومه والتدريب على وسائله المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون (حتى قبل إقرار السياسات بشأن إستخدامه) . وكذلك الإنترنت وإستخداماته الإعلامية كوسيلة حديثة وفعالة فى شتى مناحى الحياة ، حتى فى السياسة الدولية نفسها.

التعليم الإعلامى الأكاديمى يجهز الطلاب لمخاطبة شعبهم ،وقيادته فكرياً وثقافياً طبقاً للرؤية الإسلامية التى جاهد ذلك الشعب لأجلها منذ قرون . فتتكون بمجهودهم قوة رقابة شعبية ترصد أى انحراف أو خلل وتنبه إليه . ويرفع الإعلام إلي الحكومة "صوت من لا صوت لهم" من الفقراء والمهمشين ، والبعيدين عن مراكز القرار فى مناطقهم النائية ولغاتهم المختلفة.

كما يرفع الإعلام/ بهؤلاء المؤهلين إعلامياً / مستوى المعرفة بين أوسط الشعب حول تطورات العالم وما يجرى به من أحداث وما يشهده من تطور ، وما يحيق به من أخطار . كذلك الدفاع عن أفغانستان فى المجال الإعلامى الدولى ، وهى إحدى المهام الجهادية الكبرى التى تنتظر ذلك الإعلام كى يؤديها.

التوثيق التلفزيونى :

لا بد من الشروع فوراً "فى صباح اليوم التالى للتحرير" ، فى عملية توثيق كبرى بالصوت والصورة لكل ما يتصل بمرحلة الجهاد ضد الحملة الصليبية الأمريكية / الأوروبية ، وأخذ شهادات القادة والكوادر والمجاهدين وأفراد الشعب وتصوير الأماكن التى دارت عليها الأحداث وتوثيق رواية الأحداث والمعارك ، وتسجيلها من أفواه المشاركين فيها والقريبين منها . إن معظم تلك المواد الموثقة سوف يتحول إلى مواد دراسية فى الكثير من الكليات الجامعية ، وحتى فى الأكاديميات العسكرية والأمنية .

ـ فذلك التاريخ يجب حفظه ، بل أن مرحلة الجهاد ضد السوفييت ينبغى على الإعلاميين أو جهاز التوثيق الخاص بالدولة أن يجمع ما تبقى منه الأن . فالأمريكيون جمعوا كل ما أمكنهم الحصول عليه من وثائق تلك المرحلة سواء المكتوب منها أو المصور ، وضاع من المسلمين كنز هائل من المعرفة التاريخة مع دروسها التى كلفت الشعب نُهاراً من الدم .

مهام إعلامية عاجلة : إن التوثيق واحد من أهم الواجبات التى تتحمل الدولة مسؤوليتها ومعها الاعلاميين الذين خاضوا أهوال الحرب الأخيرة فى واحدة من أخطر جبهاتها وهى جبهة الإعلام .وقد دفعوا هم أيضاً ضرائب ثقيلة من الجهد والمعاناة والدم .

ـ بشكل عاجل يتم إعداد أفلام مصورة لدروس دينية يلقيها مشاهير العلماء الأفغان باللغات المحلية ، وتطوف بها قوافل ثقافية لعرضها فى كافة المناطق البعيدة . كما تعرض فى أماكن عامة تحددها إدارات المدن . وتعرض عليهم أيضا أفلاما وثائقية وتثقيفية مناسبة لضرورات حياتهم .

ـ تزويد الجامعات والوزارات بدوائر إنترنت مغلقة . تحتوى البرامج المعلوماتية اللازمة ، ودروسا ومحاضرات دينية وجهادية ، وبرامج وثائقية تناسب تخصصاتهم .

*****

الفصل السادس :

" الدولة الإسلامية " بين الحقيقة والإدعاء .

تطلق الدول على نفسها أسماء تصف ملامح نظامها السياسى ، فهناك جمهوريات وملكيات تصف طريقه إنتقال السلطة سواء بالوراثة (الملكية) أو بالإنتخاب (الجمهورية) . وهناك دول تصف نفسها بالإشتراكية لتمييز نظامها الإقتصادى والإجتماعى.

وهناك من يشير فى إسمه إلى أنه مركب من أجزاء مرتبطة بإتحاد، كالولايات المتحدة الأمريكية ، وهى ذات نظام جمهورى ديموقراطى . وهناك المملكة المتحدة ونظاها ملكى دستورى ، ولكنه ديموقراطى ، الملك فيه لا يمارس الحكم الفعلى ، وأطلقت على نفسها إسم المملكة المتحدة إشارة إلى إتحاد أقاليمها. وعندما حصلت بعض البلاد الإسلامية على إستقلالها أضافت على إسمها صفة "إسلامية" مثل جمهورية باكستان "الإسلامية" التى أرادت بذلك التمايز عن الهند التى يحكمها الهندوس ، أكثر من الإشارة إلى أن النظام الحاكم هو بالفعل نظام إسلامى . وجمهورية إيران "الإسلامية" التى أرادت الإبتعاد عن مجهودات النظام الإمبراطورى السابق لتغريب المجتمع والإبتعاد به عن الدين ، مع إعطاء بريطانيا وأمريكا إمتيازات خاصة فى الدولة ، وقد بذلت مجهودا فعليا كبيرا لأسلمة المجتمع والدولة، وهو مجهود يجب دراسته بعناية كبيرة . وكرزاى وصف جمهوريته "بالإسلامية" ومعروف حقيقتها وأنها لا تتمع حقا بأى من الصفتين ، فلا هى جمهورية ولاهى إسلامية ، فهى مجرد "مستعمرة أمريكية" فقط لا غير ، وهذا هو كل شئ فى نظام كرزاى .

ـ أنظمة الحكم تتعرض دوماً للمساءله على أعمالها فيحكم على بعضها بالخطأ أو الصواب. ولما كان لفظ الإسلام يدل على ديانة سماوية معصومة من النقص أو الخطأ ، فإذا أخطأ النظام الذى يصف نفسه بالإسلام سرعان ما تتوجه ألسنة السؤ إلى الإسلام نفسه . خاصة وأن أعداء الإسلام ، وهم الأقوى عالمياً حتى الآن ، حريصون على إبعاد الإسلام من ساحة الفعل والتأثير داخل أى مجتمع ، أو فى شئون العالم بشكل خاص. فإنهم يستفيدون من تفوقهم الكامل على ساحة الإعلام ، وعلى المنابر الدولية ، التى تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ، فتوجه كل تلك القوة للهجوم على الإسلام بشكل مباشر، وترجع كل خطأ فى ممارسات حكومة الدولة "الإسلامية" إلى الإسلام نفسه ، فتتهم الإسلام بتهم مثل معاداة حقوق الإنسان والمرأة ، أو تقول بتحريض الإسلام على العنف إذا مارس المسلمون فريضة الجهاد دفاعاً عن أرضهم وحقوقهم.

ـ ونتيجه لعهود طويلة من الإستعمار والضعف الإقتصادى والعلمى والثقافى، فدائماً ما تعانى الدول الإسلامية من مشكلات داخلية كبيرة ، مثل الفقر والإضطراب السياسى وربما الحروب أهلية. هذا فضلاً عن تدخلات القوى الكبرى فى شئونها لفرض التخلف الإقتصادى أو فرض حروب خارجية عليها لإضعافها أو إسقاطها نهائياً . وهناك الحصار الإقتصادى وفرض العقوبات التى تضعف الإقتصاد وتصيب الشعب بالفقر والمعاناة .

التأثيرات السيئة لتلك الأعمال العدائية الشريرة ينسبها العدو وأجهزة إعلامة للإسلام نفسه بل ويقولون بلا حياء بأن تطبيق الشريعة هو السبب فى تخلف الدول وإضطرابها.

ـ ومع ذلك فإن إطلاق صفة " إسلامية" على الدولة التى تحكم بشرائع الإسلام ، لم يكن يوما ضروريا بأى حال . وفى عهد شروق الإسلام الأول ، لم تطلق تلك التسمية على الدولة التى أقامها المسلمون تحت قيادة رسولهم الكريم . وحتى عند إمتدادها الأقصى وقوتها العالمية العظمى ، فى عهود الأمويين والعباسيين ، لم تطلق تلك التسمية على الدولة التى ظلت فى الصدارة الدولية المطلقة لقرون عديدة.

ـ أفغانستان بعد التحرير تحتاج الى وقت طويل نسبياً حتى تظهر عملياً آثار التطبيق الإسلامى فى المجتمع والدولة . وقبل ذلك فإن مشكلات ، وأيضا إخفاقات ، كثيرة متوقعة . وذلك أمر طبيعى ومنطقى ولا خشية منه . فالتطبيق بشرى وقابل للصواب والخطأ ، رغم أن المنهج نفسه سماوى ومعصوم من النقص والخطأ. وربما كان من الأفضل تأخير إطلاق صفة "إسلامية" على الدولة ، أو حتى الإستغناء عنها ، كونها ليست مفروضة دينيا . فالأساس هو البناء الحقيقى للمجتمع و الدولة على أسس إسلامية حقيقية وليست دعائية أو عابرة . فإن تكوين دولة قوية على أسس إسلامية حقيقية ، خير من إطلاق تسمية إسلامية على دولة لم يكتمل بها أى نوع من البناء الإسلامى ، والمظاهر السلبية تملأ أرجاءها ، فيكون ذلك موضع تشويه وتشهير بالإسلام نفسه.

فالحائق أهم بكثير من التسميات ، التى ربما تطلق فى غير موضعها . وهذا واضح فى تسميات الكثير من الدول التى لا يتماشى واقعها مع تسمياتها الرنانة . فكم هناك من جمهوريات لا يختار الشعب رئيسها بل يختار الرئيس نفسه بنفسه بقرار جمهورى يؤيده إستفتاء محدد النتيجة ، و ديموقراطيات إستبدادية ، أو إسلاميات هى أبعد ما يكون عن الدين . فالأولى هو ترسيخ الحقائق على الأرض ، فذلك أهم من إطلاق تسميات رنانه قد تعطى مردودا عكسياً. الأهم هو تطبيق شرائع ومفاهيم الإسلام بكل إصرار وصبر

ومثابرة ، مع الإكتفاء بإطلاق تسمية "دولة أفغانستان " بدون أى توصيف آخر . ولتأخذ الحقائق مكانا راسخا يتحدث عن نفسه على أرض أفغانستان قلعة الإسلام العظمى على الأرض ، فتلك حقيقة تاريخية ومستقبلية لا مراء فيها .

التشكيل الإدارى للدولة :

الدولة الإسلامية القوية، لا تقوم إلا على مجتمع مسلم متحد ومتماسك تسوده العدالة والتسامح.

توفر الدولة لذلك المجتمع الكرامة والأمن وفرص العيش الكريم، وتحمى الدولة عقائد المجتمع وثقافته، وتقود القيم الدينية فى السلوك والعبادة والعمل والبناء والسلم والحرب فى وقت واحد.

ـ **التطهر من رجس الإحتلال :** بعد دحر الإحتلال سوف ترث الدولة الإسلامية الجديدة مجتمعاً عبث به المحتل لأكثر من عقد من الزمان ، فأحدث به آثاراً سلبية فى الثقافة والأخلاق، خاصة فى العاصمة التى ركز الإحتلال فيها قوته . ونظراً لصلابة المجتمع الأفغانى وتماسكه الإجتماعى والأخلاقى ، فإن تاثره بالغزو الفكرى الأوروبى هو الأقل من نوعه لما يمكن أن يحدث فى أى مجتمع إسلامى آخر. ولما كانت حماية دين المجتمع وقيمه وأخلاقياته هى من أساسيات واجبات الدولة ، وجب أن تزال جميع آثار العدوان الثقافى التى نتجت عن الإحتلال وتطهير الحياة العامة منها.

التطهير الثقافى هو أول خطوات التطهير كما حدث بعد فتح مكة ، فكان تحطيم الأصنام هو أول مظاهر التوحيد بعد أن زهق الشرك .وليس ذلك إنتقاماً بل إستعادة للفطرة السلمية ومعتقدات المسلمين . طبيعى أن تزال وسائل الإعلام التى أوجدها المحتل ومولها ووضع أعوانه على رأسها . لكن الإعلامينن الذين لم يخدموا أهداف المحتل ، فمن الأفضل أن يبقوا فى المجال الإعلامى عاملين فى وسائل الإعلام المستقلة ، إلى أن يعاد تنظيم العمل الإعلامى طبقاً لميثاق إعلامى جديد

هيئة الإعلام والإرشاد : وهى هيئة غير حكومية ، وإن كانت الحكومة مشاركة فيها ، ومهمتها تنظيم العمل الإعلامى المحلى ، وترجع فى ذلك إلى "مجلس الشورى الموسع" الذى يمثل الشعب كله ، كما سيأتى ذكره . أما التعامل مع الإعلام الخارجى والتصريح له بالعمل فى أفغانستان فهو من إختصاص الحكومة وهى التى تضع الضوابط لذلك.

ـ إزالة الآثار الأخلاقية التى خلفها الإستعمار ستكون من التحديات ، حيث أن مدة بقائه كانت طويلة نسبياً ، نشأ خلالها جيل كامل من الشباب. لقد نقل الإحتلال بالتعليم والسلوك العملى كافة مظاهر الإنحراف الأخلاقى الغربى ، وذلك معروف جيداً ومصادرة محددة ، وزوال جيوش الإحتلال سوف تعجل بزوال تلك الأمراض الإجتماعية الظاهرة.

ـ الصفح الجميل هو لمن تعاون مع الإحتلال كأمر واقع أو كضرورة لا مناص منها ، أما من شرح للكفر صدراً ، فلهم مصير هم ملاقوه حتى لو تعلقوا بأستار الكعبة . ولكن الكلمة الفصل يجب تكون للمحاكم الشرعية ، وأمامها ينبغى أن يمثل قادة الميليشيات والشركات الأمنية والسياسيون الذين حرضوا الإستعمار على المجئ ، أو جاؤا فوق دباباته ، أو وضعوا أنفسهم رهن إشارته ، ومن تمسكوا ببقائه حتى النفس

الأخير، وكل من لم ينته عن تلك الموبقات قبل القدرة عليه ، فهؤلاء يقادون الى المحاكم الشرعية لتفصل فى شأنهم طبقاً لأحكام الشريعة .

ـ التحفظ الفورى على أموال وممتلكات جميع من تعاونوا مع الإحتلال ، إلى أن يبت القضاء فى شأنهم ومطالبة الدول الخارجية بتسليم المطلوبين للقضاء وإعادة أموالهم المهربة .

ـ هدم الواقع الإستعمارى وتطهير البلاد فى مخلفاته المادية والمعنوية ، هو مقدمة ضرورية لبناء واقع جديد طال إنتظاره . وبناء أجهزة الدولة هو أول خطوات البناء لأنها المحرك لباقى الأدوات الشعبية والقبلية . والمقصود ليس فقط الجهاز الإدارى للوزارات والهيئات الرسمية ، بل الأهم هو الهيكل العام لإدارة الدولة ، الذى يدير أجمالى نشاط مؤسسات الدولة والمجتمع فى الإتجاه الصحيح، طبقاً لبرامج وخطط زمينة.

هيكلية الحكم فى الدولة :

يمكن أن نتخيل هيكلاً إدارياً للدولة كالتالى : **(راجع المخطط المرفق رقم 2)**

1- رئيس الدولة : رمز الدولة وأعلى سلطة فيها . ويتم إختياره بعد التحرير بواسطة العلماء وقادة المجاهدين المنتصرين . وفى الظروف العادية ينتخب بواسطة مجلس الدولة العالى . أهم صلاحياته هى إقرار سياسات الدفاع والأمن والسياسية الخارجية والداخلية والتعليم والإعلام وهى السياسات التى تتولى تنفيذها الحكومة وأجهزة الدولة.

2- **مجلس الشورى الموسع :** ويمثل شعب أفغانستان كله . وهو أعلى سلطة تشريعية ورقابية فى البلاد. ومهمته سن القوانين ومحاسبة الوزراء ورئيس الحكومة ومناقشة برامج الحكومة قبل توليها لمهامها ، للموافقة على شخصيات الوزراء والإطمئنان على سجلاتهم وكفاءاتهم وله حق الإعتراض على أى منهم بأغلبية الأصوات وعندها يلزم إستبداله. ومن صلاحيات المجلس حجب الثقة عن أي وزير بأغلبية الأصوات. وتعرض ميزانية الدولة على المجلس للموافقة عليها قبل العمل بها. ويناقش المجلس الإتفاقات مع الدول الخارجية قبل إنفاذها .يشكل المجلس لجاناً خاصة لمتابعة النشاطات الهامة ، الحكومية والشعبية ، مثل الصحافة والتعليم والدفاع والأمن وهكذا . { يمكن أن يتشكل مجلس الشورى الموسع على النحو التالى : 20 عضو من كل قطاع إدارى فى الدولة وعددها ثمانية قطاعات ـ 10 من أساتذة الجامعة والمعاهد العليا ـ 20 من مصابى الحرب المجاهدين ـ 20 من قادة المجاهدين فى الحرب الأخيرة ـ 20 من دارسى العلوم الشرعية ـ 5 من قطاع التجار ـ 5 من رجال الصناعة ـ 5 من الإعلاميين المستقلين } .

هيئة الإعلام والإرشاد: وقد سبق الحديث عنها ، وهى هيئة مستقلة عن أجهزة الدولة ، مهمتها وضع ميثاق العمل الإعلامى . وأهم مقوماته الإستقلال عن التمويل الخارجى . ومن أهم واجباته الحفاظ على القيم الدينية والإجتماعية وتقوية أواصر الوحدة بين فئات الشعب ومقاومة دواعى الفرقة والفتن ، والتنبيه إلى مواطن الإنحراف والخطر . ومراقبة أداء السلطة التنفيذية "الحكومة" ، هذا الى جانب مهام التثقيف، ونقل نبض العالم إلى المواطن الأفغانى، والدفاع عن قضايا أفغانستان فى المجال الدولى فى مواجهة

الحروب النفسية والإعلامية التى يشنها الأعداء الذين فشلوا فى السيطرة على هذا البلد ، أو الذين قد تراودهم أوهام السيطرة عليه مستقبلاً .

ترتبط هيئة الإعلام والإرشاد بمجلس الشورى الموسع لمناقشة قضايا الإعلام والإعلاميين ومطالبهم والمشاكل التى تعترض أداء رسالتهم ، وتنظيم صلاتهم بالحكومة وإتصالهم مع العالم الخارجى والإعلام الدولى بمختلف إتجاهاته. وكذلك تنظيم موارد المساعدة المالية للقطاع الإعلامى المستقل ، ومصادر ذلك العون بحيث لا يستلزم تبعية للحكومة التى من المفترض أنه سلطة رقابية عليها ، تماماً كما هو دور مجلس الشورى الموسع كسلطة رقابة وتشريع .

3 ـ مجلس الأمن القومى : مهمته بحث القضايا الحساسة التى تواجه الدولة ، وإقتراح الحلول المناسبة وتقديمها لرئيس الدولة كى يقرر ما هو أصلح منها . يعين رئيس الدولة مندوبا عنه فى المجلس هو مستشار الأمن القومى ، يختاره من بين الشخصيات البارزة ذوى الخبرة السياسية والأمنية.

ـ للمجلس تكوين مختصر، وآخر موسع حسب ما تقتضى الحاجة وبطلب من رئيس الدولة.

التكوين المختصر يضم إلى جانب مستشار الأمن القومى و رئيس الوزراء كل من ، وزراء الدفاع والداخلية والإستخبارات.

ويطلب رئيس الدولة بنفسه ضم وزراء آخرين مثل وزراء الإقتصاد والإعلام وخبراء آخرين فى مجالات تتناسب مع موضوع البحث.

- يرفق بالمجلس **"مكتب أبحاث الأمن القومى"** ، لإعداد دراسات حول القضايا الإستراتيجية والدفاعية والأمنية ، والإقتصاد والإجتماع وكافة الأفرع التى تعنى إدارة الدولة . ترفع الأبحاث إلى أعضاء مجلس الوزراء وقادة الدفاع والأمن وجهات الإختصاص بالبحث.

4 ـ **هيئة الإستخبارات ومكافحة التجسس :** وهى جهاز إستخبارات مهمته الحصول على المعلومات التى تهم الدولة وتتعلق بأمنها الشامل العسكرى والإقتصادى والإجتماعى. كما يلاحق الجهاز أنشطة التجسس الخارجية ، حيث أن أفغانستان واحدة من أكثر دول المنطقة إستهدافاً بتلك النشاطات.

5 ـ مجلس الدولة العالى : يتكون من : قادة المجاهدين - العلماء - زعماء القبائل .

ومن صلاحياته إختيار رئيس الدولة ، والبحث فى صلاحية إستمراره فى الحكم إذا تقدم بطلب ذلك عشرة من أعضاء المجلس . ويمكن عزل الرئيس إذا وافق ثلاثة أرباع المجلس على ذلك. وإذا صار منصب رئيس الدولة شاغرا لأى سبب يختار المجلس رئيسا جديدا ، يعرضه على مجلس الشورى للموافقة عليه وتكون تلك موافقة نهائية ، وبعدها يزاول الرئيس الجديد مهامه . يمكن لرئيس مجلس الشورى الموسع أو قاضى القضاة أن يمارس صلاحيات رئيس الدولة فى حالة شغور المنصب وإلى أن يتم إختيار الرئيس الجديد فى مدة يجب ألا تتجاوز شهرين .

6 ـ مجلس القضاء الأعلى : ويترأسه قاضى القضاة ، وهو أحد كبار القضاة رشحهم مجلس الدولة العالى ضمن مجموعة من الأسماء ليختار منها رئيس الدولة الشخصية الأنسب.

يترأس القاضى هيئة من خمسة قضاة مهمتها الإشراف على جهاز القضاء فى أرجاء الدولة ، والنظر فى القضايا الكبرى أو الأشكالات القضائية المستعصية، ويتوالى النظر فيها بنفسه ، أو يعين القاضى المناسب.

- لكل قطاع إدارى (القطاع مكون من عدة ولايات) يوجد مجلس قضاء للإشراف على سير المحاكم المنتشرة فى القطاع ويحل مشاكلها الإدارية والقضائية.

حتى لا يخضع القضاء لتجاذبات السياسة وتأثيراتها على حياد القضاء ، يجب فصله عن السلطة التنفيذية "الحكومة" مالياً وإدارياً. فلا تتدخل الحكومة فى تعيينات القضاة ولا تنفق عليهم من ميزنيتها ولا تحدد رواتبهم ولا تمنحهم أى نوع من المكافئات، فكل ذلك موكول إلى مجلس القضاء الأعلى .

وتخصص الدولة جزء من الأوقاف الخيرية للإنفاق على القضاء والمحاكم ، لتكفل لهما الإستقلال المادى، وعدم الخضوع لضغوط سياسية من الحكومة.

شرطة القضاء : تخصص قوة من الشرطة تكون تحت سلطة القضاء ، بهدف تنفيذ الأحكام أو إحضار الإشخاص المطلوبين للمحاكمة ، أو إجبار المحكومين على تنفيذ الأحكام . بحيث لا تتباطأ قيادة الشرطة فى تنفيذ الأحكام إذا كانت صادرة بحق أحد المرتبطين بها أو أحد أقاربهم أو حتى الأغنياء أصحاب النفوذ والقادرين على إستخدام سلاح الرشوة لإفساد الضمائر.

شرطة القضاء توفر الحماية لمقار المحاكم والقضاة ومعاونيهم ، وللشهود أيضاً إذا إقتضت الضرورة.

7 ـ مجلس الوزراء : وهو القوة التفيذية الرئيسية فى الدولة ، وله تفصيل لاحق .

مكتب الإعلام المركزى "الحكومى" : للحكومة أيضاً جهازها الإعلامى وهو الجسم الأساسى للإعلام خاصة فى المراحل الأولى ، حيث تتوفر له الإمكانات الأكبر. ويشرف عليه "مكتب الإعلام المركزى" الملحق برئاسه الوزراء. ومن مهام المكتب تنظيم عمل الإعلام الدولى داخل أفغانستان وتحديد القوانين والضوابط لذلك. وأيضا الإشراف على وسائل الإعلام التابعة للحكومة ، وتحديد سياستها الإعلامية ، وتنسيق علاقتها مع الإعلام المحلى والدولى .

نظام الحسبة فى الدولة :

وهو نظام إسلامى لضبط الإنحرافات فى السلوكيات العامة أو المعاملات فى الأسواق والحياة الإجتماعية . ويقوم به من يعينهم لذلك الأمام " رئيس الدولة " ، حتى يضمن أن لدى رجال الحسبة من العلم والكياسة ما يمكنهم أداء تلك الخدمة للمسلمين .

طبقت الإمارة الإسلامية نظام الحسبة بواسطة هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وجاءت تلك التجربة بالقليل من الفوائد والكثير من السلبيات . ولعل معظم الإنتقادات التى وجهت إلى تلك الفترة من حياة الإمارة كان بسبب أخطاء الهيئة المذكورة .

أكبر الأخطاء أن الهيئة نقلت حرفياً تجربة المملكة السعودية وجهازها المعروف بنفس الإسم . وهو جهاز شهير بسمعته غير الحميدة داخل المملكة وباقى بلاد المسلمين والعالم.

ويشتهر بالتشدد الفقهى المبالغ فيه ، والخشونة فى التعامل مع الناس ، التركيز على مسائل فرعية والتساهل أو التغافل عن أشياء جوهرية. وعدم مراعاة أحوال الناس والمجتمع ، والتدخل فى خصوصيات الأفراد وحريات لا يمنعها الشرع ، فى محاولة لفرض شكل محدد من المظاهر ، غير ممكن فى الواقع ، ويستخدم لذلك درجة من الغلظة تنفر الناس وتثير سخطهم.

يجب حذف ذلك الجهاز من الحياة العامة وإستبداله بأسلوب جديد للحسبة ومفهوم مختلف وأشخاص مناسبين ، لديهم تعليمات واضحة من السلطة السياسية والعلماء، حول النقاط الهامة، والنقاط الأخرى الفرعية . وأن تحدد لهم أساليب التعامل مع الناس وعدم التجاوزعلى حرياتهم أو كرامتهم وإلا تعرضوا هم أنفسهم للعقاب. فلا يصح أن يوضع أحد خارج إطار القانون الشرعى الذى يحفظ كرامة الناس وخصوصياتهم . فليس من حق أحد تنفير الناس من الإسلام بأن يضيق علهيم ما وسعته عليهم الشريعة أو لم يرد بشأنه نهى واضح ، أو تعميم الأحكام التى جاءت لحالات بعينها . أى أن الفقه يجب أن يكون حاضراً وليس العصا فى عملية الحسبة.

وحتى نتجنب الآثار السيئة للتطبيق الخاطئ لنظام الحسبة ، يجب أن يوضع ميثاق تفصيلى لكيفية تطبيق ذلك المبدأ مرة أخرى فى أفغانستان ، وأن تتكون لجنه من كبار العلماء وعلماء الإجتماع والسياسة والأمن ، للإتفاق على منهج تفصلى ينظم الحسبة ويحدد الضوابط ، ويضع العقوبات على الذين يسيئون تطبيق الحسبة بدوافع شخصية أو نوازع نفسية من كراهية أو تعصب أو تعنت لمجرد التعالى وإذلال الآخرين . مع فتح باب الطعن والتظلم أمام الأفراد الذين يصيبهم ضرر.

ـ ربما كان من الأنسب ربط جهاز الحسبة بقاضى القضاة مباشرة ، وليس بالحكومة حتى لايكون الجهاز خاضعا لأى مآرب سياسية تنحرف به عن وظيفته الإرشادية .

ـ يعتمد رئيس الدولة الميثاق المنظم لعملية الحسبة قبل وضعه موضع التطبيق ، كما يوافق على تشكيلة الجهاز كما يقترحها مجلس الشورى الموسع .

تشكيل مجلس الوزراء : (راجع الشكل رقم 3)

هو أهم الأجهزة التنفيذية فى الدولة ، ويترأسه رئيس مجلس الوزراء. فى بداية عمل الدولة الجديدة فإن رئيس الدولة هو الذى يختار رئيس الوزراء ، ثم يتشارك معه فى إختيار باقى الوزراء أو رؤساء الهيئات والأقسام العاملين معه . وبعد أن يتم بناء التشكيل الإدارى للدولة فإن مجلس الدولة العالى هو الذى يقدم إلى مجلس الشورى الموسع إسم رئيس الوزراء ليوافق عليه قبل رفع الترشيح الى رئيس الدولة للحصول على الموافقه النهائية . ومن حق رئيس الدولة الإعتراض على شخصية المرشح لرئاسة الوزراء . ويلتزم مجلس الدولة الأعلى بتقديم بديل جديد.

رئيس الوزراء يخضع لمساءلة رئيس الدولة فى مناقشة برامج الوزارة وإقرارها ، وفى متابعة سلامة التنفيذ أو إدخال التعديلات. وتلزم موافقة مجلس الشورى الموسع على أى تعديلات تم دخالها بعد مناقشة المجلس لرئيس الحكومة حول سياسات حكومتة قبل تولية مسئولية منصبه .

مجلس الشورى الموسع من سلطاته أيضاً مناقشة رئيس الوزراء والوزراء وحجب الثقة عن المقصرين ليتم إستبدالهم حسب قواعد يتم إقرارها لتنظيم العلاقة بين الجهاز التشريعى أى " مجلس الشورى" و الجهاز التنفيذى أى "مجلس الوزراء". وتنظيم علاقة المجلسين برئيس الدولة .

– يراعى فى تشكيل الحكومة أى " مجلس الوزراء" تقليص الجهاز الإدارى وتقليل عدد الوزراء ، وتجميع التخصصات المتصلة ببعضها فى هيئة واحدة لتسهيل الإتصال والتنسيق . فمجلس الوزراء بالشكل المقترح عبارة عن مجموعات عمل .

يتكون مجلس الوزراء من أربعة قطاعات وإدارات تنفيذية يرأس كل منها وزير، يساعده وكلاء وزارة ومستشارون حسب الإحتياج ، هذه الهيئات هى :

1- **هيئة الإعمار:** ومن مهامها – إعادة بناء القرى المدمرة فى الحرب – بناء الطرق والجسور وصيانتها – مشاريع خطوط السكك الحديد – بناء وصيانة شبكات الرى – تمديد شبكات الإتصالات السلكية واللاسلكية.

2 ـ هيئة التنمية: غايتها زيادة الثروة الوطنية فى القطاعات المنتجة ، ومن مهامها العمل فى الآتى:

- المشروعات الزراعية والإصلاح الزراعى وشبكات الرى والصناعات الغذائية.
- نشاطات التعدين (إستخراج المعادن) والصناعات القائمة عليها. والإشراف على المشاريع الصناعية ، ومشاريع الطاقة ، والمشاريع المشتركة مع دول الجوار .
- الإشراف على البنك المركزى ، وعمليات طبع العملة المحلية، وتنظيم إستخدام العملات الأجنبية وتحديد أسعارها .
- رعاية الغابات والحفاظ على البيئة من الملوثات بأنواعها. وإنشاء مشروعات متعلقه بالغابات وتصنيع الأخشاب.
- رعاية الثروة الحيوانية ، وتشجيع الرعاة على إبقاء ثروتهم الحيوانية فى البلاد ومساعدتهم بمشاريع تتعلق بثروتهم الحيوانية من تجميد اللحوم وتعليبها وصناعة الصوف ودبغ الجلود. والمصنوعات اليدوية .

3 ـ جهاز الخدمات العامة:

- يشرف على الرعاية الصحية والمستشفيات ـ وهى إختصاص وزارة الصحة – وأيضاً مجموعات الرعاية الإجتماعية للأيتام والأرامل والمعاقين، والمعوزين إلى آخر الخدمات الأخرى.

4 ـ جهاز التعليم : (رسم إيضاحى رقم 1)

يشرف على العملية التعليمية كلها ، من التعليم الأساسى إلى المعاهد العليا والجامعات والدراسات العليا والبعثات التعليمية إلى الخارج ، كما يحدد الإحتياجات من المبانى والمدرسين والوسائل التعليمية.

5 - وزارة الدفاع الجهادي:

يتولى أمرها وزير الدفاع ولها تفصيل مستقل لاحق.

إدارة الأمور الداخلية: وتدير جهاز الشرطة الذى يتولى الأمن الداخلى ، والإشراف على الجوازات والمنافذ الحدودية. والإشراف أيضاً على أكاديمية الشرطة ، والتعليم الأمنى الذى يلتحق به الطلاب منذ الصف الدراسى العاشر.

6 - هيئة الإستخبارات الداخلية:

وهى جهاز أمن داخلى للأمور الجنائية والتهريب ومكافحة الجريمة المنظمة والنشاطات المخلة بأمن المواطنين.

تشكيل وزراة الدفاع الجهادي : (أنظر شكل رقم 4)

يترأسها وزير دفاع ، ويشرف على سبعة أفرع أساسية وقد سبق الحديث عنها عند الحديث عن " تحديات الدفاع" ، وهى كالتالى :

1- قوات المرابطين : وهى قوات قبلية سبق الحديث عنها .
2- جيش الدفاع الجهادى: وهو القوة المركزية الضاربة الأساسية.
3- **إستخبارات الجيش:** وهو جهاز الإستخبارات العسكرية، وله أفرع ممتدة فى كل القطاعات.
4- **قوات الجهاد فى المدن**: ولها إدارتها الخاصة بالتنظيم والتدريب والتسليح وإجراء المناورات وتنظيم التعاون مع الأفرع الأخرى للقوات المسلحة.
5- **إدارة التصنيع العسكرى**: لتنفيذ برامج التصنيع المتدرج للسلاح والذخيرة .
6- **قسم الأبحاث والتطوير**: ومهمته تطوير أساليب القتال ، وتطوير الأسلحة .
7- **المدارس والكليات العسكرية**: تبدأ المدارس العسكرية من الصف الدراسى العاشر ، أى من مرحلة التعليم الثانوية ، ويبدأ تأهيل طلاب المدارس الدينية للدخول الى السلك العسكرى منذ الصف السابع أى بداية مراحلة التعليم الإعدادي . حتى يتم تدريسهم العلوم العصرية الضرورية مثل الرياضيات والفيزيا والكيمياء، ويمكنهم بعد المرحلة الثانوية الإلتحاق بكلية الشرطة أو كلية الدفاع.

التشكيل الإدارى للقطاع :

القطاع هو مجموعة من الولايات المتجاورة والمترابطة جغرافياً وقبلياً بحيث يمكن إدارته كمجموعة واحدة . يتشكل التركيب الإدارى للقطاع من الآتى:

1- محافظ القطاع: ويعينه رئيس الدولة من بين مجموعة مرشحين يقدمهم مجلس الدولة العالى، ومهمته إدارة القطاع والتشكيلات الإدارية التى تتولى العمل فيه.

2- مجلس الدفاع والأمن: وهو الجهاز المشرف على قوات الدفاع والأمن فى الولايات التى يتكون منها القطاع ويعتبر القيادة المركزية فى القطاع لتلك النشاطات.
3- مجلس شورى القطاع: يتكون من العلماء وقادة المجاهدين وشيوخ القبائل والأعيان والقادة المدنيين فى القطاع ، ومهمته المشاركة فى تذليل المصاعب الإدارية والعملية والمعيشية أو التحديات الأمنية والدفاعية التى قد تظهر. ويساهم فى وضع تشريعات وقوانين خاصة بتنظيم النشاطات التى يتميز بها القطاع .
مجلس شورى القطاع يرشح من خارج أعضائه عدد 20 عضواً لمجلس الشورى الموسع – ومقره العاصمة كابول – ويمكنه أيضاً ترشيح شخصيات أخرى للشورى الموسع مثل الشخصيات الجهادية والصناعيين والتجار .. إلخ . حسب ماهو مطلوب فى تشكيل ذلك المجلس المركزى .
4- أجهزة الإدارة الحكومية: وهى أفرع الوزارات الموجودة فى الأقليم . ومهمة محافظ القطاع تسهيل عمل تلك الإدارات وتقديم المشورة لها، وتوفير الأمن والحماية لأفرادها ومشاريعها فى القطاع .
*****

وأخيرا ..

سياسة أفغانستان تجاه الآمم المتحدة

قبل العدوان الأمريكي على أفغانستان ساد إعتقاد خاطئ بأن افغانستان لا قيمة لها إلا إذا إنضمت الى منظمة الأمم المتحدة . وهو الأمر الذى عرقلته الولايات المتحدة وعصابتها.

وعلى العكس كان مجلس الأمن هو رأس الرمح فى غزو أفغانستان وأعطى الغزو تلك الشرعية الشيطانية المسماة زورا "شرعية دولية". وبعد إندخار الحملة الصليبية التى شنها جورج بوش الإبن مع حلف الناتو ، فإن قبول أفغانستان تحت قيادة حركة طالبان فى المنظمة الدولية هو أمر مشكوك فيه ، ولن يضير ذلك أفغانستان فى شئ ، فلديها خيارات واسعة جداً لبناء نفسها ذاتيا ، وإحتلال مكانة إقليمية ودولية كبيرة ، بعيداً عن الأمم المتحدة ومجلس أمنها العدوانى ، الذى أسماه البعض "مجلس الحرب الدولى" . ولنا قدوة فيما حدث للصين الشعبية التى حرمتها الولايات المتحدة من حقها فى المنظمة الدولية والعضوية الدائمة فى مجلس الأمن ، ومنحوا تلك الحقوق لجزيرة " فرموزا" المنشقة عن الوطن الأم ويحكمها نظام عميل للغرب. وبعد عشرين عاماً تمكنت الصين من بناء قوة كبيرة بالإعتماد على شعبها ومواردها . فأضطرت أمريكا للتراجع فطردت فرموزا ووضعت محلها الصين الشعبية فى المؤسسات الدولية.

إن أفغانستان فى حاجة إلى عقدين أو ثلاثة من الزمان لبناء قوتها الذاتية التى تمكنها من إداء دورها كاملاً فى الإقليم وللمسلمين قاطبة.

خلال فترة البناء الداخلى ، سيكون بناء القوة الذاتية هو الأولية المطلقة لدولة أفغانستان . ومع ذلك فإن فرص العمل فى مجال العلاقات الخارجية متاحة لدرجة كبيرة مع كل دول الجوار والإقليم الأسيوى وقواه الكبرى من روسيا إلى الصين والهند وإيران وباكستان . لأن كل تلك القوى لا يمكنها تجاهل أفغانستان وثقلها الإقليمى ، وحتى بدون الدخول فى المنظمات الاقليمية مثل منظمة شنغهاى . ولكن إذا تطورت

العلاقات الأسيوية إلى درجة تسمح بإنضمام أفغانستان إلى العمل الجماعى فسيكون ذلك مفيداً بلا شك . وبالتدريج تتوسع أفغانستان فى مجال علاقاتها الإقليمية.

ـ الهدف الأكبر فى سياسة أفغانستان الخارجية هو الوصول الى نظام دولى جديد ، مركزه قارة آسيا، وتتعاون فيه دول أمريكا الجنوبية الساعية نحو الإستقلال ، وكذلك دول أفريقيا التى تعانى حالياً من هجمة إستعمارية جديدة من دول الإستعمار الأوروبى والولايات المتحدة .

ـ من الضرورى أيجاد منظمة دولية تعبرعن الواقع الدولى الجديد ، بعيدا عن السطوة الأمريكية / الأوروبية. أن منظمة الأمم المتحدة بشكلها الحالى تعبر عن نظام دولى لم يعد موجودا . وعلى دول آسيا أن تنشئ منظمتها الجديدة التى تبدأ أولا على النطاق الأسيوى ثم تفتح باب الإنضمام لدول العالم الراغبة فى التعامل مع الواقع الجديد . وذلك ماتسعى إلية السياسة الخارجية لأفغانستان ، بصفتها المؤسس الرئيسى للواقع العالمى الجديد .

أفغانستان والولايات المتحدة

تمسك حركة طالبان بالعنق المكسور للولايات المتحدة . ذلك العنق الذى دقته الحركة على أرض أفغانستان فى مقاومة لا نظير لها ، إستمرت لأكثر من عقد من الزمن . موقع أفغانستان الفريد فى وسط آسيا الحيوي، يجعل الهزيمة المذلة للولايات المتحدة ذات مردود سياسى وإستراتيجى مدمر. ناهيك عن ضياع هيبة الولايات المتحدة فى العالم ، وتراخى قبضتها كثيراً عن المنطقة العربية ، لدرجة جعلت إسرئيل تتجرأ وتطرد أمركيا من أهم مواقع نفوذها التقليدية فى منطقة الخليج ومنطقة القلب العربية . لا ننسى بالطبع أن ضياع عائدات الأفيون وصناعة الهيروين التى ركزتها الولايات المتحدة فى أفغانستان سوف تكون ضربة موجعة للبنوك الأمريكة والعالمية، وبالتالى الإقتصاد الأمريكى والأوروبى والإسرائيلى

ـ وكذلك فإن خطوط نقل الطاقة من آسيا الوسطى إلى ميناء الجوادر ستكون فى مهب الريح . ورهن بموافقة حركة طالبان على شروط عادلة ومكافئة لمثيلاتها فى العالم . وهو الأمر الذى رفضته الولايات المتحدة ، حتى لا تساهم تلك الثروة فى تقوية حكم حركة طالبان الإسلامية على غير مذهب الإسلام الأمريكى / الإسرائيلى الشائع فى أرجاء كثيرة فى العالمين العربى والإسلامى .

ـ فشل المفاوضات الأمريكية مع حركة طالبان حول خطوط نقل الطاقة ، كانت سبباً جوهرياً لشن الحرب ، وبالطبع بعد دافع الأفيون.

تحاول الولايات المتحدة إرغام حركة طالبان على قبول شروطها بالإبقاء على قوة إحتلال محدودة ، داخل قواعد عسكرية حصينة ، معتمدة على قوة الجيش الأفغانى الذى دربته وانفقت عليه ببذخ مع تمويل سنوى مقداره ستة مليارات دولار سنوياً . تدفع منها أمريكا والحلفاء أربعة مليارات أى أكثر مما تقدمه أمريكا لأسرائيل ، التى تتلقى أكبر دعم عسكرى تقدمه لدولة فى العالم . يدل ذلك على مدى أهمية أفغانستان للولايات المتحدة إقتصادياً وإستراتيجياً ، ناهيك عن تحول إسرائيل إلى منافس / أو حتى متسلط / أكثر منها حليف ، بينما أفغانستان تحت حكم كرزاى وباقى حراس الإحتلال يقدمون خدمات استراتيجية وإقتصادية هائلة للولايات المتحدة فى توقيت دولى حساس وظروف أمريكية داخلية حرجة.

مع ذلك فأمريكا فى محاولة يائسة ، تعلم يقينا أنها فاشلة ، ولكنها تراهن على المصادفة ، كأن تخطئ قيادة طلبان سياسياً ، فتقبل بتراجع ولو بسيط ، تكون أمريكا بمهارتها السياسية قادرةعلى تحويله إلى هزيمة سياسة كاملة.

فالجيش الأفغانى والشرطة والإستخبارات وهى الأجهزة التى يعتمد عليها الإحتلال ، لن تتمكن من أداء المهمة ، فهى جاهزة للتفكك وليس القتال ، لأن عناصر تلك الأجهزة يعلمون أن تواجدهم فى وظائفهم أمر مخالف لإرادة القبائل والعلماء ، وهما القوى المحركة فى أفغانستان وهى قوى مؤيدة لحركة طالبان.

فالقواعد الأمريكة سوف تتساقط ، ومعظم من فيها سيكونون رهن القتل أو الأسر . فالأفضل لهم الإنسحاب بدون المجازفة بالبقاء بعد سحب الجسم الرئيسى لقواتهم .

<u>هذا ما تريده وتخطيط له الولايات المتحدة، فماذا تريد حركة طالبان وشعب أفغانستان؟؟</u>

أعلنت الحركة مراراً أنها تريد إنسحاباً أمريكيا شاملاً ، بغير قيد أو شرط أو إتفاق مسبق يعطى غطاءً للهزيمة الأمريكة الفاضحة.

ـ ومن حق الحركة الحصول على إعتذار رسمي وعلنى من الولايات المتحدة ومن فوق منبر الأمم المتحدة ومن البيت الأبيض ، وهما بؤرة إنطلاق حرب بوش الصليبية ومباركة المنظمة الشيطانية.

- من حق شعب أفغانستان أن يطالب بتعويضات حرب كاملة ، تعادل بشكل تقديرى خمسة أمثال التكلفة المعلنة للحرب ، التى هى مئة مليار دولار سنويا تدفعها أمريكا فقط ، هذا غير مساهمات باقى عصابة الحلفاء الآخرين .
- ومن حق شعب أفغانستان أن يطالب بتعهد كتابى من الولايات المتحدة وتضمنه الأمم المتحدة ومجلس الأمن بعدم التدخل فى شئونها الداخلية أو إثارة العداوات ضدها فى المنطقة ، وأن تمتنع عن حصارها إقتصاديا ، أو العدوان عليها إعلاميا.

نفس التعويضات والتعهدات تحتاجها أفغانستان من باقى دول حلف الناتو كل على حده . وكذلك باقى الدول التى تطوعت فى حلف العدوان . بعد ذلك يمكن الحديث عن علاقات طبيعية مع أمريكا ودول حلف الناتو.

هيكل النظام التعليمي :

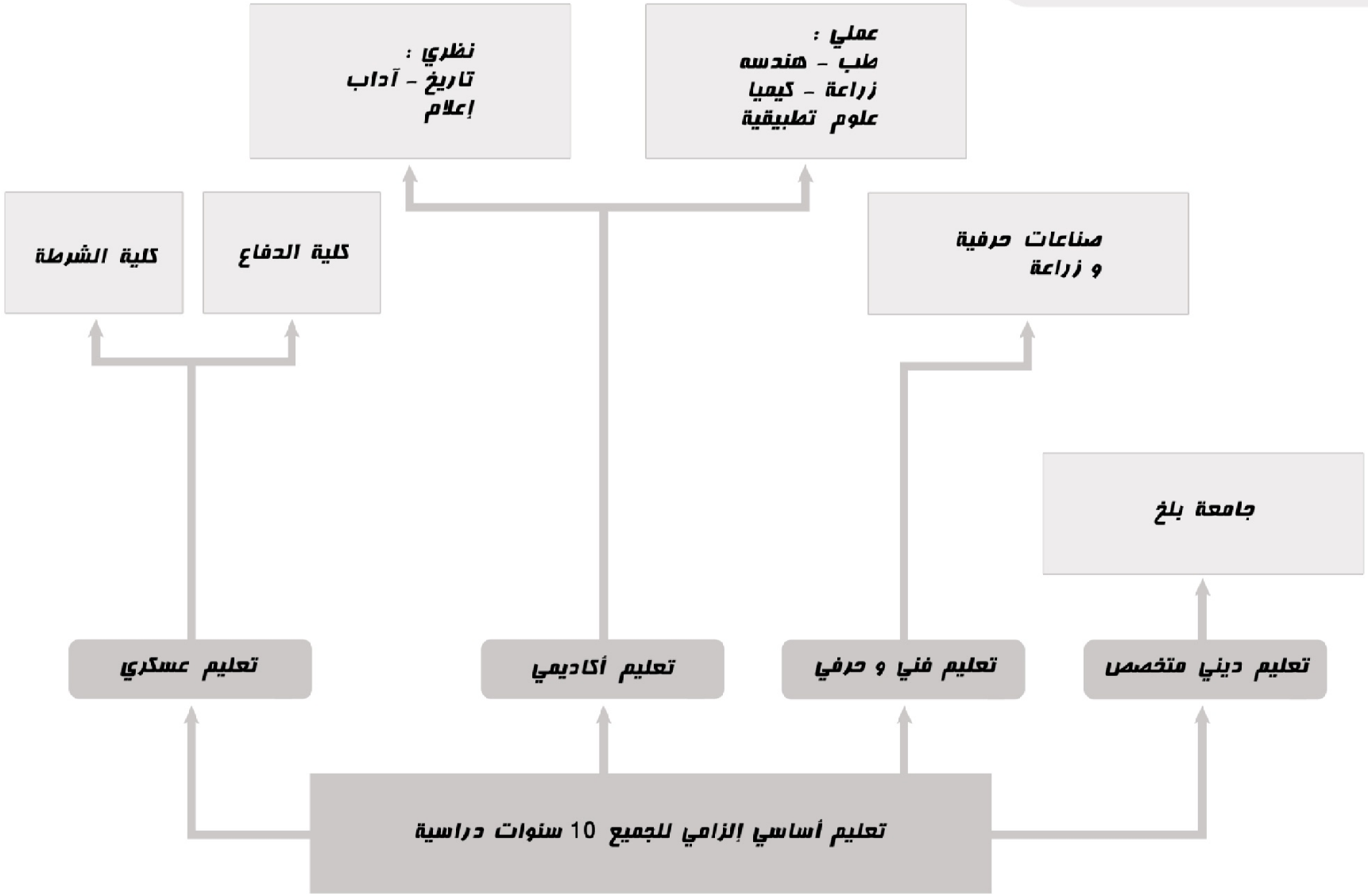

شكل 1

التشكيل الإداري للدولة :

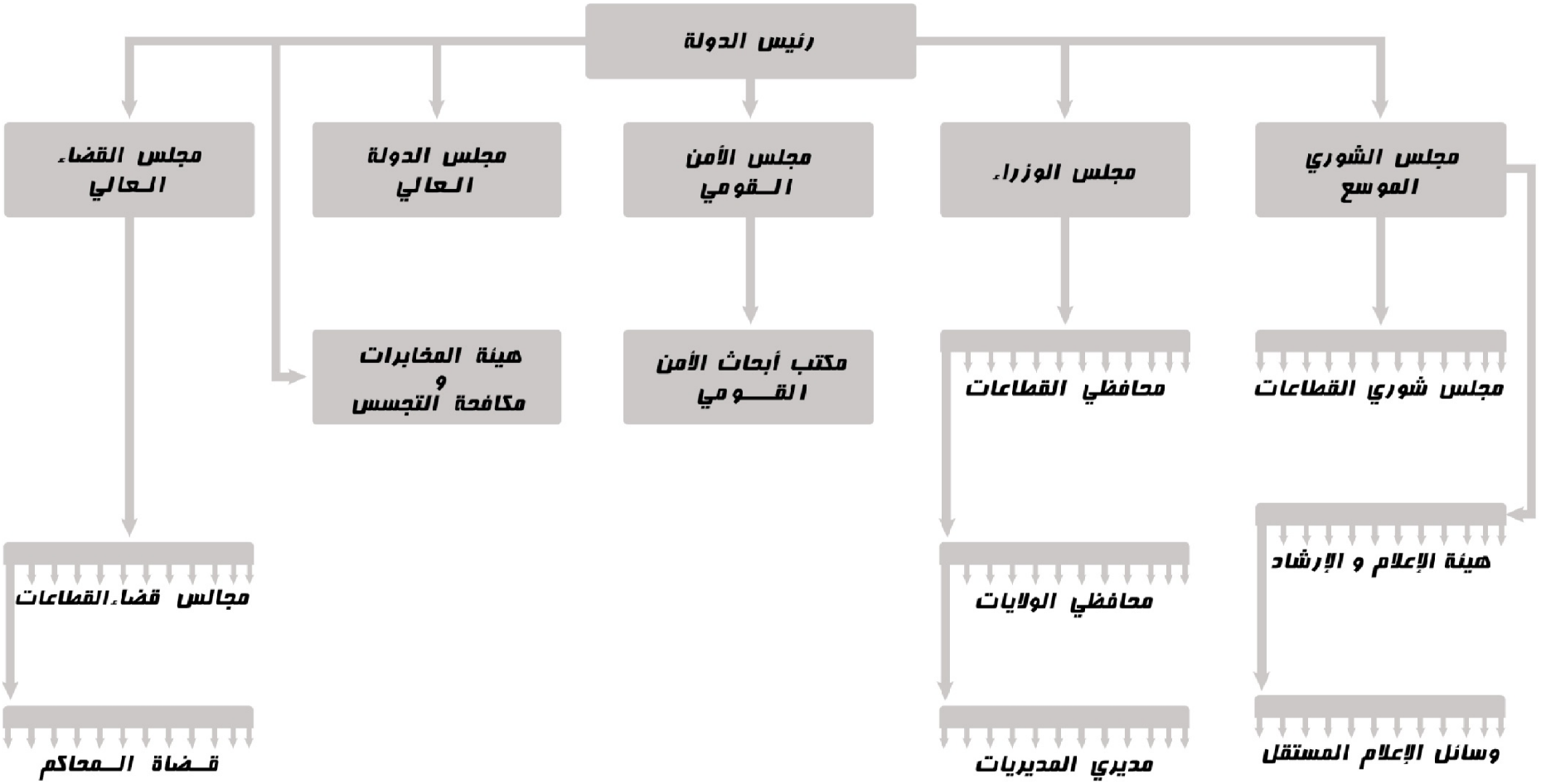

شكل 2

تشكيل مجلس الوزراء

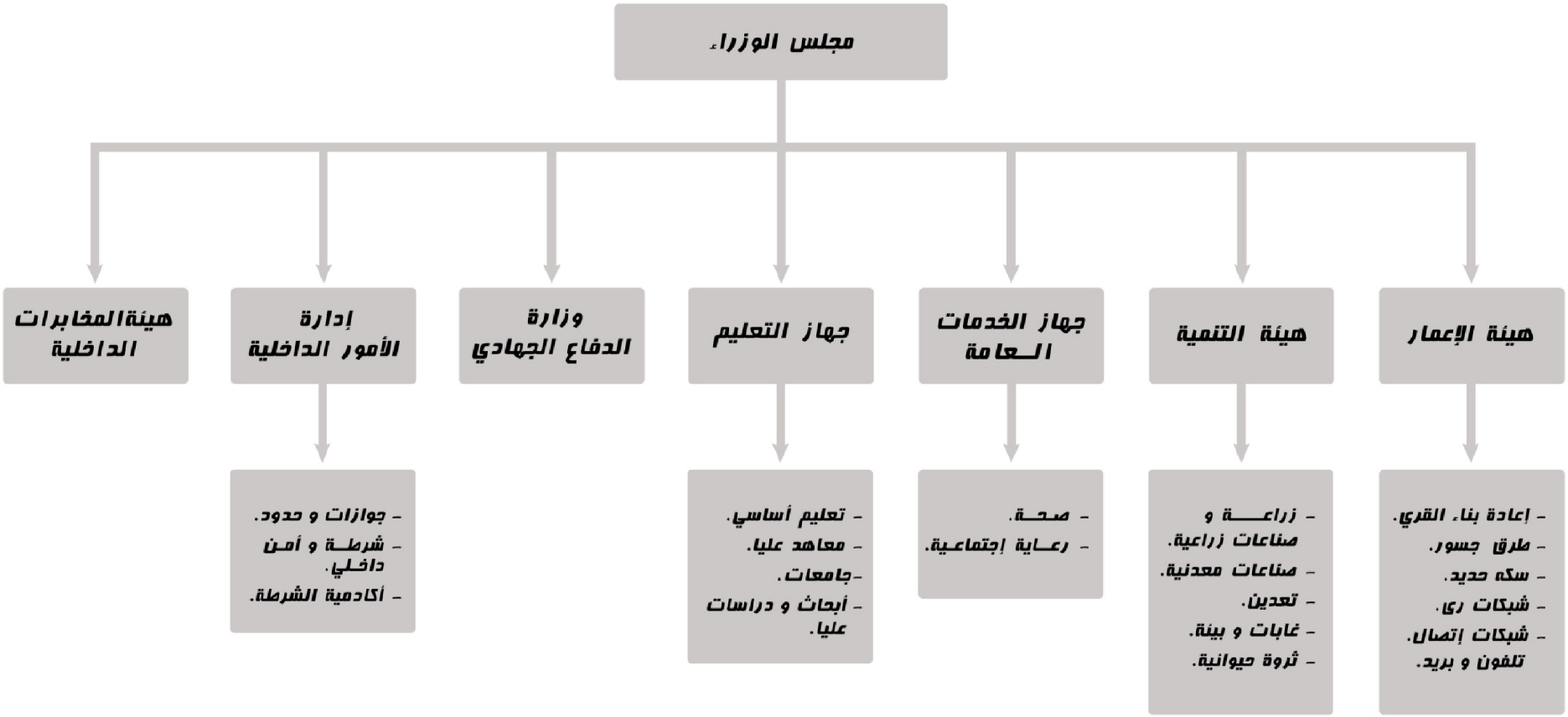

شكل 3

تشكيل وزارة الدفاع الجهادي:

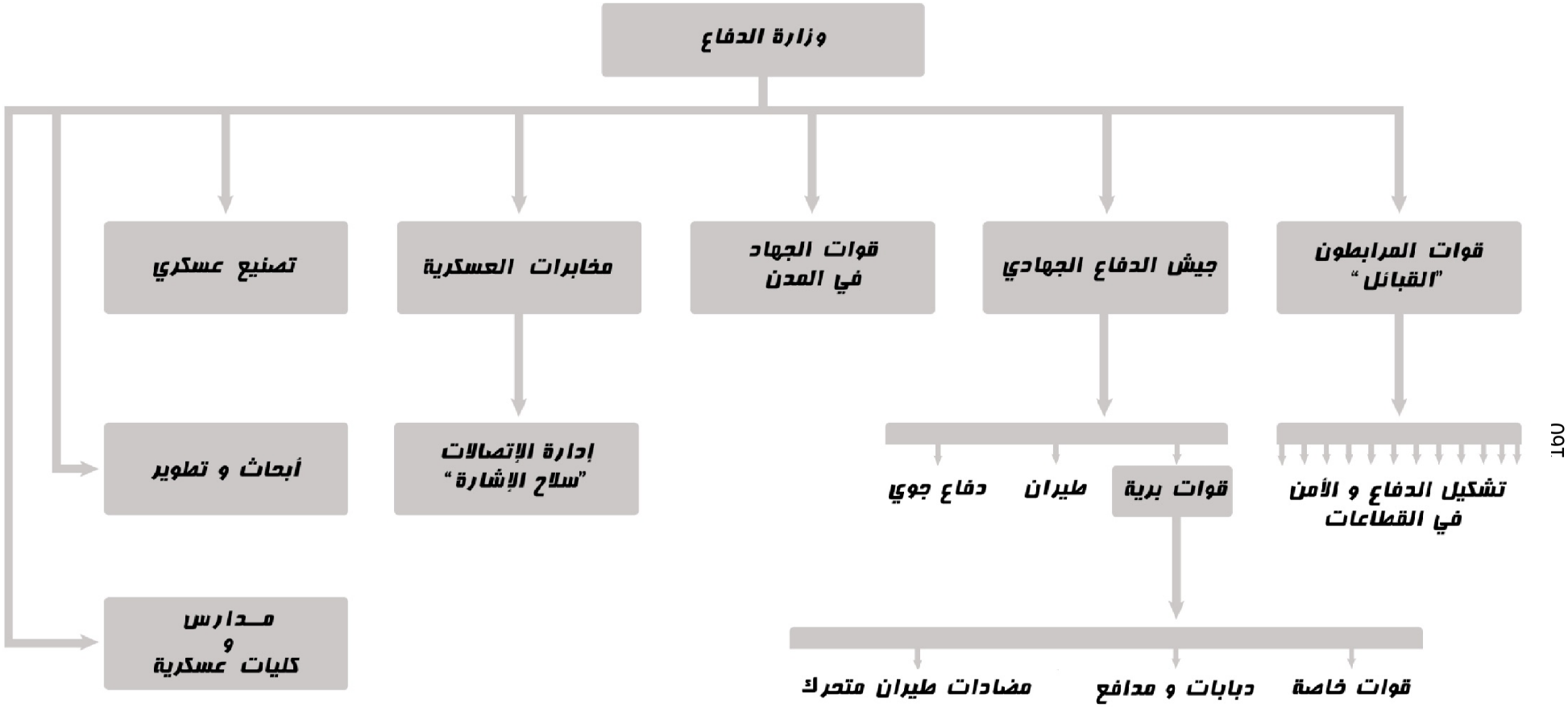

شكل 4

التكتيكات الإدارية لمواجهة الصراع
محافظ القصاع
مجلس إدارة شركة السبخة
مجالس العمل المحلي "الإنتاج الصناعي"
مجلس إدارة شركة السبخة
الإدارة والتوجيه

شكل 5

حلقة إتصال رئيسية :

أفغانستان حلقة إتصالات رئيسية
و مركز التجارة الترانزيت في آسيا.

شبكة الإتصال البري و الطرق الجديدة بين
أفغانستان و دول الجوار .

الصين – إيران – باكستان – تركمنستان
أوزبكستان – طاجيكستان

شكل 6

جوادر – تشابهار :

إستراتجية بحرية لدولة برية

أفغانستان مركز بري للإتصالات البحرية
بحر قزوين – بحر العرب – بحر عمان

عبر أفغانستان طرق برية و سكك حديدية بين ميناء جوادر (باكستان) تشابهار (ايران) الي تركمانستان ثم بحر قزوين .

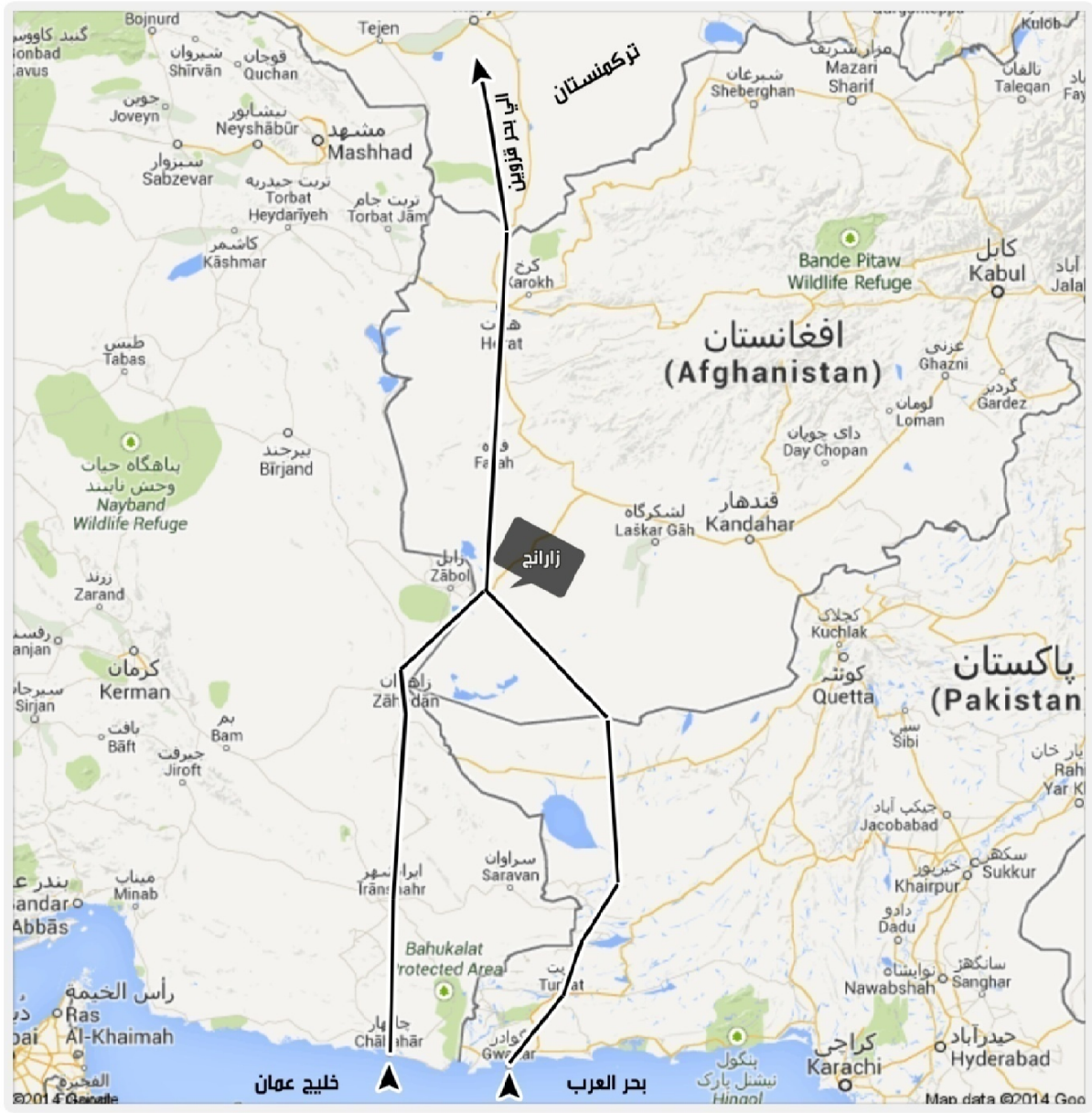

شكل 7

{ <u>تصويب وتصحيحات من زملاء إعلاميين ومؤرخين</u>

<u>من حركة طالبان حول ما جاء في هذا الكتاب</u> } .

أستاذنا الكريم :

قرأت الكتاب من أوله إلى آخره فوجدته يسترشد مسؤولي أفغانستان في صباح يوم التالي إلى خير وحكمة وصلاح وسياسة عادلة التي تحل مشاكل ومقتضايات الشعب والمجتمع الأفغاني بنمط طبيعي غير مكلف. فجزا الله كاتبه وأسأل الله العلي القدير أن يوفق المسؤولين لتطبيق المقترحات المفيدة التي عرضها صاحب الكتاب.

<u>وأثناء مراجعتي للكتاب وجدت فيها بعض الملاحظات البسيطة وهي كالتالي:</u>

وفي أول زيارة سرية له إلى قندهار طلب الجنرال برويز مشرف من الملا محمد عمر، عدم تطبيق الشريعة الإسلامية إن أراد لحكمه أن يستمر . الصفحة 41 :

1 - { برويز مشرف لم يقم بزيارة افغانستان ولم يلتقي بأمير المؤمنين . كان من المقرر أن ياتي إلي قندهار ويلتقي بالملا محمد عمر و قد وعد بذلك و عينت الامارة هيئة خاصة لإستقباله في مطار قندهار ولم يكن أمير المؤمنين ولا نائبه الملا محمد رباني من ضمن أعضاء الهيئة... لكنه بطل المجيئ الى افغانستان ولم يات ...}

*****

- أرسلت باكستان كميات محدودة من الذخائر لطالبان في خوست وجلال آباد ... الصفحة 46

2 - { حسب معرفتي الشخصية واستبصاراتي من الإخوة المسؤلين في هذا الشأن فإن حكومة باكستان لم تقدم من الذخائر ، بل كل ما قدمت حكومة باكستان هو إرسال السيارات التابعة للمنظمات الجهادية السابقة ، من سيارات الإسعاف وبعض الشاحنات التي كانت تستخدمها المنظمات أو الجيش الباكستاني لنقل الأسلحة والذخيرة والمواد اللوجستية من مدينة نوشهرة إلى المناطق الحدودية المتاخمة مع الحدود الأفغانية } .

*****

3 - { أعتقد أن مشاركة الشيعة في الجهاد حسب تواجدها السكاني كانت مشاركة مطلوبة ولم تكن هامشية ، والشاهد على ذلك أن المناطق ذات التواجد الشيعي المكثف حررت من سيطرة الشيوعين قبل مناطق أهل السنة .

على سبيل المثال أن محافظة غزني التي تحتوي على 16 مديرية 6 منها شيعية وقد حرروها مجاهدو الشيعة في 1980 ولم يتمكن الشيوعيين من السيطرة عليها مجددا حتى سقوط حكم الشيوعي في البلد.

وكذلك أول من ثاروا ضد الحكم الشيوعي في محافظة سمنكان شمال أفغانستان هم أهالي وادي صوف (دره صوف) وكذلك كان لهم دور ملموس في ولاية ميدان وردك وكابول وباميان وغيرها من الولايات التي تجد فيها الشيعة.

والعجيب في الأمر أن أول من تمكنوا من أسقاط مروحية أمريكية في بداية الغزو الأمركي هم من مجاهدي الشيعة التابعين للقائد الشيعي الشهير سيد جكرن في مديريه ناور التابعة لولاية غزني ، والقائد سيد جكرن كان يتبع لمنظمة الحركة الاسلامية بزعامة الشيخ اصف محسني (قندهاري) وكذلك قام أحد أبطال الإمارة من مديرية جاغوري وهو شيعي بمقتل أربعة جنود بريطانين في هلمند وذلك في هجوم نوعي من قبل عناصر الجيش الأفغاني ضد الجنود البريطانيين.

فمشاركة الشيعة في الجهاد كانت مشاركة جيدة حسب نسبة تواجدهم .

الأفغان الأصليون من عادتهم أنهم لاينسون المعروف وأذكر لكم قصة واقعية حدثت في أيام الجهاد الأول أنه أحد أفراد السيخ (اهل الذمة) كان متعاطفا ومتعاونا مع المجاهدين في مركز مدينة غزني وكان يخبرهم ببعض تحركات الشيوعين في داخل المدينة , فأدرك الشيوعيون تعاطفه مع المجاهدين وجاؤا إلى بيته وقتلوه ، فبلغ المجاهدون ذلك فهجموا على النقطة التي كان يسكنها هؤلاء القتلة من الشيوعيين ، ثم اخذوا جثة السيخي المقتول معهم وقالوا لجماعة السيخ أن المقتول أصبح واحدا منا(لأنه قتله الشيوعيون نتيجة تعاونه معنا) فلا نترك جثته معكم لتحرقونها بل نحن نقوم بخدمة التجهيز والتدفين ولانسمح لكم بحرق جثته ....

هذا هو وفاء المجاهدين مع السيخ فكيف بمن جاهد من إخوانهم المسلمين (الشيعة) من الأحسن أن نقول أن مشاركتهم كانت كمشاركة أهل السنة , لكن إيران وبعد إيجادها لمنظمة

حزب الوحدة الشيعية أرادت أن تستخدمها ضد الوحدة القومية للشعب الأفغاني وبالفعل قد تم ذلك حتى بين الأحزاب الشيعية , واندلع الاقتتال الداخلي بينهم قبل سقوط الحكم الشيوعي في كابول... } .

*****

- رغم أنه أول من قام بجريمة سبى نساء الشيعة فى تلك الحرب... الصفحة 48

4 - { لم يحدث أبدا سبي النساء من قبل أفراد احمد شاه مسعود ... لأن مدلول السبي له معناه ... ولكن ماحدث في أيام معارك كابول (معارك حكمتيار ومسعود) هو أن بعض المسلحين هجموا على دار المجانين التابع لهلال الأحمر الأفغاني , وكان من ضمن الموجودين في الدار بعض النساء المجنونات من جميع العرقيات، بشتونيات ، تاجيك ، شيعة وسنة .

بعد إستيلاء المسلحين على دار المجانين شاعت الإشاعات أن المسلحين قاموا باغتصاب المجنونات ، وهذا أيضا كان في درجة الإشاعات ولم يثبت بالشواهد أنه تم بالفعل هذا الأمر الشنيع.
والمسلحين أيضا غير معروفين ، لأن المنطقة كانت خط النار الأول بين المتناحرين } .

*****

- سائقه أمسك بجهاز اللاسلكى وأخبر القوات أن تتقدم لأن ملا بورجان قد أصبح داخل كابول بالفعل. وقد سمع قادة كابل ذلك الإتصال ، فصارت أرجلهم تعمل أسرع من عقولهم .... الصفحة 55

5 - { بعد مقتل الملا بورجان انتقل قيادة المعركة بأمر امير المؤمنين إلى الملا رباني الذي كان حاكم ننجرهار والقائد الملا عبدالرزاق الذي كان وزير الداخلية في حكم الامارة. لكن طالبان اخفوا امر مقتل الملابورجان إلى أن تمكنوا من فتح مدينة كابول تماما } .

*****

- فى ذلك الحادث قتل 15 من أقارب الملا عمر وحراسة ، وأحد أبنائه ، (فى بدء العدوان الأمريكى فقد إبنا آخر وعمه وعدد آخر من الأقارب).... صفحة 57

6 - { قتل في هذا الحادث إثنين من أشقائه و زوج شقيقته وبعض حراسه ، ولم يقتل أحدا من أبنائه . وقتل عمه في الهجوم الأمريكي ولم يقتل إبنه } .

*****

ـ السفير السعودى فى باكستان وأفغانستان تخطى حدود اللياقة فى تعامله مع الإمارة فى قندهار فطردته الإمارة وأمرته بعدم دخول أراضيها مرة أخرى. ولكنه عاد برفقة مدير المخابرات السعودية تركى الفيصل الذى جاء بطائرة بوينج طالباً من زعيم حركة طالبان (الملا محمد عمر) أن يسلمه بن لادن والعرب والمقيمين معه فى قرية على أطراف مطار مدينة قندهار . صفحة 79

7 ـ { السفير السعودي لم يكن يسكن في أفغانستان ، بل كان يقوم بمهمته الدبلوماسية في مدينة إسلام آباد رغم تعيينه سفيرا لدى أفغانستان ولم يلتق بأمير المؤمنين الملا محمد عمر}

*****

العملة المتداولة فى أفغانسان هى عملة طبعتها سلطات الإحتلال الأمريكي ، وهذا يعطيها سيطرة ونفوذ على الإقتصاد الأفغانى، ويمكنها من الإضرار به ضرراً شديداً متى شاءت بإسقاط قيمة تلك العملة بوسائل مختلفة ... ص 131

8 ـ { العملة المتداولة هي العملة التي طبعتها الإمارة الإسلامية في ألمانيا ودفعت تكاليف الطبع أيضا , لكن أخرجتها حكومة كرزاي ، ووافقوا على توزيعها ... حتى أن إعلانات التي قاموا بنشرها في البنوك وبقية الإدارات كان مكتوبا عليها بالبشتو (دافغانستان إسلامي إمارت) فهم شطبوا كلمة إمارت وكتبوا بالقلم العادي "جمهوريت" .

حتى أن الأوراق النقدية لا تحمل أي صورة من صور ذوات الأرواح بل عليها صورة مسجد جامع هيرات التاريخي من أيام التيموريين ، وعلى وجه الآخر صورة مزار القائد الأفغاني الشهير ميرويس هوتكي .

وقال كرزاي عند ترويج وتوزيع هذه العملة بدل العملة السابقة (عملة الشيوعيون التي كانت تطبعها موسكو لحكومة رباني) قال كرزاي نشكر طالبان بتصميمهم الرائع الذي يوافق جميع الشعب عليه ، لأننا لوكنا نطبعها نحن لكنا قد إختلفنا بوضع صورة أحمد شاه مسعود الذي لا يقبل البشتون بوضع صوره على العملة , ولاصورتي أنا (كرزاي) ولاصورة رباني ولا أي أحد من السياسين المعاصرين... أما صور المساجد و صورة مزار ميرويس بابا الذي يعتبره الشعب الأفغاني أبا وزعيما مخلصا فيتفق الجميع عليها } .